

محمود شبلي

حياة

سليمان

دار الجيل

بيروت

محمود سبلي

حياة سليمان

دار الحكيم
البيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الاهـداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

يا رب ... لك الحمد ... ملءُ السماوات ... وملءُ الأرض ... وملءُ
ما شئت من شيء بعد ... أهل الثناء والمجد ... أحق ما قال العبد ... وكلنا
لك عبد ...

والصلاة والسلام على إمام النبيين ... وعلى آله وصحبه أجمعين ...
وسلام على المرسلين ... والحمد لله رب العالمين ...
وبعد ...

سليمان ... بن داوود؟!!

لئن كان داوود نبياً عظيماً كريماً ... « ولقد آتينا داوود منا فضلاً »! ..
فإن سليمان ... ورث كل أولئك عن أبيه ... « وورث سليمان داوود » ...
ثم زاده الله ... فوق ذلك كله ... مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده ...
« وهب لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...

فكيف يكون سليمان ... ذلك الذي تُجمع له مجد أبيه داوود ... ثم زاده
الله فضلاً على فضل ... ومُلْكاً فوق مُلك ... وعلماً بعد علم؟!!

ذلك سليمان ...

وذلك موضوع هذا الكتاب؟!!

١٤٠٠ هـ

عمود شلبي

١٩٨٠ م

ووھبنا . . . لداوود . . .
سلیمان ؟ . . .

كما وقع ...

الاختيار ... على يوسف ... من دون إخوته جميعاً ...
وقع الاختيار ... على سليمان ... من دون إخوته جميعاً ...
وكما كان يوسف أصغر إخوته ...
كان سليمان من أصغر إخوته كذلك !..
هنالك في يوسف :

« يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ،
ففهمها يعقوب ... وأدرك لفروره ... أن هذا الطفل ... قد وقع عليه
الاختيار ... من بين إخوته الكبار ...
فنظر إلى الطفل الجميل ... ولطفه في حنان وامتنان :
« يا بُنيّ لا تقصص رُءْيَاكَ على اخوتك فيكيدوا لك كيبدأ إن الشيطان
للإنسان عدو مبين » .

ونظر الطفل الرائع إلى أبيه ... كأنه لا يدري ؟!
فقال الأب :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعاملك من تأويل الأحاديث .
« ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل
ابراهيم وإسحاق ... »

لقد وقع الاختيار على يوسف « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ..
وها هنا ... في سليمان ...
نفس الناموس ... ولن تجد لسنة الله تبديلاً ...
« ووهبنا لداوود سليمان » !..
كان سليمان طفلاً ... وكان له إخوة يكبرونه سنّاً ...
ولكن النبوة ... لا تكون للأكبر سنّاً ... ولا للأكثر مآلاً وولداً ... ولا
للأكثر حظوة عند الناس ... وإنما هي شيء عظيم ... يهبه الله لمن يشاء من
عباده « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ...
فكان سليمان ... هو الهبة التي وهبها الله لداوود ...
هو المنة التي امتن الله بها على داوود ...
كما كان يوسف ... هو المنة التي امتن الله على يعقوب ...
ابن لداوود كثيراً من الأولاد الذكور ... قيل انه مات عن تسعة عشر
من الذكور ...
ولكن أحسداً منهم ... لم يسجله الله في سجل الشرف بقوله
« ووهبنا لداوود » ...
وإنما « سليمان » هو النعمة ... وهو المنة ... وهو الهبة ... وهو الهدية ...
فسجل الله ذلك .. إشارة الى عظيم ما وهب لداوود ... فقال : « ووهبنا
لداوود سليمان » !..
أما سائر أولاد داوود ... فليسوا من مرتبة سليمان ...
إن تمام الحقيقة الداودية ... في تمام الحقيقة السلمانية ...
وكال شخصية الداودية ... في ظهور الشخصية السلمانية .

كما كان تمام الحقيقة اليعقوبية ... في ظهور الحقيقة اليوسفية ...
تجد الإشارة إلى ذلك في قوله عز من قائل :

« ويتم نعمته عليك .

وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق » .

ثم ماذا ؟!

انظر « ووهبنا لداوود سليمان .

« نعم العبد إنَّه أوَّاب » ..!

نعم العبد ... داوود ... انه أوَّاب ...

ونعم العبد ... سليمان ... انه أوَّاب !..

ووقع الشفاء ... على الوالد والولد ...

إشارة إلى أن تمام داوود ... في ظهور سليمان ...

كما أن تمام سليمان ... كان في ظهور داوود !..

وحين يقول سبحانه ... عن عبد « نعم العبد » !..

فقد اجتمع له النعيم والإنعام كله ...

« وأوتينا من كل شيء » !..

وهكذا كما رأيت ...

حين أراد أن يتم نعمته على إبراهيم ... وهب له اسماعيل وإسحاق ...

« الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي

لسميع الدعاء » .

وحين أراد أن يتم نعمته على زكريا ... وهب له يحيى ...

« فهِبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا » ...
وَحِينَ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى يَعْقُوبَ ... وَهَبْ لَهُ يُوسُفَ ...
وَحِينَ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى دَاوُدَ ... وَهَبْ لَهُ سُلَيْمَانَ ...
« وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبِيدَ إِنَّهُمْ أُوَّابٌ »
نَامُوسَ مَطْرَدٍ ... مَتَكْرِرٍ ...
وَسُنَّةَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ ...
فَتَأْمَلْ ... وَتَفَكِّرْ !..

فَقَوْمًا مِّنْهَا ... سُلَيْمَانَ ...!

الفطنة ...

أو الذكاء ...

أو العبقرية ...

أو الإدراك السريع للأمور ...

شرط يتحتم توافره فيمن يقع عليه اختيار الله لعبده من عباده ... ليكون نبياً ... أو رسولاً ...

ذلك أن النبي أو الرسول ... يبعثه الله ... ليرفع مستوى البشر إلى أفق أعلى ...

فيتحتم أن تكون صفاته ... أعلى ... وأزكى ... وأرقى ... وأسمى ... من صفات الذين يُبعث اليهم نبياً أو رسولاً ...

ومن تلك الصفات العليا ... صفة الفطنة ... أو سرعة الفهم للأمور ... ولننظر الآن كيف تطلأت تلك الصفة ... من سليمان ... صبيّاً !..

« وداوودَ وسليمانَ إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غم القوم وكنتنا لحكمهم شاهدين .

« ففهمناها سليمانَ وكأذ آتيناُ حكماً وعلماً وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطيرَ وكنتنا فاعلين » .

ما هي هذه القصة الجميلة ؟!

وما هو هذا الحُكْم العظيم . . الذي شرفه الله ... بشهوده « وكننا
لحُكْمهم شاهدين »؟! .
الله؟! .

الذي ليس كمثلته شيء ... يشهد هذا الحُكْم؟! .
فما هو هذا الحُكْم العظيم؟! .

« وداوود » واذكر قصة النبي الملك داوود ...

« وسليمان » واذكر سليمان ... إذ كان صبياً في الحادية عشرة من عمره ...
وقد أجلسه أبوه الملك داوود في مجلس القضاء ... ليتمرن على أعمال
الحُكْم والمُلْك ...

اذكر داوود ... واذكر سليمان ابنه ...

« إذ يحكيان » إذ أصدر داوود حُكماً ... فنقضه سليمان ... وأصدر حُكماً
آخر ... غير حُكْم أبيه ...

« في العرث » في الزرع ...

وكانت القصة ... أو القضية التي عُرضت عليها ...

« اذ نغشت فيه غنم القوم » إذ رعت فيه ليلاً بلا راع ... أغنام القوم ...

أتى خصمان ... قال أحدهما : ان زرعاً لي قد آتى ثمره ... ودنت
قطافه ... وصار بهجة للناظرين ... وفجأة انتشرت فيه غنم خصمي هذا ...
ولم يردها رادّ ... ويحك وثاقها راع ... وانسابت في الزرع ليلاً ... فأهلكته
وأبادته حتى صاراً أثراً بعد عين ...

قال صاحب الزرع ما قال ، ولم يبطل صاحب الغنم ادعاءه بحجة
أو دليل ...

فثبتت عليه التهمة ... وحقت عليه كلمة القضاء ...

هذه هي القضية ...

« وكننا لحكمهم شاهدين » حاضرين ... نسمع ونرى ...

فماذا كان حكم داوود ... النبي المَلَك؟! .

حكم داوود ... لصاحب الزرع ... بالغنم ... يأخذها خالصة له تعويضاً
عن زرعه ... وجزاء إهمال أصحابها الذين تركوها فنفسحت في الزرع ليلاً ...
وانتشرت فيه حتى أهلكته وأتت عليه ...

« ففهمناها سليمان » فأوحينا إلى الصبي سليمان ... وفهمناه الحق

من القضية ...

فقال سليمان : غير هذا أرفق ... ودون هذا أوفق !..

فدهش القوم لجرأة الغلام ...

وانتظروا صامتين ما وراءه !..

فقال سليمان :

« نُدفع الغنم إلى أهل الحرث ، ينتفعون بالبنها وأولادها وأشعارها .

« وتُسلم الأرض إلى أصحاب الغنم يقومون على زراعتها ، حتى تعود

كما كانت .

« ثم يترادان ، فيأخذ كلُّ ما كان تحت يمينه .

« وبذلك لا يكون هناك غنم ولا غنم .

« فهذا أقرب إلى العدل ، وأصحُّ في الحكم ، وأولى في القضاء » !..

هذا هو حكم سليمان في القضية ...

وقضى ... داوود ... بما حكم سليمان ؟..

ورجع داوود إلى الحق ... بعد أن نطق به الصبي ...

لأن داوود نبي ... يعلم من أوحى إلى الصبي ... ومن فهمه هذا الذي
نطق وبه حكم ...

يعلم أن الله يشهد القضية بنفسه ...
وأنة سبحانه ... هو الذي فهمها سليمان !..
وقررت عين داوود ... بآينه ...
وأيقن أن ذلك الصبي ... الذكي ... هو وارث النبوة من بعده ...
ووارث الملك ...

وها هي أنوار النبوة ... تتلألأ منه ... صبيًا ...
فكيف إذا استوى نبيًا ١٢ .
ما أعظم تلك القضية !..
لقد حيزت لها العظمة من أطرافها ...
الله يشهدا « وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ » !..
والقاضي ... داوود ... النبي العظيم ... والمَلِكُ الكَرِيم !..
وعضو هيئة المحكمة ... سليمان ... النبي القادم ... بعد أبيه داوود ...
وأصدر القاضي حُكْمًا ...
وأشار سليمان بحكم آخر ...
وكُنَّا آتِينَ حُكْمًا وَعِلْمًا ...
فاجتمع لهذه القضية الشرف كله ...
وحسبها شرفاً ... ان الله يشهدا ... وكفى به شهيداً ...
وأن الحاكم فيها ... نبيان عظيمان كريمان ...
نبي مَلِك ... قائم ...
ونبي مَلِك ... سوف يقوم !..

وورث . . . سلیمان . . .
دا وود . . . ۱۴

شاخ ...

الملك داوود ... ولزم الفراش سقيماً ...
ولكل داء دواء إلا الكيبر !..
وتطلع الناس ... وتحدثوا مَنْ يكون على عرش داوود !؟
وحاول « أدونيا » أحد أبناء داوود ... أن يهتبل الفرصة ... ويلفت
اليه الأنظار ... وأعانه على ذلك بعض اخوته ...
إلا أن فريقاً آخر رفعوا الأمر ... إلى الملك داوود في فراشه ...
فحسم الملك الفتنة فوراً وقال :
« ادع لي صادق الكاهن وناثان النبي » ...
فدخلوا إلى الملك داوود ...
« فقال الملك لهم : خذوا معكم عبيد سيديكم .
« وأركبوا سليمان ابني علي البغلة التي لي وانزلوا به الى جيحون .
« وليمسحه هناك صادق الكاهن وناثان النبي ملكاً ...
« واضربوا بالبوق .
« وقولوا ليحيى الملك سليمان » ...
ونفذ هؤلاء أمر داوود ...

وقال جميع الشعب :
« ليحمي الملك سليمان » ...
« وسعد جميع الشعب وراعه » ...
وأفلتت الفرصة من « أدونيا » ... وصار سليمان ملكاً !..
« وقال داوود لسليمان ابنه :
« تشدد ، وتشجع ، واعمل .
« لا تخف ولا ترتعب ، لأن الرب الاله إلهي معك .
« لا يخذلك ولا يتركك ، حتى تكمل كل عمل خدمة بيت الرب » .
ثم أعلن داوود لكل المجمع :
« ان سليمان ابني الذي وحده اختاره الله .
« انما هو صغير ، وغض ، والعمل عظيم .
« لأن الهيكل ليس لانسان بل للرب الاله » .
ودعا داوود لابنه سليمان ...
« وأما سليمان ابني فأعطه قلباً كاملاً .
« ليحفظ وصاياك ، شهادتك وفرائضك .
« وليعمل الجميع .
« وليبني الهيكل الذي هيات له » .
« وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان داوود أبيه » ...
وأطاعه الجميع ... الرؤساء والأبطال وجميع أولاد الملك داوود ...
« وعظّم الرب سليمان جداً ...

« وجعل عليه جلاداً ملكياً » ..

فلما مات داوود ... ودُفن مع آبائه ...

انتقل كل شيء إلى سليمان ... ظاهراً ... وباطناً ...

واستوى سليمان ... نبياً ... ملكاً ...

وكانت الأيام التي تملك فيها سليمان أربعين سنة ...

حافلة ... بالأعمال العظيمة ... والأحداث الجسيمة ... والمعجائب التي لم

تكن لأحد من بعده ..

عبقرية ... سليمان ... ١٩

الأنبياء ...

ليس كمثلهم ذكاء! ...
هم أعلى ... البشر على الإطلاق ... عقولاً ...
وذلك النبي ... سليمان ... تتلألاً أمامنا عبقريته الفذة ... في هذه
القصة ... فنعلم ما لم نكن نعلم ... من بدائع الأنبياء! ...
امراتان ... تختصمان اليه ... في رضيع ...
كل منهما تزعم أنه وليدها ... فماذا كان حكم سليمان؟! ...
اليك تفاصيل القصة كما وردت عند أهل الكتاب :
« حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه .
« فقالت المرأة الواحدة : استمع يا سيدي .
« اني أنا وهذه المرأة ساكنتان في بيت واحد ، وقد ولدت معها في البيت .
« وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ، ولدت هذه المرأة أيضاً ، وكنا معا ، ولم
يكن معنا غريب في البيت غيرنا ، نحن كلتينا في البيت ،
فهاهنا ابن هذه في الليل ، لأنها اضطجعت عليه .
« فقامت في وسط الليل ، وأخذت ابني من جانبي ، وأمتك نائمة ،
وأضجعتني في حضنها ، وأضجعت ابنها الميت في حضني .
« فلما قمنا صباحاً لأرضع ابني إذا هو ميت .

« ولما تأملت فيه في الصباح ، إذا هو ليس ابني الذي ولدته .
« وكانت المرأة الأخرى تقول : كلا ، بل ابني الحي وإبنك الميت .
« وهذه تقول : لا بل ابنك الميت وإبني الحي .
« وتكلما أمام الملك .
« فقال الملك . هذه نقول ، هذا ابني الحي وإبنك الميت ، وتلك تقول :
لا بل ابنك الميت وإبني الحي .
« فقال الملك : انتوني بسيف .
فأتوا بسيف الى بين يدي الملك .
« فقال الملك : اشطروا الولد الحي اثنين ، وأعطوا نصفاً الواحدة ،
ونصفاً للأخرى .
« فتكلمت المرأة التي ابنها الحي إلى الملك .
« لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها .
« وقالت : استمع يا سيدي .
« أعطوها الولد الحي ولا تميته .
« وأما تلك فقالت : لا يكون لي ولا لك .
« اشطروه .
« فأجاب الملك وقال : أعطوها الولد الحي ، ولا تميته ، فانها أمه !!» ..
هذه هي التفاصيل ... كما وردت عند أهل الكتاب ...
وهذه عبقرية سليمان ... وهذا لون من ألوان ذكاه الأنبياء ...
ومن دلائل النبوة الخاتمة ... أن القصة وردت مختصرة في صحيح الإمام
البخاري ... وإليك النص :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه :
« انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« مثلي ومثل الناس ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعل الفراش وهذه
الدواب تقع في النار .

« وقال : كانت امرأتان معها ابناهما .

« جاء الذئب فذهب بابن احدهما .

« فقالت صاحبتها : انما ذهب بابنك .

« وقالت الأخرى : انما ذهب بابنك .

« فتحاكما الى داود .

« فقضى به للكبرى .

« فخرجتا على سليمان بن داود ، فأخبرناه .

« فقال : انتوني بالسكين ، أشقه بينهما .

« فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها .

« فقضى به للصغرى » !!

وهذا الحديث من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فمثل هذا التفصيل لا يكون إلا عن وحي يوحى !...

ثم انظر الى الدقة التي لا تكون إلا من شهد الواقعة ... وعلم بدقائقها
« فقضى به للصغرى » ؟!

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... يحدد المرأة التي جزعت على شق
الرضيع شقين ... بأنها الصغرى ... وهذا من دلائل النبوة ... ولا يأتي إلا
عن وحي يوحى ؟!

لقد ثبتت هذه القضية عن سليمان ... وأوردها البخاري في صحيحه ...
فأعطت لنا لوناً جميلاً من ألوان ذكاء الأنبياء ...
وإن اشعاعات قوله تعالى « ففهمناها سليمان » في قضية الحرث ... التي
ذكرها ...
ما زالت تتشعشع ... ها هنا ... وحيث شاء الله ...
فكما فهمه سبحانه هناك الحكم ... فهمه ها هنا الحكيم ...
« وكألا آتينا حكماً وعلماً ، ..

الملك يا أمر بقتل ...
« أُدونيًا » ...!

الملك ...

له مقتضيات ... وحتميات ... وضروريات! ...
ان « أدونيا » هذا أخ أكبر لسليمان ... غير شقيق ... أخ لأب ...
وقد حاول أثناء مرض الملك داوود ... أن يجمع الناس عليه ليكون ملكاً
بعد أبيه ...

فلما حسم داوود الأمر ... وأمر بسليمان ملكاً ... ضاعت الفرصة من
« أدونيا » ... وانكشف أمره وأمر من شاعوه ...

إلا أنه لم يهدأ ... وبدأ يتدلل ويظهر أنه كان صاحب العرش ... لولا
ما قرره داوود ... واختياره لسليمان! ..

ثم جاء « أدونيا » إلى أم سليمان ...
فقال : أنت تعلمين أن الملك كان لي ... فدار الملك وصار لأخي لأنه من
قبيل الرب صار له .

« والآن أسألكِ سؤالاً واحداً فلا ترديني فيه » .

فقلت له : تكلم .

فقال : قولي لسليمان الملك لأنه لا يردك أن يعطيني « أبديشج الشونمية »
امرأة .

فدخلت أم سليمان إلى الملك لتكلمه عن « أدونيا » ...

فقالت : لِتُعْطَ

« الشونمية » لأدونيا أخيك امرأة .

فقال الملك سليمان لأمه : ولماذا أنت تسألين أبيشج الشونمية لأدونيا
فأسألي له الملك . لأنه أخي الأكبر مني ...

« وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً : هكذا يفعل لي الله ، وهكذا يريد .
« انه قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه .

« والآن ، حي هو الرب الذي ثبتني ، وأجلسني على كرسي داود أبي ،
والذي صنع لي بيتاً كما تكلم .

« إنه اليوم يُقتل أدونيا » ..

ولعل الكلمة التي أطاحت برأس أدونيا ... هي قوله لأم سليمان « انت
تهامين ان الملك كان لي » ..

اذا هو لم يستسلم ... وما زال الأمر يدور في رأسه ..

هنالك أصدر الملك سليمان أمراً بقتله ..

وأرسل الملك سليمان اليه من بطش به فمات !..

ولم يقف الأمر عند قتل « أدونيا » رأس الفتنة ...

بل هناك رموس عاونته في فتنته ...

هناك الكاهن الذي شايعه ... فأمر سليمان به ... فطرده عن أن يكون
كاهناً للرب ... وإن كان يستحق القتل ...

وهناك « يو آب » الذي مال وراء أدونيا ... فأمر به سليمان فقتل ...
ثم عيّن سليمان رجلاً مخلصاً له مكانه على الجيش ...
وجعل الملك ... صادق الكاهن ... مكان الكاهن الذي عزله ...
إنها حركة تطهير ...
القضاء على رأس الفتنة ...
وتغيير في المناصب العليا ...
والمُلك هو المُلك ...
له مقتضيات ... وله ضرورات ... وله حتميات

ولقد ... فتنًا ... سليمان ...!؟

قال عز من قائل :

« ولقد فتننا سليمان .

« والقمينا على كرسيه جسدا ثم أناب » .

ذكر الفخر الرازي في تفسيره وجوهاً لتفسير هذه الآية ...

أحسنها أن سليمان ابتلى بمرض شديد ، ضنى منه ، حق صار لشدة المرض ، كأنه جسد ، أو جسم بلا روح ... « ثم أناب » أي رجع إلى حالة الصحة .

وفي موجه هذا التفسير أقول ...

الأنبياء أشد الناس بلاء ...

لأنهم أعظم الناس عطاء ...

هذه ... بتلك ... فيتحقق التوازن ... الذي هو الناموس العام ... في تركيب الإنسان ...

« قالت عائشة :

« ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوجع هنا المرض ، والعرب تسمي كل مرض وجعاً ...

أي ما رأيت أحداً أشد عليه المرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

« عن عبد الله قال :

« دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوعك .

« فمسسته بيدي .

« فقلتُ : يا رسول الله ، انك لتوَعكُ وعكا شديدا .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجَلٌ اني اوعكُ كما يُوعكُ

رجالن منكم .

« قال : فقلت : ذلك أن لك أجرَيْن .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجَلٌ ... »

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوَعكُ هو الحمى ، وقيل ألمها ... أي : انك لتألم ألما شديداً ...

وقالوا : والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل ، أنهم مخصوصون بكهال الصبر ، وصحة الاحتساب ، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ، ليتم لهم الخير « ويضاعف لهم الأجر ، ويظهر صبرهم ورضاهم ...

قلت ... ولما كان سليمان ... عليه السلام ... نبياً من الأنبياء ... تحتم أن يجري عليه ناموس الأنبياء ... وهو أنهم أشد الناس بلاء ...

فكيف وسليمان ... من أعظم الأنبياء عطاء ... « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسينك بغير حساب » !!

أعطاء كل ما أعطى أباه ... داوود عليه السلام ...

وما أدراك ما أوتي داوود ؟!

ثم زاده ... « مُلكا لا ينهبني لأحدٍ من بعدي ... »

نبي هذا شأنه ... من العطاء ... كان حتماً أن يكون شأنه من البلاء ...
موازيًا ... لشأنه من العطاء ...

وهذا ما قد كان ...

مرض النبي ... المثلک ... سليمان ... مرضاً شديداً ...

وتوجع وجعاً شديداً ... لا تطيقه الجبال ...

وصار ... « جَسَدًا » ... لا يكاد يستطيع الحركة ... فهو شبه ميت ...
أشبه بجسد لا روح فيه ...

وكان يجلس على كرسيه ... كأنه جَسَد ... نُجْثَةٌ ميت ...

ها هو المثلک العريض ... تحت يديه ...

يأمر ... فيُطَاع ...

قصور ... نُجند ... امكانيات ... علم ... نبوة ... حكمة ... مملكة ...

ولكن كل هذا لا يُعني عنه شيئاً ...

هنالك يرى سليمان الحقيقة ... ويباشر التجربة ...

أن كل نِعَم الله على الإنسان ... إنما هي حُجُب ...

والحق ... والحقيقة ... أن الله هو الذي يُعطي ويمنع ... ويُنعم

ويَسلب ...

هنالك ... يرقى سليمان ... ويرقى ... درجات ودرجات ...

ويشهد نفسه ... وشخصه الذي يهابه الشعب والملوك ...

وقد تحول إلى لا شيء ... ولا يستطيع لنفسه شيئاً ...
مقامات ... درجات ... يصعدون اليها ... ربهم أعلم بهم ...
ثم لما مضى القَدَر ...
وبلغ الكتاب أجله ... ردّ الله اليه ... عافيته ... وصحته خيراً
مما كانت ...
وخرج سليمان من الفتنة ... أعظم نوراً ... وأعظم حكمة ... وأعظم
رحمة بالناس ...
(وان له عندنا لزُلفى ، !..)

رب ... اغفر لي ...
وهب لي ...!

أمرهم ...

وراء العقول ...
لا ندرك منهم ... إلا قليلا ...
لأن الأنبياء ... مرايا التجلي الإلهي ... الكامل ...
كل منهم ... بجر لا يتناهى ...
فإذا أدركنا منهم شيئاً ... فإنما هو نقرة عصفور ... في بحر
لا ساحل له !..
وما نحن أولاء ... نفاجأ من أحدهم ... وسمه « سليمان » ... بأمر
تضطرب منه العقول !..

ان سليمان ورث ملك داوود ... ظاهراً ... وباطناً ...
فماذا بقي من أبعاد الملك بعد ذلك ؟!
العقل يقول : لا شيء وراء ذلك ... والحمد لله على ذلك !..
ولكن الأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...
يعلمون أن عطاء الله ... لا يتناهى ...
وأن وراء كل عطاء عطاء ...
ووراء كل فضل فضل ...

ووراء كل علم علم ...
هنالك ... نادى ... سليمان ربه ...
« قال رب اغفر لي .
« وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب » !! ..
مطلبان عظيمان ...
أولا ... « اغفر لي » هذا هو المطلب الأول ...
اغفر لي ... ما قدمت وما أخرت ... وما أسررت وما أعلنت ...
اغفر لي ... ما كان مني ... وما سوف يكون ...
انه يطلب ... مما أعطاه الله ... لحاتم النبیین .
« اننا فتحنا لك فتحا مبينا .
« ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .
« ويتم نعمته عليك .
« ويهديك صراطا مستقيما » .
والمغفرة مراتب لا تُحصى ... بعدد المستغفرين والمستغفرات !! ..
بل بعدد أنفاس المذنبين والمذنبات ...
ذلك أن الناس مراتب شتى ...
ولكل فرد منهم ذنوب شتى ...
فلزم أن تكون المغفرة ... مراتب شتى ...
ولكن ... هؤلاء الأنبياء ... الذين لا ذنوب لهم ... علام يستغفرون؟! .
ومم يستغفرون؟! .
وقد ثبت عنهم أنهم دائما يستغفرون؟! .

عندما يرفعهم الله ... من مقام ... إلى مقام أعلى ...
يستغفرون ... عما كان منهم ... حين كانوا هناك ...
ولكن ماذا كان منهم هناك؟! .
هل كانت ذنوباً؟! .

كلا ... وإنما كل مقام يُرفعون اليه ... يشعرون فيه ... أن المقام
السابق ... يحتاج منهم إلى استغفار! ..

فإذا قال سليمان « ربّ ... اغفر ... لي » ...

إنما هو يرقى ... ويُرَقَّى ... ويبصر ما لم يك يبصر ... ويعلم ما لم
يكن يعلم ...

كلما صعد ... إلى مقام ... استغفر ربه ... عما كان منه ... في
المقام السابق ...

ومن هنا كان الأنبياء ... أكثر الناس استغفاراً ... لأنهم دائمي الترقى ...
فكانوا دائمي الاستغفار ...

استغفارهم ... استغفار أنوار ... صعود من نور إلى نور أعلى ...
أما استغفارنا نحن ... فاستغفار الخروج من الظلمات إلى النور! ..
« ربّ اغفر لي »؟! .

هذا هو مطلب سليمان الأول ...

فلما غفر له ... صعد سليمان صعوداً عظيماً ...

وأبصر ما لم يكن يبصر ...

أبصر لله ملكاً ... واسماً وسيعاً ...

فنادى سليمان ربه :

« هب ... لي ... مُلكاً »! ...
وأثني على ... المَلِك ... المَلِيك ... المقتدر ...
« انك أنت الوهاب »! ..
انظر ... إلى الجمال الشمسماني؟! ..
هب لي ... إنك أنت الوهاب! ..
أنبياء ... ليس كمثل كلامهم كلام! ..
يفوح من أفواههم الشريفة عطراً وطيباً ونوراً! ..
وليس ذاك وحده ... ولكن ...
« لا ينبغي لأحد من بعدي »! ..
مُلكاً انفراد به ... لا يشركني فيه أحد من بعدي ...
مُلكاً ... تخصني به ... ولا يتكرر في أحد من بعدي ...
طمع لا آخر له ...
فاستجاب ربه لندائه ... استجابة ... لا آخر لها! ..
وأعطاه ... ثم أعطاه ... ثم أعطاه ...
« هذا عطاؤنا »؟! ..
بنون العظمة ... إشارة الى شمول العطاء ... « وأوتينا من كل شيء » ...
أعطاه في الظاهر ... في الدنيا ... آتاه مُلكاً عظيماً ... فوق ما ورثه
عن أبيه داوود ...
وأعطاه في الباطن ... مُلكاً أعظم ... فوق ما ورثه عن أبيه داوود ...
فسخّر له الريح ...
« فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رُخاء حيث أصاب « !..

عجب ... لقد امتد المثلك إلى الهواء !..

بل ما هو أعجب ؟ !..

سخّر له الجنّ ؟ !..

« والشياطين كل بناء وغوَّاص » !..

بل ويفعل بهم ما يشاء ...

« وآخرين مقرنين في الأصفاد » !..

ما هذا ؟ !..

« هذا عطاؤنا » !..

وإلى أي مدى له حرية التصرف في هذه العوالم ؟ !..

بغير حدود ... افعل يا سليمان ما تشاء !..

« فامنن أو أمسك » !..

لك مطلق التصرف !..

وكيف أطيق حساب هؤلاء جميعاً يا رب ؟ !..

« بغير حساب » !..

لا حساب عليك يا سليمان ... فيما آتيناك ... ولا فيما فعلت فيما
أعطيناك !..

ما هذا ... كيف هذا ؟ !..

لقد نادى سليمان ربه « هب لي » ... « إنك أنت الوهاب » !..

وملك الملوك ... إذا وهب ... لا تسألن عن السبب !..

هل هذا هو كل ما وهب الله سليمان؟! .

كلا ... ثم كلا ... وتأمل قول سليمان وهو في طرب النعمة ... وشكر
المنعم الوهاب ... « وأوتينا من كل شيء » ... تدرك أن ما آتاه الله ... لا
تطبيقه العقول ...

وفي هذا يقول ابن العربي :

« لو نبهنا على المقام السلياني على تمامه .
« لرأيت أمراً يهولك الاطلاع عليه » !..

فسخرنا ... له ... الريح ...!٩

قال تعالى . . .

« فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء .

حيث أصاب ، .

وفي موضع آخر :

« ولسليمانَ الريحَ عاصفةً تجري .

بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ، .

وفي سورة أخرى :

« ولسليمانَ الريحَ عُغدُوها شهرٌ ورواحها شهرٌ ، ...

بالتأمل والتعمق في الآيات ... نجد أحوالاً ثلاثة ...

مرة ... تكون الريح رخاء أي : لينة هادئة ...

ومرة تكون ... عاصفة ... أي شديدة الهبوب ...

ومرة تكون ... غدوها شهر ... ورواحها شهر ... أي تقطع في يوم

واحد ... ما يقطعهُ المسافرون في شهرين اثنين ...

فما معنى هذا كله ... وكيف كان هذا ؟!

« فسخرنا » الفاء هنا إشارة إلى الفورية ... أي بمجرد أن دعانا « رب

اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...

استجبنا له ... وفوراً ... سخرننا له الريح ...

فوراً ... آتيناها شيئاً جديداً ... أضفنا إلى مُلكه طاقة جديدة ...
قوة جديدة ... قوة جبارة هدامة ... لم تكن لأحد قبله ... ولا لأحد بعده! ...
وقلنا فوراً: يارريحُ أطيعي أمر سليمان ... هبتي رُخاء حيث أراد أن
تهبي ... وهبتي عاصفة حيث أراد أن تعصفي ... وسيري بأمره حيث شاء ...
وأنت يا سليمان ... اعلم أننا سخرننا لك الريح ... تجري بأمرك حيث
تشاء ... طوراً رُخاء إذا شئت رخاء ... وطوراً عاصفة إذا شئت عاصفة ...
هذا نعتي جديد في ذلك الأمر الجديد ... من مُلك سليمان ...

ولكن هناك إشارة جبارة في قوله تعالى: « وسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر »!؟

وما هي الإشارة في هذا؟! ولماذا لا يكون غدوها مثلاً شهرين ورواحها
شهرين ... لماذا شهر في الغدو ... وشهر في الرواح ... لماذا شهر
واحد بالذات؟!؟

لعل السر في ذلك ... هو تحديد مجال التسخير لسليمان ...

أي اعلم يا سليمان ... أننا سخرننا لك الريح ... تجري بأمرك حيث
شئت ... كيف شئت ... في مجال محدد لا تتعداه ...

في دائرة عرضها مسيرة المسافر شهراً ... وطولها مسيرة المسافر شهراً ...
فإذا كان المسافر مثلاً يقطع ٥٠ كيلو في اليوم ... فهو يقطع في الشهر
٥٠ × ٣٠ أي ١٥٠٠ كيلو ...

أي مجال تسخير الرياح لك يا سليمان هو ١٥٠٠ كيلو ذهاباً و ١٥٠٠
كيلو إياباً ...

أما ما وراء ذلك من الريح ... في الكرة الأرضية ... فلا سلطان
لك عليه ...

انه تحديد لمجال التسخير ... ولعل الحكمة في ذلك ... هو عدم اضطراب
دورات الرياح في الكرة الأرضية ... مما يعود بالضرر على سكانها ..

وبالتأمل نجد أن ساحل الشام حيث كان ملك سليمان يمتد من الشمال إلى
الجنوب ما يوازي مسيرة شهر للمسافر في عصر سليمان حيث كانوا يركبون
الدواب ...

أي سخرننا لك الريح تجري بأمرك ... في منطقة مُملكك ... وما حوله
من اليبس أو البحر ... وتجد الإشارة إلى ذلك في قوله « تجري بأمره إلى
الأرض التي باركنا فيها » أي أرض الشام ...

وعلى هذا يتكامل المعنى ... وتفسر الآيات بعضها بعضاً ...

فنفهم أن الله ... أعطى سليمان طاقة جديدة في مُملكه ... ليست لأحد
من الملوك المعاصرين له ...

أعطاه الريح ... قوة الريح ... طاقة جديدة ...

يسخرها كيف شاء ... متى شاء ... ان شاء رُخاء لينة هادئة ... وإن
شاء عاصفة شديدة العصف ... في حدود مسيرة شهر ... في حدود رقعة
مملكته بالشام ... برأً وبحراً ...

ففي البحر حيث تسير سفن سليمان ... يأمر الريح أن تجري عاصفة ...

فتتحرك السفن سريعاً ... وتصل إلى غاياتها أسرع من مثيلاتها في
أنحاء العالم ...

أو يأمرها ... أن تجري رخاء أي هادئة ... إذا رأى أن المصلحة
في هدوئها ...

وفي البر ... له نفس السلطان ... فالرياح تحت أمره ... رخاء وعاصفة ...
حسبما يشاء ...

كل أولئك ... مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ...

أي أن سليمان نُقل إلى عصر السرعة بتسخير الرياح له ... بينما سائر
الملوك وسائر الدول ... تعيش في نواميس عصرها ... وتخضع للبطء في
وسائل مواصلاتها ...

وهذا تفوق هائل لسليمان ودولته ... على سائر الدول التي في عصره .
وأخرى أكثر تحديداً ... وأعجب فهماً !..

أن يا سليمان الرياح تحت أمرك ... مسيرة شهر ... من حيث تأمرها ...
من المكان الذي تأمرها فيه « تجري بأمره رخاء حيث أصاب » حيث أراد ...
حيث صدر أمره ... من حيث هو قائم ...

فإذا كان مثلاً في عاصمة مملكة في بيت المقدس ... وأمر الرياح أن
تعصف ... فله عليها السلطان التام ... على امتداد مسيرة شهر ... في أي
اتجاه ... إما شمالاً ... وإما جنوباً وإما شرقاً وإما غرباً ... من
نقطة البدء ... من المكان الذي صدرت إرادته فيه ... أي من عاصمة مملكة
حيث أراد ... حيث صدر أمره إلى الرياح ...

وهذا يفسر لنا عجائب بساط الرياح ... الذي كثرت فيه الأقاويص !..

فمن قائل ... كان لسليمان بساط تحمله الريح حيث شاء من الأرض ...
ويركب هو عليه ومعه من شاء من جنوده من الجن والإنس والطير ...
ويطير به ومن معه ... يأمره أن يسرع فيسرع ... وأن يببطء
فيببطء ... وأن يرتفع فيرتفع ... وأن ينخفض فينخفض ... كيفما شاء ...
وروا في ذلك الخيالات ... وأطلقوا العبارات !..
والذي أميل اليه ... أن بساط الريح ... حقيقة ... لا نذهب إلى
انكاره كما ذهب بعض العلماء .
ولا نذهب إلى المغالاة في وصفه ... كما غالى كثير من القصاص ...
وإنما نقول بالأمر الوَسَط ...
ان بساط الريح ... حقيقة ... يؤيد ذلك ... تسخير الريح لسليمان ...
تجري بأمره حيث يشاء كيفما شاء ...
إذ ما فائدة تسخير الريح له ... إذا لم يستعملها في تنقلاته ... فيتحقق
له التفوق على سائر ملوك زمانه ...
فبينما هم جميعاً لاصقون بالأرض ... يتحركون عليها ركباناً ومشاة ... إذا
هو يطير في الهواء ... ويتحرك حيث يشاء تحمله الريح .
فإذا كان لا يستطيع ركوب الريح ... وتسخيرها لحمله ... ومن شاء من
جنوده ... فما هي الميزة التي انتفع بها من تسخير الريح ... وما هو التفوق
الذي يتحقق له على سائر الملوك ... حتى يكون ملكه « ملكاً لا يشبهي لأحد
من بعدي » ؟!

فالذي أميل اليه ... ان بساط الريح حقيقة ... والذي لا أميل اليه هو
المغالاة في وصفه ...

وإنما نقول ... انه كان لسليمان بساط يركبه ومعه من شاء من حاشيته ...
من الجن والإنس والطير ... ويأمر الريح فتحمله ... وترتفع به ... وتجري
به سريعاً أي عاصفة ... أو بطيئاً أي رُخاء ... حيث أصاب أي
حيث أراد ...

ثم يأمر الريح أن تهبط به فتتهبط ... أو تعلو به فتعلو ...
وكل أولئك يتشمعشع من قوله تعالى « فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء
حيث أصاب » ...

وفي كلمة « رُخاء » هنا اشارة جديدة ... أي لينتة ... أي هي تلين
لأمره ... هي طوع أمره ... يفعل بها ما يشاء ... وتنفعل لأمره كيفما شاء ...
وإن استفاضة أخبار بساط الريح ... وتواترها دليل من أدلة كونه
حقيقة ... كانت واقعة ... وليست محض خيال ...

وإنما الخيال فيها ... هو المغالاة في وصفه ... والإسراف في الأساطير التي
نسبت اليه ...

قال صاحب تفسير « الفواتح الإلهية » ...

« وُحْشِر » وُجْمِع

« لسليمان جنوده من الجن والانس والطير » وقد كان معسكره مسيرة
مائة فرسخ ، خمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة
وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش .

« تمشي كل طائفة منهم من بني نوعهم صافين مستوين ، وإن تسابق بعضهم على بعض ... »

« فهم » حينئذ

« يُوزعون » ويحبسون حتى يتلاحقوا ، ويتساوى صفوفهم .

« وكان سليمان صامى الله عليه وسام يأمر الريح فترفعه فوق رؤوسهم ، مشرفاً عليهم ، فتسير معه رخاء ، من كمال فضل الله عليه انه ما تكلم أحد منهم بكلام إلا وقد حملته الريح وألقته في سمعه .

« فبينما هو يسير مع عسكره هكذا ، قد راه وجنده حراث فقال مستغرباً متعجباً : والله لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً !

« فسمع سليمان عليه السلام قوله

« ومشى نحوه فقال له : انما مشيت اليك لأوصيك ، ان لا تتمنى ما لا تقدر عليه ، وليس في وسعك تدبيره .

« ثم قال : والله لتسبيحة واحدة يتقبلها الله ، خير مما أوتي آل داود . »

وأقول : مثل هذا القمص قصص حق ... تناقله أئمة أعلام ...

وواضح فيه ... أن سليمان كان يأمر الريح فترفعه عليهم ... ويستعرض جيوشه وهو على هذه الصورة البديعة ...

لقد عَجَّل لسليمان ... ما يفعله الملوك الآن ... حين يركبون طائرة هيلوكوبتر ... ويستعرضون منها ... جيوشهم ... في الاستعراضات العسكرية الضخمة ...

ان ما أوتي النبيون من معجزات ... إشارة إلى بني آدم جميعاً ... على

امتداد الحياة البشرية ... أنهم سوف يحققون بالعلم ... شيئاً مما عجزه الله
لأنبيائه كمعجزات لهم ... وآيات منه ...

إن الإشارة في تسخير الرياح لسليمان ... يركبها ... حيث يشاء ...
ويأمرها عاصفة وريحاء ... تؤكد أن ما تُطوي لسليمان من تسخير الرياح ...

سوف يُعطي لجنس الإنسان مستقبلاً ...

ولكن بنواميس العلم ... ونواميس الأسباب ...

لا هبة من الوهاب ... كما أوتي سليمان ...

وهذا ما كان ... فقد تحقق للإنسان ... على مر الأيام ... بعد سليمان ...
ما أشارت إليه معجزة سليمان في تسخير الرياح له ...

فها هو الإنسان الآن ... يركب الرياح ... ويسير بها حيث يشاء ...
كيفما شاء ...

ها هي الطائرات ... النفاثة وغير النفاثة ... والأسرع من الصوت ...

ها هي القلاع الطائرة ... يركبها الناس ... وتحملهم الرياح حيث شاءوا ...
لا مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ... بل مسيرة سنين ...

ها هو الإنسان يطير في الهواء ... ويركب الرياح حيث يشاء ...

بل تجاوز هذه المرحلة ... وها هي سفن الفضاء ... تحمله ... فيشق
مناطق الرياح كلها في لحظات ... ويدخل مناطق اللاوزن ... ثم يرق إلى
إلى طبقات أعلى وأعلى ... وينزل على كوكب القمر ...

وها هو سباق الفضاء ... يبشر بالوصول إلى ما هو أبعد من القمر !..

وتحققت الإشارة ... في معجزة تسخير الرياح لسليمان ...

وصار الآن ... ما كان معجزة لسليمان ...

حقيقة واقعة ... يستمتع بها كل إنسان ... ولكن عن طريق العلم ...
ومن هنا نقول للذين استبعدوا... بساط الريح ... وذهبوا إلى إنكاره...
لا تسرفوا في الإنكار ... فإن الإنسان بعلمه الآن ... صنع ما هو أعجب
من بساط الريح الذي كان لسليمان ...

فإن مركبة الفضاء ... التي تنطلق من الأرض إلى القمر ... ثم تعود من
القمر إلى الأرض ... أمكن أن تحقق ما لم يحققه بساط الريح لسليمان ...
وهذا كله بالعلم والتجربة ...

فكيف تستبعدون بساط الريح لسليمان ... وهو صادر من أفق أعلى ...
ومن أمر إلهي « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب »؟!.

تسخير ... الجن ...
لسليمان ... ١٤

لثن . . .

كان تسخير الريح لسليمان عجبياً . . .
فإن ما هو أعجب . . . تسخير الجن لسليمان ! . . .
وأعجب من تسخيرهم . . . أن يقوموا له بأعمال يعجز عنها الناس ! . . .
ثم الأعجب من كل ذلك . . . أنهم لا يستطيعون الإفلات من قبضته
وسلطانه ! . . .

يقول تعالى :

- « والشياطين كل بناء وغواص .
- « وآخرين مقرنين في الأصفاد .
- « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » .

وفي موضع آخر :

« . . . ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا
نذقه من عذاب السعير .

« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات عملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

وفي موضع آخر :

« وحشر لسليان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » .

وفي موضع رابع :

« ومن الشياطين من يفتنون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين » .

وفي موضع خامس :

« قال عفريت من الجنّ أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » .

من هذه النصوص يثبت أن الله أذن لسليمان في تسخير الجنّ ...

وآتاه الله بذلك قوة جديدة ... بالإضافة إلى قوة تسخير الريح ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله :

« وحشم سليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير » ...

أي قواته ... من الجنّ ...

وقواته ... من الإنس ...

وقواته ... من الطير ...

وقبل أن نسبح في هذا البحر العجيب ... بجزر تسخير الجنّ لسليمان ...

يواجهنا سؤال خطير لازم ...

ما هو الجنّ؟! .

الجنّ خلق من خلق الله ...

يأكلون ... ويتزاوجون ... ويتناسلون ... ويطهثون ...

أما دليل أنهم خلق من خلق الله ... فمثل قوله تعالى :

« وخلق الجنّ من نار » .

وقوله تعالى :

« والعجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

فالجنّ ... أو الجانّ ... خُلِقَ من نار ...

أما دليل أنهم يتزاوجون ويتناسلون ويطمثون ... فمثل قوله تعالى :

« لم يطمثهنّ انس قبلهم ولا جانّ » .

ومثل قوله :

« أفقتخذونه وذريته أولياء من دوني » ؟! .

والجنّ مكلفون ... ومنهم الصالحون ... ومنهم المجرمون ...

« وأنتمنا الصالحون ومننا دون ذلك كنا طرائق قدّاداً » .

والجنّ يُبعثون ... وسوف يُسألون يوم القيامة ... فإما إلى الجنة ...

وإما إلى النار ...

وهم يرونتنا ... ونحن لا نراهم ...

لأنهم أجسام لطيفة ... ونحن في أجسام كثيفة ...

« ... إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ...

هذا هو الناموس العام ...

وإذا شفا الإنسان ... استطاع أن يراهم ...

وهذا واقع لكثير من أهل هذه الصفة ...

إلا أن المرتبة الآدمية أشرف من المرتبة الجنية ...

فالإنسان الصالح أرقى وأرقى من الجنّ الصالح ...

قال القاشاني في شرح الفصوص لابن العربي :

« واعلم ان الجن ارواح قوية متجسدة في اجرام لطيفة .
« يغلب عليها الجوهر الناري والهوائي ، كما غلب علينا الجوهر
الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل
بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وسع البشر
متجاوزة ، كالملائكة .

« إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية » .

هذه فكرة سريعة ... سطحية ... كمقدمة لازمة لهذا الباب ... باب
تسخير الجنّ لسليمان ...

والجرم من الجنّ يسمى شيطاناً ...

وهم أنواع منهم المارد ...

« وحفظاً من كل شيطانٍ ماردٍ » .

ومنهم العفريت ... وهو المتمرد ... شديد التمرد ...

« قال عفريتٌ من الجنّ » ...

وبالتأمل في نصوص الكتاب الكريم ... نجد أن الكتاب يشير إلى أن
الذين سخروهم سليمان في الأعمال الشاقة ... التي لا يستطيعها البشر ... كانوا من
مجرمي الجنّ ... الذين يُطلق عليهم الشياطين ... انظر ...

« والشياطين كل بناء وغواص » .

أي : وسخرنا له الشياطين الجنّ ... كل ماهر منهم في أعمال البناء ...
وكل ماهر في أعمال الغوص في البحار ...

ومن حيث أنهم مجرمون متمردون أصلاً ... فيجب أخذهم بالعنف ...
« وآخرين مقرنين في الأصفاد » .
يعاقبهم أشد العقاب ...

ويجلبهم مقرنين ... مقيدين في الأغلال ... جزاء إجرامهم ...
وعقوبة تمردهم !..

بل كان يعاقبهم بما هو أشد ... بإحراقهم حرقاً ... جزاء زيفهم ...
وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَل بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ .
« ومن يزرغ منهم عن أمرنا .
« نذقه من عذاب السعير » .

عذاب النار .. عذاب الإحراق فوراً ...

ثم انظر الى قوله « وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَل بَيْنَ يَدَيْهِ » ...
أي : ونوع من الجن مسخر له ... يعمل تحت يديه ... وله عليه
السلطان التام ...

ثم انظر إلى قوله :

« وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَفْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ » ...

تجد أن المسخر له في الأعمال الشاقة كالغوص في البحار ... هو من نوع
الشياطين ... أي من مجرمي الجن ...

وليس معنى هذا ... أن المسخر من الجن لسليمان هو نوع الشياطين فقط ...
كلا ... وإنما كل الجن مسخر لسليمان ...

وإنما نص على الشياطين ... الذين هم عتاة الجن ... لأنه أدل على القدرة
والتسلط ... فإن الاقتدار على الجبابة والعتاة دليل على قوة المتسلط عليهم ...

كما أن الحكمة في تسخير الشياطين في الأعمال الشاقة ... دون الصالحين من الجنّ ... أن يكون ذلك نوع عقاب لهم وإذلال ... أما الصالحون فالمناسب لهم التكريم وعدم التسخير ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى :

« ... فلما آخروا تبينت الجن أن لو كانوا يعملون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

إذا هم كانوا وهم يعملون فيما يعملون فيه لسليمان ... كانوا في عذاب مهين ... فيه أشد إهانة لهم ... وأشد عذاب !..

كائنات كانت حرّة منطلقه ... تعربد كيف شاءت ... وفجأة سُلست بالأصفاد ... وأرغمت على السخرة ... والعمل باستمرار لأدميين ... ولا تستطيع أن تكف يدها عن العمل ... ولا أن تهرب ... أو تزينغ ...

لأن هناك عقاباً أليماً ... ينتظرها ... إما الأغلال ... وإما الإحراق ... وزاد في غيظهم ... أنهم لبثوا هكذا مدة طويلة ... يظنون أن سليمان لم يئت ... فلما سقطت عصاه وأيقنوا بموته ... اشتد غيظهم : كيف يمكن أن يكون أسارى سليمان هكذا ... يكدهون وهم لا يعلمون !؟

وإذا علمنا أن هؤلاء المسخرون من الجنّ في شاق الأعمال ... كانوا يعرّبون في الأرض ... بحسب طبيعتهم الشياطينية الإجرامية ... علمنا مدى ضيقهم وضجرهم من القبض عليهم ... وإرغامهم على التسخير في عمل مُعين لهم ...

وعلمنا كذلك مدى الحكمة ... في تسخير هذا النوع الشرير بالذات ... لأن فيه كفتهم عن مباشرة شرورهم ...

كما تقبض الدولة على أكبر مجرميها ... وتزجهم في سجونها ...
منعاً لشرورهم !..

ثم ماذا؟! ثم ما هي الفائدة التي تعود على سليمان ... من تسخير
الجنّ لأمره ... وقد كان يمكن له أن يسخر من شاء من الناس بدلاً منهم؟! .
الفائدة واضحة ... أن الجنّ طاقة عاملة ... انتاجية بلا مقابل ...
وبلا أجور ...

فإن تسخير البشر في العمل ... يحتم أن تدفع لهم أجوراً ... وأن تهيب
لهم مساكن ومتطلبات تتكلف كثيراً ...

أما الجنّ ... فإنهم يعملون ... وينتجون ... ولا يكلفون سليمان
أجوراً ولا إنفاقاً ...

فهم طاقة جبارة منتجة ... بلا أجور أو تكلفة ...

وهذه ثروة ضخمة .. تضاف إلى ثروة الملك سليمان ...

فإنه لا يوجد في الأرض في عصره ملك ... يملك قوة منتجة بلا مقابل من
أحد سواه !..

وفائدة أخرى ... أن الجنّ يقومون بأعمال لا يستطيعها البشر
أيا ما كانوا ...

فالتوص في أعماق المحيطات ... واستخراج الآليء ... وإحضارها بسرعة
الجنّ إلى سليمان ... شيء لا يستطيعه البشر في عصر سليمان ... ولا بعد
عصر سليمان !..

وفائدة ثالثة ... أن فنون الجنّ في أعمال التشييد والبناء وزخرفة المباني
زخرفة عجيبة ... خارقة لعصر سليمان ... كل ذلك يجعل سليمان متفوقاً على
جميع ملوك الأرض في عصره ... وبعد عصره ...

ومثال ذلك في صريح القرآن :

« وقيل لها ادخلي الصّرح .

« فلما رآته حسبته لُجّة وكشفت عن ساقبيها .

« وقال إنه صرح ممرّدٍ من قوارير » ...

هذا القصر الأملس ... المُشيد كله من زجاج مختلف الألوان ... مما دفع ملكة سبأ أن ترفع نوبها ... وتكشف عن ساقبيها ... ظناً منها ... أنه بحر يجري فيه الماء !..

بمن صنع له هذا القصر العجيب ... الذي لا عهد لملك من الملوك بمثله ؟! . إنهم الجنّ ... أصحاب الصناعات البديعة ... التي لم يكن البشر حتى عهد سليمان ... يعلمون عنها شيئاً !..

وهذا تفوق كبير ... لسليمان على جميع ملوك عصره ... بل على جميع ملوك من بعده ...

فما سمعنا أن ملكاً ... أقيم له قصر كبير كله من الزجاج شديد الشفافية ... من قوارير ... تجري المياه من خلاله ... ولا يدرك الناظر اليها ... أن هناك زجاجاً من فوقها من شدة صفاء الزجاج ... وهذا معنى « من قوارير » ...

وهذا كله ... شيء من معاني « ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ... وقد كان ... وما صنع هذا ملكٍ بعده ... وما يستطيع ذلك أحد من بعده !..

ثم ماذا ؟! . ثم إن تسخير الجنّ لسليمان ...

منظر ... من المناظر الإلهية ... الفريدة العجيبة ...

منظر ... خطوطه العريضة ...
 مَلِك من البشر ... له سلطان مطلق على عوالم الجنّ ...
 والجنّ عوالم بالملايين ... لا يحصيهم إلا الله ...
 وسليمان مُسلط عليهم بإذن الله ...
 يأمرهم بما شاء ... ولا يعصون له أمراً ...
 ويسخر منهم ما شاء ... فيما شاء ...
 ويعتقل منهم من شاء ... ويفرج منهم عن شاء ...
 « فامنن أو أمسك » ...
 امنن على من شئت منهم بالإفراج عنه ... أو إعفائه من السخرة ...
 أو أمسك من شئت منهم ... معنقلاً في الأصفاد ... أو أمسك من منهم
 مسخراً في الأعمال ...
 يأمرهم أن يعملوا له ما يشاء ... ما يخطر على باله ... من عجيب
 الإنشاءات العبادية ...
 « يعملون له ما يشاء من محاريب » ...
 ويخرجونها أبداع إخراج ... ويزخرفونها بعجيب الزخارف ...
 « وتمائيل » وكان ذلك مشروعاً في شريعته ... يبثونها في المعابد ...
 أو يأمرهم بإقامة أضخم المشروعات الدنيوية ... في أسرع وقت ...
 « وجفان كالجواب » وقصاع للطعام كأنها الحياض الضخمة ...
 أدوات الطعام ... التي يُقدم فيها الطعام لألوف الجنّ ...
 وألوف الضيوف ...

« وقدورِ راسيات » ثابتات لضخامتها ... من الصعب نقلها لثقلها
وضخامتها ...

لوازم الجيوش الضخمة ... لوازم طهي الطعام لألوف الجنود ... وألوف
العمال الذين يعملون لسليمان ...

منظر فريد ... ألوف من الجنّ ... تعمل ليل نهار لسليمان ...

هذا في البر ... فماذا في البحر !؟

« ومن الشياطين من يغوصون له » ...

عمالقة من الجنّ ... يغوصون له في سائر البحار ...

ويستخرجون له اللؤلؤ والمرجان ... وما يحتاج اليه من غرائب البحار ...

ثم يعودون يحملون ما استخرجوا ... ويضعونه بين يديه ...

ليس ذلك وحده ... بل هم

يخافونه خوفاً شديداً ...

ويدلك على ذلك ... أنهم مكثوا يعملون له ولا يجترءون على التوقف عن

العمل ... طيلة لبشه متكئاً على عصاه ... رغم أنه كان ميتاً ...

ولكن إذا نظروا ... ورأوه قائماً ... ظنوا أنه حيّ ... فاستمروا

يعملون ! ..

وهذا يفسر لك شدة خوفهم من سليمان ! ..

لقد كان سليمان آنذاك سلطان البشر ... المسلط عليهم ...

وكان هذا إشارة إلى قوة الجنس البشري ... وتفوقه على الجنس الجنسي ...

وهاهو بشر واحد ... آدمي واحد ... وكل الجنّ مسخرون لأمره بإذن ربه ...

فهو أعلى منهم جميعاً ... لأنهم سُخروا له جميعاً ...

منظر من المناظر الالهية الفريدة العجيبة ...

تجلت في سليمان ... وكم هناك من مناظر إلهية ... تجلت فيه !..
وهناك معنى أنسب بمقدرة الجن في قوله « وجفان كالجواب » وقضائغ
ضخمة كالحياض في الضخامة ...

« وقدور راسميات » وقدور ضخمة لا تُحرك من أماكنها ...

وهذا كله لزوم الصناعات المعدنية التي كانت تعج بها دولة سليمان ...

جفان كالجواب ... أحواض ضخمة يُصب فيها الحديد ... أو النحاس
المذاب ... ليتشكل بالأشكال المطلوبة ...

وقدور راسميات ... وهي المرحلة السابقة على صب الحديد المذاب والنحاس
في الجفان ... مرحلة صهر الحديد أو النحاس ... وهذه يتحتم أن تكون قدوراً
ضخمة متينة مما يجعلها يصبب نقلها أو تحريكها ... حيث يوحد تحتها النيران
لصهر خام الحديد أو النحاس الذي فيها ...

أي ان الجنّ يصنعون له ما يعجزز البشر عن صناعته من لوازم صناعات
الحديد والنحاس ...

فالقدور لصهر الحديد والنحاس ...

والجفان ... لصب سائل الحديد والنحاس فيها ... لتشكيله في الهيئة
المطلوب تشكيله فيها ...

وهذا أنسب لطبيعة الجنّ ... وعظمة الأعمال التي قاموا بها لسليمان ...
وأظهر لوجه المنّة التي منّ الله عليه ... وميّزه بها !..

جفان ... كالجواب ... كالأحواض ...

انها أحواض الصب ... صب سائل الحديد ... أو سائل النحاس ...
بحيث إذا برد أخذ الشكل المطلوب .

ففي الحوض المستدير ... كان لوحاً من الحديد مستديراً ...

وفي الحوض المستطيل ... أعطى لوحاً مستطيلاً وهكذا ...

أما القدور الراسيات ... فهي المرحلة الأولى ... حيث يُصهر الحديد أو
النحاس ... وهذه الأفران يتم أن تكون سميكة الجدران ... غليظة
البنيان حتى لا تتفجر وتتشقق ... ومن هنا كانت راسيات ... لا تتحرك
وإنما هي ثابتة لتقاوم قوة صهر الحديد أو النحاس ...

وهذا يدخلنا إلى معجزة أخرى؟! .

وَأَسَلْنَا ... لَهُ ... عَيْنَ الْقَطْرِ ... ١٤

جمع ...

الله ... في آية واحدة ... من كتابه الكريم ...

ما خصّ به سليمان ... من معجزات ... زيادة على ما ورثه عن أبيه داود
عليهما السلام ...

حيث قال عزّ من قائل :

« ولسليان الريح غدوها شهر ورواحها شهر .

« وأسألنا له عين القطر .

« ومن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه
من عذاب السعير » .

أرأيت ؟!

المعجزات الثلاث التي آتاها الله سليمان ... زيادة عن أبيه ... أو بالإضافة
إلى ما ورثه عن أبيه ...

سجلت في آية واحدة !..

الريح ... « ولسليان الريح » ... ولسليان خاصة سخرنا له الريح ...
زدناه تسخير الريح ...

عين القطر ... « وأسألنا له » له خاصة ... « عين القطر » عين الحديد ... أو عين النحاس ...

قالوا : أسألنا من الإسالة ... أي أذبننا له من الإذابة ...

وقال البخاري : وأسألنا له عين القطر : أذبننا له عين الحديد ...

وقال قتادة : عين من النحاس ...

وقال الأعمش : سيلت له كما يسال الماء ...

الجنّ ... ومن الجنّ من يعمل بين يديه ...

وهكذا وردت المعجزات الثلاث في آية واحدة متتابعات ...

تسخير الريح ... اسالة الحديد ... تسخير الجن ...

فانضم إلى مُملكه علاوة على ما ورثه عن داوود ... قوَى ثلاث ... ربيع تجري بأمره ... حديد أو نحاس ... يسيل له كما يشاء ... عالم من الجنّ يعمل بين يديه ... أمام عينيه ... وطوع أمره ...

ولكن ما هي عين القطر هذه التي أسأها الله لسليمان ؟!

هل هي عين تسيل بالحديد كما تسيل العيون بالماء ... أو عين تسيل بالنحاس ... كما تسيل العيون بالماء ؟!

ثم يفرف منها سليمان سائل الحديد ... أو سائل النحاس ... ويصنع منه ما شاء من مصنوعات ؟!

هذا جاز في القدرة ... وأظهر المنّة على سليمان ... ودليل على أن الله خصّه بشيء لم يكن لأحد قبله ولا لأحد بعده ... استجابة لدعائه « وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ...

يبقى إشكال آخر ... هل القطر هو الحديد أم هو النحاس ؟!

الإمام الكبير البخاري ... ذهب إلى أنه الحديد ...
والذي يميل اليه القلب ... هو رأي البخاري ...
ويقوي ذلك أن الآية السابقة على الآية الجامعة للمعجزات الثلاث تقول :
« ولقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد » .
« أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير » .
وبعد هاتين الآيتين مباشرة :
« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسألنا له عين القطر » ...
فبالنسبة إلى داوود ... « وألنا له الحديد » . جعلنا الحديد له ليتنا
كالشمع ... يشكل منه ما شاء من دروع سابغات ...
وبالنسبة إلى سليمان ... « وأسألنا له عين القطر ... » أي آتيناها عيناً
يسيل منها الحديد كما يسيل الماء ... تتمتع لعطاء داوود ... وزيادة عليه ...
فبعد أن ألين لداوود الحديد ... صار لسليمان مذاباً يسيل كما يسيل الماء ...
ليتم سليمان ما بدأه داوود من مصنوعات ...
وإذا أخذنا أن « القطر » هو النحاس ... فتكون المعجزة هنا مميزة عن
معجزة داوود في إلانة الحديد ...
هذا من ناحية القطر ... هل هو الحديد أم هو النحاس؟! .
المهم أن الله أعطى سليمان منبعاً ينبع بالحديد ... ويمده بما شاء من المادة
الخام ... خام الحديد ...
وها هنا نفهم الإشارة في قوله تعالى :
« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات » .

« اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

« يعملون له » يعمل الجنّ لسليمان ...

« ما يشاء » ما يأمر بعمله ...

« من محاريب » المحاريب بنيان ما دون القصور ... وقيل المحاريب جمع

محراب وهو مقدم كل بيت ... وهو أيضاً المسجد والمصلى ...

أي ما يشاء من واجهات المباني ... التي يتركز فيها النقش والزخرفة ...

أو واجهات المعابد ... حيث فن النحت والتصوير ...

« وتمثيل » جمع تمثال ... وهي الصور ... وكان عمل الصور في الجدران

وغيرها سائفاً في شريعتهن ...

والتماثيل تحتاج إلى فن رفيع ... وعلم بديع ... وكانوا يبشونها في

القصور والمعابد ...

« وجفان كالجواب » الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ... شبهت

بالجوابي وهي الحياض التي يجبي فيها الماء ...

أي ... وقصاع كالحياض اتساعاً ...

« وقُدورٍ راسياتٍ » أي ثابتات لا يحركن من أما كنهن لعظمن .

وكما قلنا من قبل ... أن القدور الراسيات ... هي أفران الصهر ... صهر

الحديد أو النحاس ... وهذه يلزم أن تكون قدوراً ضخمة على الغاية من الصلابة

وسمك الجدران ... لتتحمل حرارة الصهر المرتفعة ... وهذا يفسر قوله

« راسيات » أي ثقيلة لا يمكن تحريكها ...

وأما الجفان كالجواب وقد فسرها الأقدمون ... بالقصاع كالحياض

اتساعاً ... فهذه هي الحياض التي يُصب فيها الحديد السائل أو النحاس

السائل ... بعد نقله من أفران الصهر أو القدور الراسيات ... لتشكيله في

الهيئة المطلوبة وتبريده ... فيجف ويبرد ... ويأخذ شكل الحوض المصبوب فيه ... أي يصير ألواحاً من الحديد أو النحاس ... ومن هذه الألواح ... تبدأ صناعة الحديد ... وصناعة النحاس ...

وها هنا ... يُضاف فهم جديد ...

انه يمكن أن يكون قوله « وأسألنا له عين القطر » ... بمعنى مكناه من اسالة الحديد ... وإسالة النحاس ... مكناه من اذابة الحديد والنحاس ... من صهر الحديد حتى يصير كالماء ... وصهر النحاس حتى يصير كالماء ...

وهذا يكون في أفران الصهر ... في القدور الراسيات ...

ثم مكناه من صب هذا السائل الحديدي ... أو النحاسي ... في أحواض التبريد ... جفانٍ كالجوابِ كالحياض ... وهي أحواض فعلاً ... وبالتجفيف عن طريق التبريد في هذه الأحواض ... يعود الحديد أو النحاس صلباً كما كان ... إلا أنه أخذ الشكل المطلوب ...

يمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً ... وهو لا ينافي المنسّة على سليمان ... لأن إقامة أفران الصهر ... وأحواض التبريد ... لم يكن قائماً من قبل ... فإذا مكّن الله سليمانَ من إنشاء أفران الحديد وأحواضه ... بهذه الضخامة ... وسخّر له الجنّ ليعملوا له ذلك ... وهو ما لم يكن موجوداً ولا معلوماً للناس من قبل ... فإن ذلك يعتبر منسّة وأي منسّة؟! ...

وسواء هذا الاحتمال ... أو احتمال أن اسالة عين القطر ... كان اسالة عين بالحديد المذاب حقيقة ...

فالحلاصة أن الله أعطى سليمان منبع الحديد ومنبع النحاس ...

وهما أساس إقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة كلها في عصره ... العسكرية أو المدنية ...

وسخّر له في ذلك جنوداً ليست لأحد سواه من الملوك في عصره ... أو
من بعده ...

سخر له الجنّ ... يعملون له ما يشاء ... من بديع المباني ... وروائع
المايبد ... وعجيب التماثيل ...

فإن احتاجوا إلى الحديد ... فالحديد بكميات وافرة ...
وإن احتاجوا إلى النحاس ... فالنحاس مكسب لديه ...
وهذا تفوق له على سائر ملوك زمانه ... وبعد زمانه ...
والقوة العاملة في هذا ... قوة خارقة ... لها قدرة خارقة ...
قوة الجنّ ...

ينتجون ويعملون بلا مقابل ...
لأنهم مسخرون ... مهددون جميعاً بالإحراق فوراً ... إذا زاغوا
عن أمره ...

« ومن يزغ منهم غن أمرنا نذقه من عذاب السعير » !
نذقه فوراً ... عذاب الإحراق ...
وليس معنى عمل الجن لسليان في هذه الأعمال كلها ... أنه أوقف عمل
الإنس في مملكته اكتفاء بالجنّ ...

كلا ... فالكل يعمل عملاً دائماً ...
الإنس يعملون ... « اعملوا آل داوود شكراً » ...
اعملوا لكم ... واشكروا الله ...
والجنّ ... « يعملون له ما يشاء ... » !!!

انها عملية التنافس والمنافسة ... التي هي أساس الإبداع في الأعمال ...
البشر يعملون ... ما هو في قدرة البشر من أعمال ...
والجنّ يعملون ... فيما لا يستطيعه البشر ... وما هو فوق قدرة البشر ...
وبذلك تتم النعمة ... وتستوجب الشكر ... « اعملوا آل داوود
شكراً » ..
وسوف نرى ... في فصول قادمة ... عجائب إنشاءات سليمان ...
وبدائع الصناعات ...
عجائب ... اجتمع فيها فنون البشر ... وفنون الجنان ! ..

فذكرت ... دعوة ...
أخي سليمان ... ١٤

أخرج البخاري ...

« عن أبي هريرة رضي الله عنه .

« عن النبي صلى الله عليه وسلم .

« ان عفريتاً من الجنّ تفلّتت البارحة .

« ليقطع عليّ صلاتي .

« فأمكنني الله منه فأخذته .

« فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا

اليه كلّم .

« فذكرت دعوة أخي سليمان ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي .

« فرددته خاسئاً » .

قالوا : عفريت : متمرّد من إنس أو جان ...

والعفريت : القوي المتشيطان ...

تفلّتت : تعرّض لي فلتة أي بفتة ...

فذكرت دعوة أخي سليمان ... الخ : دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان

يقدر على ذلك ، إلا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام .

قال ابن العربي :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتي سليمان وما ظهر .

« فمكّنه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليفتك به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلعب ولدان

المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام فرده الله خاسئاً .

« فلم يظهر عليه الصلاة والسلام بما أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله (مُلْكًا) فلم يعم ، فعلمنا أنه يريد مُلْكًا ما ، ورأينا قد

شورك في كل جزء وجزء من الملك الذي أعطاه الله .

« فعلمنا أنه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفريت إنه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولو لم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفريت « فأمكنه الله منه »

لقلنا انه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه لا يقدره الله على أخذه فرده الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه .

« ثم ان الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلمنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان الظهور بذلك

في العموم .

وهذا رأي لطيف لابن العربي ... انه يريد أن يقول ... أن الذي لا ينبغي

لأحد من الناس بعد سليمان ... هو عموم تسخير الجنّ له ... عوالم الجنّ كلها
مستخرّة لسليمان في عمومها ... أما تسخير جنّي واحد ... أو عدد محدود من
الجنّ ... فيجوز أن يقع هذا لأحدٍ بعد سليمان ...

أما السيطرة على جميع الجنّ ... والتمكّن من عوالمهم كلها ... وتسخيرها
كلها ... وظهورها عياناً مجسّمة ... فهذا لا يكون إلا لسليمان ... وهو يدخل
في عموم دعوته « مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي » !..

وهو رأي رائع جميل !..

الملك سليمان ... يستعرض ...
سلام الفوسان ...!

قال تعالى ...

- « إذ عرض عليه بالمشي الصافناتُ الجيادُ .
« فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب .
« رُدوها عليّ فطمق مسحاً بالسُّوق والأعناق » .
أثنى الله تعالى على سليمان فقال :
« ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب » .
ثم أعطانا مثلاً جميلاً ... يدل على أن سليمان كان أواباً ... في أمره كله ...
رجعاً إلى ربه ... في شئونه كلها ... فقال :
« إذ عرضَ عليه ، إذ أمر بإقامة استعراض عام لسلاح الفرسان
من جيشه ...
فأقيم الاستعراض الملكي ... وجلس سليمان على المنصة ومن حوله قادة
الدولة ... وعرض عليه ...
« بالمشي » بالمساء ... وهو أفضل وقت لاستعراض الخيل ... حيث
يكون النسيم جميلاً ... لا يرهق الخيل في جريها واستبقاها ...
« الصافنات » الخيل الصافنات ... وهي الخيل التي تدور سريعاً كالرحى ،
على طرف حافر من حوافره ، ان أراد الراكب تدويره ... وهي من أجمل
- (م ٧ - حياة سليمان)

أوصاف الخيل ، وأكملها عند أصحاب القتال ، إذ المبارز كثيراً ما يحتاج إلى
قدوير فرسه يوم الحرب ... وأثناء النزال ...

« الجياد » سريعة الجري والعدو ...

وذلك انه قد جلس على كرسيه يوماً ... لإعداد أسباب القتال الذي قصد

الخرُوج اليه يومئذ ... فأمر بعرض الخيول عليه ...

وفي بعض التفاسير ... عُرِض عليه عشرون ألف فرس !..

منظر عسكري رائع ...

عشرون ألف فرس ... من أحسن أنواع الخيل ...

يركب عليها فرسانها ...

ويمرون جميعاً على الملك سليمان ... وهم يسابقون الريح بخيولهم ...

يتتابعون أمامهم عدوياً ... سراعاً ... حتى يغيب الفارس بفرسه عن

الأعين ... ويتوارى في الأفق ... يتوارى بالحجاب ... بحيث يحتجب

عن الأنظار ...

واستغرق الاستعراض الكبير وقتاً طويلاً ...

وأحس سليمان ان الاستعراض أثار إعجاب الحاضرين ...

« فقال اني أحببت حب الخير » حب الخيل ... والعرب تسمي الخيل

خيراً ... لما فيها من الخير ...

« فقال » فوراً بمجرد أن لاحظ سليمان استغراق الجماهير في تتبع

الاستعراض ... وإعجابهم بكثرة الخيل ... وإعجابهم بقوة الدولة ...

فوراً ... قال ... مخاطباً ربه ... مناجياً خالقه ... معتذراً اليه ...

أو اباً اليه ...

« اني أحببت حب الخير » يا رب اني أحببت حب استعراض
هذه الخيل ...

« عن ذكر ربي » حباً صادراً عن ذكر ربي ... اعلاء لدينك ... ونشراً
لدعوتك ... وإحقاقاً للحق في الأرض ... ما أحببتها لذاتها ... ولا إعجاباً
بالقوة ... وإنما أجريتها تنفيذاً لأمرك ... وتمظيماً لجلالك ... وما النصر إلا
من عند الله ...

اللهم اجعلها في سبيلك ... وابتغاء مرضاتك ... ولا تفتننا بقوة ... ولا
تجعلنا نركن إلى الأسباب فتمهلك ...

« نعم العبد انه أواب »؟! .

وهذا مقام من مقامات سليمان ...

ها هو يُعرض عن الخيل ... ويستغرق في مناجات ربه ...

وهكذا أولئك الأنبياء ...

كلهم لله ... ظاهرهم باطنهم ...

حركاتهم ... سكناتهم ...

ها هو يحول استعراض الخيل ... إلى سيمفونية رائعة ... من ذكر الله ...
وشكره على نعمته عليه ...

ها هو يؤوب ويؤوب ... لربه شاكراً ... ذاكراً ... راداً الأمر
كله لله ...

وظل هكذا طيلة مدة الاستعراض ... حتى؟! .

« حتى توارت بالحجاب » حتى غابت الشمس وتوارت بالأفق ...
واحتجبت عن العميون! ..

هنالك ... وقبل أن يغطي الظلام الأفق ... وتتمنر رؤية الخيل ...
أصدر سليمان أمراً؟! .

« رُدُّوها عليّ » أعيّدوا الخيل ... تمر عليّ ... تباعاً ... مشاة في سير
بطيء ... بعد ان كانت تمر عليّ وهي تعدو سراعاً ...
وعادت الخيل تمر على سليمان ... متتابعة ...
ووقف الملك سليمان يستقبلها ... كلما مرّ عليه فرس أصيل ... وعلى
صوته فارس كريم ...

« فطفق مسحاً » فجعل مسح سليمان بيده الشريفة ...
« بالسوق » تارة مسح بيده ساق الفرس ...
« والأعناق » وتارة مسح عنق الفرس ...
تكريماً للفرس ... وتكريماً للفراس ...
وهذه الملاحظات للخيل ... تفرح بها الخيل ... وتتمايل لها
طرباً وسروراً ...
ويدرك الفرسان منها ذلك ... فتراهم يمسخون بسوقها وأعناقها ... وهي
تتراقص طرباً! ..

ما أعظم الأنبياء! ..
وما أكرم الأنبياء! ..
انهم أشرف البشر على الإطلاق ...
تصرفاتهم أكمل التصرفات ...
وأحوالهم أزكى الأحوال ...
ها هو النبي ... المسك ... سليمان ... عليه السلام ...

يستعرض آلاف الخيل ... وآلاف الفرسان ...
فما شغله ذلك عن ذكر ربه ...
بل جعله ذلك ... متوجهاً بكل قلبه إلى ربه ...
فبينما هو في الظاهر ... في استعراض ... في الناس ... إذا هو في
الباطن ... يتوجه إلى ربه ... أن يبارك هذه الخيل ... وهؤلاء الفرسان ...
وأن يجعل ذلك كله في سبيل الله ...
حتى الخيل ... لم تحرم من رحمة النبي سليمان ...
ها هو يمسح منها ... بالسوق والأعناق ...
وحين تمسح يد النبي فرساً ... يحس ذلك الفرس ... برحمة تسري
في ثناياه ...
لأن الأنبياء ... ممدودون من الله ...
الأنبياء مستودعات للرحمة الربانية ...
فإذا مسّوا شيئاً ... سرى فيه من رحمتهم ...
ولا تعجب ... فإنه سليمان ... وارث داوود ... بكل فضل الله
على داوود ...
وإنه من سخر الله له الريح تجري بأمره حيث يشاء ...
وإنه من سخر الله له الجنّ ...
نبيّ هذا بعض شأنه ...
أتعجب أن تسري الرحمة منه ... إلى الخيل ... إذا مسح منها بالسوق
والأعناق؟! .

وما .. كفر ... سليمان ١٤...

« وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً .

« شياطين الانس والجنّ .

« يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » ..

ناموس أزي ... ما من نبي إلا جعل الله له عدوآ ...

أي ... ضدآ ...

قوآى مضادة له ...

هم أهل الظلام ... شياطين ... مجرمو ... الإنس ... ومجرمو الجنّ ...

يُوحى بعضهم ... يوسوس بعضهم إلى بعض ... زخرف القول ... باطل
الأقاويل ... وتزاوريق الأوهام ...

غروراً ... وهنما ... يتوهمون من جهلهم أنهم يستطيعون اطفاء نور
الأنبياء ... الذي هو من نور الله ... بأفواههم ... وبما يصدر عنهم
من أباطيل !..

وهيات هيات ...

فلو استطاع أحد ... أن يُطفىء الشمس ... اذا نفخ من فيه نفخة ...

لاستطاع هؤلاء المجانين ... أن يطفئوا نور الأنبياء !..

ولكنه ناموس إلهي ...

ما من نبي ... إلا جعل الله له عدوًّا ... شياطين الإنس والجنّ ...
لماذا؟! ليتحقق الصراع ... بين الحق ... الذي جاء به الأنبياء ...
وبين الباطل الذي جاء به الأعداء ...

ومن ضرب هؤلاء بهؤلاء ... وهؤلاء بهؤلاء ...
تتشعشع الشرارة ...

وتنفجر الذرّة ... ويسطح الحق ... ويزهق الباطل ...

« بل نقذف بالحق .

« على الباطل فيدمغه .

« فاذا هو زاهق » !..

فكل نبي ... له عدو ... له ضد ...

وكما يصاول الأنبياء عن حقهم بالقول الحق ...

يصاول الأعداء عن باطلهم ... بزخرف القول غروراً !..

وسليمان ... باعتباره نبياً من الأنبياء ...

يتحتم دخوله ... في هذا الناموس ... ولن نجد لسنة الله تبديلاً !..

فماذا قال أعداء سليمان عنه ... وماذا زخرفوا من الأباطيل؟! .

رشقوه ... بأنه ساحر !..

وتلك التهمة عناها الأنبياء جميعاً ... من قبله ... ومن بعده !..

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا .

« ساحر أو مجنون » .

ما من نبيّ ... إلا رشقوه بإحدى هاتين الفريتين ...

إما ساحر ... وإما مجنون ...
أو بهاتين الأكدوبتين معاً ... ساحر ومجنون ...
والكتاب العزيز ... ناطق بذلك ... في ثناياه ...
ولا يلزم سرد ما ورد فيه ... فإنه مشهور معلوم ..
وحين حار المسمى فرعون في أمر موسى ...
رشقه بالتهمتين معاً ...

« فتولى برُكته وقال .

« ساحر أو مجنون » !..

هكذا ... ظن هذا اللعين ... أنه قضى على موسى ... حين قرر ... أنه
إما ساحر ... وإما مجنون !..

فماذا هاتين الفريتين بالذات ... يرشقون بهما أو بأيهما الأنبياء ؟!..
منشأ هذا هو الغباء !..

غباء البشرية المتواصل ... وقليل من الناس الأذكياء !..
الغباء يدفع الأغبياء ... إلى رفض ما أتى به الأنبياء !..
والعقدة منشؤها ... أن الأنبياء يأتون الناس ... بأفئد أعلى مما ألفوا ...
يدعونهم ... مثلاً ... إلى إله واحد ...

أيعقل هذا ؟!..

هل يُعقل أن يدير ويدبر هذا الملكوت كله إله واحد ؟!..

« اجْعَلِ الآلِهَةَ إِلهًا واحدًا .

« إن هذا لشيء عجاب » !..

عجاب ؟! . ليس شيئاً عجبياً ... وإنما عجاب ..
إن عقولهم اضطربت أمام هذه الحقيقة الجبّارة الهدّارة ..
فليس أمامهم إلا أن يرفضوها ثم يقاوموها ... ثم اتهم آمن جاء
بها بالجنون !..

فإذا تحداهم الأنبياء بالمعجزات الخارقات ... ولم يستطيعوا لها تفسيراً ...
قالوا ... ساحر ... ما جاء به نوع من السحر !..

تمويهاً على الناس وتخليطاً !..

وهذا ما أصاب سليمان ... من هؤلاء المجرمين ...

رشقوه ... انه ساحر !..

لم يستطيعوا لمعجزاته تفسيراً ...

انه يُسخّر الريح ... تجري بأمره حيث يشاء ... عاصفة ورُخاء ...

ما هذا ... أيعقل هذا ؟!

فماذا إذا يقولون ... قالوا ... انه ساحر ... يسحر الريح ...
ويسخرها بالسحر !..

انه يُسخّر الجنّ ... تعمل بأمره ما يشاء من عجائب الإنشاءات ...
وتفوص له في البحار ... وتأتيه بالمنقولات على بعد آلاف الأميال وتضمها بين
يديه ... كما قال ذلك العفريت :

« قال عفريت من الجنّ .

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » !..

أيعقل هذا ... وكيف هذا ؟!

فماذا يزخرفون في تعليل تلك الخوارق ؟!

ليس أمامهم ... ألا أن يقولوا للناس ... ان سليمان ساحر ... بارع في
السحر ... يُسخر الجنّ بالسحر ... بالتعاونيد ... والأقسام ... فتتطاولع
له ... وتعمل له ما يشاء !..

هكذا ... كأنهم أتوا على سليمان بهذا من القواعد ؟!
وهذا جهل ... وغباء ... منتهى الغباء ...
فإن السحر ... علم تافه ... يستطيعه كثير من التافهين ... ويمكن تعلمه
لمن شاء ...

ولكن معجزات سليمان ... ليست سحراً ... أيها الحمقى الأغبياء ...
معجزات سليمان ... أمرٌ ... صادر من الله ... فضلاً منه على نبيه ...
« وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب » ..
إنا نحن الله ... سخرنا ... له خاصة ... الريح ...

قلنا : يا ربح أطيعي أمر عبدنا سليمان ... حيث يشاء ... عاصفة
أو رخاء !..

فسمعت الريح لأمر ربها ... وحُقَّت ...
وكذلك الجنّ ...

« والشياطينَ » وسخرنا له ... نحن الله ... الشياطين ...
قلنا ... يا أيها الجنّ ... يا أيها الشياطين ... أطيعوا أمر عبدنا سليمان ...
وسمعت الجنّ لربها ... وتطاولعت لسليان ...
لماذا ؟!

« باذن ربه » انه إذن من الله ... لسليان ...

ما كان سليمان يستطيع أن يُسخر نملة ... إلا أن يأذن الله له ... وإلا أن
يصدر الله إلى النملة أمراً! ..

تلك هي مصادر معجزات سليمان ... وهذا ما يعملو على عقول أعدائه ...
فلا يستطيعون له فهماً! ..

ودافع الله عن نبيه سليمان فقال :

« واتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ .

« وَمَا كَفَرِ سُلَيْمَانُ .

« وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا .

« يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ » ...

ماذا تتلو الشياطين على ملك سليمان؟! .

ماذا يقول شياطين الإنس والجنّ على عهد سليمان؟! .

وماذا يقولون عن عجائب ملكه ... من تسخير الريح ...
وتسخير الجنّ؟! .

ماذا يُرجفون ... وماذا يزعمون؟! .

يذيعون في الناس ... أن سليمان ساحر! ..

وأن كل ما يصدر عنه من خوارق ... وما يعمل له الجنّ من عجائب ...
إنما هو سحر ...

إنه يسخر الجنّ ... بتعاويذ كتعاويذ الرهبان والعرّافين ...

وشاع ذلك وذاع ... على ملك سليمان ... أي على عهده ...
وتناقله أعداؤه! ..

« وما كَفَرَ سَليمانُ » ما نافية ... أي لم يكفر سليمان ... لأن السحر
وتعاطيه ونسبة المعجزات إلى السحر ... كفر بالله ... وقدرته ... وسلطانه
العظيم على خلقه ...

وهذا مستحيل في حق الأنبياء أجمعين ...

ومستحيل أن يصدر عن سليمان ... النبي الكريم ...
لأن السحر يبطل تأثيره بمجرد إبطال مفعوله وتأثيره ...

« ما جئتم به السحر .

« إن الله سيبطله » ...

وليس كذلك المعجزة ...

لأنها حق واقع ... ما له من دافع ...

فلو اجتمع الإنس والجنّ ... على أن يوقفوا ... مثلاً ... تسخير
الجنّ لسليمان ما استطاعوا ...

لأن هناك أمر من الله ... ان تتسخّر لسليمان !..

أما السحر فهو تمويه وحييل ينتهي بانتهاء تأثيره ...

« ولكن الشياطين كفروا » ولكن المجرمين ... من شياطين الإنس
والجنّ ... هم الذين كفروا ... حين كفروا بسليمان ... وأنكروا نبوته ...
وأنكروا معجزاته ... وأنها شيء من الله ...

« يعلمون الناس السحر » وما زالوا يعلمون الناس السحر ...

وهو علم ضار ... لا خير فيه ...

والأعيب ... وتمويه ...

يحاولون بذلك ... اضلال الناس ... وإضرارهم وإرهابهم ...

وحاشا لسليمان ... أن يكون ساحراً ...
ولو كان ساحراً ... كما تشيعون وترجفون ...
لكان الجنّ أول من يتفلسف من سلطانة عليه ...
ولكنهم يعلمون ... أن الأمر أمرنا ... والتسخير بإذن منسأ ...
فأنى لهم الهروب ... من أمرنا ...
« ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » .
المعجزة ... أمرٌ ... من الله ...
والسحر ... باطل ... من أباطيل الناس ...
هذا هو الفارق ... بين المعجزة ... وبين السحر ...
المعجزة ... بُرهان ... على قدرة الله ... يؤيد بها من شاء من أنبيائه ...
والسحر ... بُهتان ... يصدر عن لا خلاق لهم من الإنسان ...
« ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم .
« ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق .
« ولبنس ما أشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .
لو كانوا يعلمون؟! .
وأنى لهم العلم ... وأكثرهم أغبياء؟! .

سليمان ... يبني ... البيت ... ١٤

نبي كريم ...

وملك عظيم ...
وهب الله له ملكاً ... لا ينبغي لأحد من بعده ...
ترك له أبوه داوود ... كل امكانيات تشييد بيت الله ...
وأوصاه أن يبني لله بيتاً ... وأصى الشعب كله أن يعاونوه في اقامة ذلك
البيت ...

فما أن استقر سليمان على عرشه ...
وما جاءت السنة الرابعة من حكمه ...
حتى شرع في تشييد البيت ... وصب فيه كل امكانيات ملكه ... وسخر
له طاقات البشر ... وطاقات الجن ...

فجاء أعجوبة من أعاجيب البناء ...
لا يضارعه بناء على الأرض في عصره ...
واستغرق التنفيذ سبع سنين ...
وافتحه سليمان رسمياً ...
ودعا إلى حفل الافتتاح كل الشعب ... رؤساء ومرءوسين ...
وكان يوم الافتتاح عيداً عظيماً ... وحدتاً جسيماً ...

لقد كانت أمنية قناتها داوود ...
ومات وهو يُعيد لها ...
فأوصى ابنه سليمان ... بتحفة يقيمها ... فحفتها في اخراج يفوق ما كان
يتخيله داوود ..!
فكيف كان ذلك ؟!
اليك مقتطفات مما جاء عند أهل الكتاب ... تضع أمامك صورة حياة
لذلك المشهد المجيب ...

وكان لسليمان أربعون ألف منود لخيل مركباته .
« وإثنا عشر ألف فارس ...
« وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً ، ورحبة قلب كالرمل الذي
على شاطئ البحر ...
وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ...
« وكان صيته في جميع الأمم حواليه .
« وتكلم بثلاثة آلاف مثل .
« وكانت نمانده ألفاً وخمسة ...
« وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان ، من جميع ملوك
الأرض الذين سمعوا بحكمته . »

هذا شيء عن سليمان ... وعظمة شخصيته ... وعظمة ملكه !..
فماذا عن البيت ؟!

« ... في السنة الرابعة لملك سليمان ... بنى البيت للرب ...
« وكان كلام الرب الى سليمان قائلاً :

« هذا البيت الذي أنت بانيه ، إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي
وحفظت كل وصاياي للسلوك بها ، فاني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به الى
داود أبيك » ...

لقد بدأ سليمان بناء البيت في السنة الرابعة من ملكه ... فكيف كان
هذا البيت ؟!

« فبنى سليمان البيت وأكمله .

« وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز ، من أرض البيت إلى
حيطان السقف .

« وغشاه من داخل بخشب ، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو .

« وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض
الى الحيطان .

« وبنى داخله لاجل المحراب أي قدس الأقداس .

« وأربعون ذراعاً كانت البيت ، أي الهيكل الذي أمامه .

« وأرّز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قتياء وبراعم زهور .

« الجميع أرز . لم يكن يرى حجر .

« وهياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب .

« ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً ، وعشرون ذراعاً عرضاً ،

وعشرون ذراعاً سمكاً .

« وغشاه بذهب خالص ، وغشى المذبح بأرّز .

« وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص .

« وسدّ بسلاسل ذهب قدام المحراب ...

« وغشاه بذهب .

« وجميع البيت غشاء بذهب ، إلى تمام كل البيت ، وكل المذبح الذي للمحراب غشاء بذهب .

« وعمل في المحراب كرُوبَيْن من خشب الزيتون ، علو الواحد عشر أذرع .

« وخمس أذرع جناح الكروب الواحد ، وخمس أذرع جناح الكروب الآخر .

« عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه .

« وعشر أذرع الكروب الآخر .

« قياس واحد ، وشكل واحد للكرُوبَيْن .

« علو الكروب الواحد عشر أذرع ، وكذا الكروب الآخر .

« وجعل الكروبين في وسط البيت الداخلي ، وبسطوا أجنحة الكروبَيْن فمسّ جناح الواحد الحائط ، وجناح الكروب الآخر مسّ الحائط الآخر ، وكانت أجنحتها في وسط البيت ، يمس أحدهما الآخر .

« وغشى الكروبَيْن بذهب .

« وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنقش كروبِيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج .

« وغشّى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج .

« وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون ...

« ورسم عليها نقش كروبِيم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب .

« ورصّع الكروبِيم والنخيل بذهب .

« وكذلك عمل المدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين من خشب السرو .

« المصراع الواحد دفتان تنطويان ، والمصراع الاخر دفتان تنطويان .
« ونحت كروبيم ونخيلذ وبراعم زهور وغشاها بنهب مطرق على المنقوش .

« وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة ، وصفاً من جوائز الأرز .
« في السنة الرابعة أسس بيت الرب ...
« وفي السنة الحادية عشرة ... أكمل البيت ، في جميع أموره وأحكامه .
« فبناءه في سبع سنين » .

هذه صورة تفصيلية ... للبيت الذي بناه سليمان ...
أثبتناها ... من مراجع أهل الكتاب ... لأنها حدث تاريخي وقع في
يوم من الأيام !..

عظمة ... قصور ... سليمان ...!٩

كما ...

أمر سليمان ببناء بيت لله ...

أمر ببناء بيت للملكه ... يجلس فيه ملكاً ...

« وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة ، وأكمل كل بيته .

« وبنى بيتاً وعرضه خمسون ذراعاً ، وعمقه ثلاثون ذراعاً ،
وسمكه ثلاثون ذراعاً .

« على أربعة صفوف من أعمدة الرز ، وجوانب الرز على الأعمدة .

« وسقف بأرز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة .

« وكل صف خمس عشرة .

« والسقف ثلاث طباق ، وكوة مقابل كوة ثلاث مرات .

« وجميع الأبواب والقوائم مربعة مستقيمة ، ووجه كوة مقابل كوة
ثلاث مرات .

« وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعاً ، وعمقه ثلاثون ذراعاً .

« ورواقاً آخر قدامها ، وأعمدة وأسكفة قدامها .

« وعمل رواق الكرسي حيث يقضي ، أي رواق القضاء ، وغشى بأرز

من أرض إلى سقف .

وبيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق كان كهذا العمل .

« وعمل بيتاً لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق .

« كل هذه من حجارة كريمة ، كقياس الحجارة المنحوتة ، منشورة بمنشار من داخل ومن خارج ، من الأساس إلى الأفرز ، ومن خارج إلى الدار الكبيرة .

وكان مؤسساً على حجارة كريمة ، حجارة عظيمة ، حجارة عشر أذرع ، وحجارة ثمان أذرع .

« ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة وأرّز .

« والمدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة ، وصفت من جوانب الأرز » ...

هذه بعض أوصاف قصور سليمان ... كما وردت عند أهل الكتاب ...

هذه فكرة عن قصوره ... فماذا عن ريش القصور؟! .

« وعمل الملك سليمان منتهي ترس من ذهب مطرق .

« خصّ الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب .

« وثلاث مئة مجنّ من ذهب مطرق .

« خصّ المجن ثلاثة أمناء من الذهب .

« وجعلها سليمان في بيت وعثر لبنان » .

ما هذا؟! . هذه أدوات حرب من ذهب ...

مئات من التروس والمجانّ من ذهب! ..

أودعها المملك ... في قصره بالجبل !..
فماذا عن كرسي العرش؟! .
« وعمل الملك كرسيًا عظيمًا من عاج ، وغشاه بذهب ابريز .
« وللكرسي ست درجات .
« وللكرسي رأس مستدير من ورائه .
« ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس .
« وأسدان واقفان بجانب اليدين .
« وإثنا عشر أسدًا واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك .
« لم يُعمل مثله في جميع الممالك » !..
هذا كرسي الملك سليمان ...
منظر رائع ... ويزيده روعة ... أن الذي يجلس عليه نبيّ ... مَلِك !..
فماذا عن آنية الملك سليمان؟! .
« وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب .
« وعُثر لبنان من ذهب خالص .
« لا فضة .
« هي لم تُحسب شيئًا في أيام سليمان » !..
هذه آنية الملك ... صحاف من ذهب ... كؤوس من ذهب خالص !..
انه « مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي » !..
في المملك الظاهر ... فاق سليمان كل الملوك ...

وفي المُلْك الباطن ... يحكم الإنس والجنّ والريح والطير ...
« فتعاضم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة .
« وكانت كل الأرض ملتمة وجه سليمان .
« لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه » !..
ولنترك الآن مُلك سليمان الظاهر ...
ونرجع إلى مُلكه الباطن ...
لنستمتع بشيء من عجائب مُلكه الباطن ؟ !.

قالق ... فملة ... ١٩...

قال ...

عزّ ثناؤه ... وتقدست أسماؤه ...
« ولقد آتينا داوود وسليان علماً .
وقالا الحمد لله .

« الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

بحر موج ... يوج بالجمال موجاً ... تلمك الآية الجميلة !..
ضمّ موجة سليمان ... إلى موجة داوود ... واعتبرهما موجاً واحداً ...
لأن حقيقة داوود ... هي حقيقة سليمان ...
وحقيقة سليمان ... هي حقيقة داوود ...

كالبحر الزخّار ... تتعالى فيه ملايين الموجات ...
كل موجة لها هديرها ... وزئيرها ... ومظهرها ... ومنظرها ...
فإذا سكن البحر ... عادت الأمواج كلها بجرأ واحداً !..
فإن قيل : لماذا اعتبر داوود وسليان موجة واحدة ؟ !.
قلنا : هاكم اقرءوا ... مطلع الآية التي بعدها مباشرة :

« وورث سليمان داوود » ...

ورثه وراثته كاملة ... كل ما آتى الله داوداً ... ورثه سليمان ... ثم
زاده الله ... ما شاء من فضله ...

ان هذا الكتاب عجيب ...

ما من شيء يهجس في نفسك ... إلا ويسارع الى تبيينه لك قبل أن
تمكر فيه؟! .

ولا عجب ... فإن الذي أنزله ... هو الذي يعلم السر في السموات
والأرض! ..

« علماء »؟! .

الايهام ... للتفخيم والتعظيم ...

علماء ... لا ترقى اليه عقولكم ... ولا يخطر على بالكم ...

خصصناهما بعلم ... ان فصلناكم لكم كذبتهم ... وإن اجملناه لكم جهلتم ...

اثنان ... يعلمان هذا العلم ...

داوود ... وسليمان ...

لأنها موضع التجربة ... يسري هذا العلم فيها ... ويجري ...

أما أنتم ... فأنتى لكم الإحاطة بعلمها؟! .

الأنبياء ... علماء ...

ولكن أي نوع من العلماء؟! .

لا سبيل لنا ... إلى شيء من هذا ... ولا نستطيع حيلة! ..

علمهم ... منه ... وإليه ...

فهل فهمت شيئاً؟! .

هو ... مصدر علمهم ...

وهو ... اليه يصعد علمهم ...

وهو ... أعلم بهم !..

وأخرى تتلألاً بالجمال الذي لا نهاية لجماله ...

« وقالوا الحمد لله » قال داوود ... الحمد لله ...

وقال سليمان ... الحمد لله ... الثناء كله لله ...

كيف قال داوود ... وكيف قال سليمان ... الحمد لله !؟.

أما داوود ... فكل ما كان منه ... طيلة حياته ... من أحاسيس ...
أو مزامير ... أو أفعال ... أو أحوال ... هي أمواج من بحر حمد
داوود لله ...

وكذلك سليمان ... كل أحواله ... وكل أنفاسه ... وكل تصرفاته ...
وكل حياته ... هي أمواج في بحر حمده لله ...

لأن الأنبياء ... كلهم ... ظاهراً وباطنهم ... لله ...
وهذا هو حمدهم ...

« قل .

« ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي .

« لله رب العالمين .

« لا شريك له .

« وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » !..

فليس معنى « وقالوا الحمد لله » انها قالا ذلك بلسانها ... أو قلاه حيناً
دون حين ...

كلا ... وإنما حياتهم كلها ... لله ...

وأقوالهم كلها ... ثناء على الله ...
وأفعالهم كلها ... ثناء على الله ...
وقلوبهم ... دائماً جامدة لله ... شاكرة لأنعمه ...
« الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » ...
يشعر داوود ... ويشعر سليمان ...
أن الله ... رفعها رفعا عظيماً ... لم يظفر به أحد من المؤمنين ...
نبوة ... ملك ... معجزات ... حكم ... فضل لا آخر له ...
بحار من الأنوار ... يسبحان فيها حيث شاءوا ...
وحي يتنزل عليهم ...
الجبال تُنادى « يا جبالُ أوبي معه » ... من أجل داوود ...
وسليمان ينسأدى « هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب » !..
تفضيل عجيب ... وعطاء واسع غريب ..
وكل منهم يشعر بهذا .. فكان قول داوود باستمرار ... وقرل سليمان
« الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » !..

ثم ماذا؟!

ثم يقول سبحانه :

« وورث سليمان داوود .

« وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير .

« وأوتينا من كل شيء .

« إن هذا هو الفضل المبين » .

« وورث سليمان داوود ؟!

ماذا ورث سليمان عن أبيه داوود؟!
ورثه في النبوة ... هذا نبي ... وذاك نبي ...
ورثه في الملك ... هذا ملك ... وذاك ملك ...
ورثه في الحكم ... هذا يحكم بين الناس « فاحكم بين الناس بالحق » ...
وذاك يحكم بين الناس « وكلا آتينا حكماً وعلماً » ...
ورثه في الصفات العليا ... صفات الأنبياء ... فأثنى عليها معاً ... في
ثناء واحد ... « ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب » ... أي نعم
العبد داوود إنه أواب ... نعم العبد سليمان إنه أواب! ..
وهذا من اعجاز القرآن! ..

أي يشتركان في صفة عليا هي « إنه أواب » ... ويشتركان في جميع
الصفات العليا ... فكل منهما « نعم العبد »! ..

وفي قوله « ووهبنا لداوود سليمان » إشارة مكنونة ... ان في الابن كل
ما في الأب من صفات عليا ... وهذا تمام النعمة على داوود ... وتمام النعمة
على المولود! ..

ورثه في العلم ... وكلا آتينا حكماً وعلماً ...
وفي قوله « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » إشارة صريحة أن سليمان
ورث علم أبيه ... ثم زاده « ففهمناها سليمان »! ..

ورثه في العلم بمنطق الطير ...
فهناك في داوود « والطير محشورة كل له أواب » ...
وها هنا في سليمان ...

« وقال :

« يا أيها الناس عَلِّمْنَا منطق الطير » ...

كما عَلِّمَ أبي داوود منطق الطير ... فإن الله أورثني ذلك ... وَعَلِّمْنَا
منطق الطير !..

وها هنا نُلغِي عقولنا فوراً ... ونتفكر بقلوبنا ...

لأن العقل ها هنا صفرأ ...

يقف كالأبله لا يفهم شيئاً !..

كيف ؟! العقل يقول ... لا أدري ... لا تحملي ما لا أطيق !..

فنقول له : سُحْقاً لك من أداة تافهة !..

ولنسبح بقلوبنا ... في بحر « عَلِّمْنَا منطق الطير » لنشهد عجائب هذا

المنظر الإلهي البديع ... الذي كان سليمان هو المرآة التي يتجلى فيها ...

جميع المراتب ... التي هي دون مرتبة الإنسان ...

الحيوان ... الطير ... الزواحف ... الحشرات ... الجراثيم ...

الفيروسات ... الذرات ...

عَلِّمَ سليمان ... منطقها ... هذا هو معنى « عَلِّمْنَا منطق الطير » ...

وإنما نصّ على الطير ... لأنه أقرب إلى فهمنا ... والمنطق فيه

أظهر للإنسان ...

فإن قلت ما دليلك على هذا التوسع ؟!..

قلت قوله : « قالت نملة » ... فالنمل مرتبة حشرات ... دون

الطير بكثير ...

وإن قلت وما دليلك على أن سليمان عَلِّمَ منطق الذرات والجoadات ؟!..

قلت قوله « يا جبال أوّبي معه » ... والجبال جمادات ... مكونة من ذرّات ... كان داوود يعلم تأويبها ... وتعلم تأويبه ... ويؤوبون « معه » !..

ورث سليمان داوود ... أي ورثه في هذا !..

وأخرى قد تمزق عقلك تمزيقاً !..

أن سليمان كان يعلم منطق الريح ؟ !..

ودليلنا « تجري بأمره رخاء حيث أصاب » !..

هناك أمر من سليمان إلى الريح ... وهذا الأمر يصدر من سليمان بمنطق تفهمه الريح ... لتستطيع أن تفهم ماذا يريد منها ؟ !.. أعاصفة أم رخاء ؟ !..

فمثلاً يريد لها عاصفة ...

فمويأمرها ... هُبي عاصفة ...

وهذا الأمر يصدر بلفظة ... بمنطق تفهمه الريح ... ويفهم سليمان عنها ... كذلك منطقتها !..

فماذا هو قائل عقلك ؟ !..

وأخرى ... قد تسلم بها تسليماً سريعاً ...

أن سليمان علّم منطق الجنّ ... وعلّم الجنّ منطقهم ...

فإن قيل : ما دليلك على هذه الثالثة الأخرى ؟ !..

قلنا : صريح القرآن « قال عفريت من الجنّ أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » !..

استبان الآن ... ونحن نسبح بقلوبنا ... لا بعقولنا ... في بحر « علّمنا منطق الطير » ... انه ليس قاصراً على منطق الطير ... ولكن ممتداً ... إلى منطق المراتب كلها ... الجنّ ... الريح ... الحيوان ... الطير ... الزواحف ...

الحشرات ... الجبال ... الذرات ... وما لا تعلمون !..
وتجد الإشارة إلى ذلك ... في تعقيب سليمان بعدها مباشرة ... اسمع :
« يا أيها الناس علمنا منطق الطير .
« وأوتينا من كل شيء » ؟!.

تأمل هذه بقلبك « وأوتينا من كل شيء » فيها شمول ... ومن شمولها ...
أوتينا منطق كل شيء ... كما أوتينا منطق الطير ... وإنما أطلقها سليمان ولم
يفصلها رحمة بعقول المخاطبين ... لأن عقولهم لا تطيقها ... وتركها لأهل
الإشارة ... وأهل القلوب يفتح الله عليهم في فهمها ما يشاء !..

بحر عجيب ... ومشاهد عجيبة ... وحقاً كما قال سليمان ...
« ان هذا هو الفضل المبين » . الواضح وضوحاً شديداً ... لمن كان له
قلب ... أو ألقى السمع وهو شهيد !..

ليس ذاك هو الأمر ... وإنما الأمر هو ...

سلمنا أن سليمان علمنا منطق المراتب كلها ... فكان يعلم ماذا تقول
الجن ... ماذا تقول الريح ... ماذا تقول الحيوانات ... ماذا تقول الطير ...
ماذا تقول الأسماك في البحار ... ماذا تقول الجبال ... ماذا تقول الأشجار ...
ماذا تقول الذرات ؟!

فضل آتاه الله إياه ...

ولكن الذي لا تطيقه العقول ... ولا تفهمه ... كيف علم هؤلاء جميعاً
منطق سليمان ؟!

هل كان سليمان يتنزل إلى منطقها ويخاطبها بلغتها هي ... أم هي تتعالى إلى
سليمان وتخاطبه بلغته هو ؟!

أجيبوا أيها الناس ... وما أظنكم تستطيعون !..
بمعنى حين حاور سليمان الهدهد ... وحاوره الهدهد كما هو مسجل في
كتاب الله ...

هل وقع الحوار بينهما بلغة سايلان والهدهد كان يفهم لغة سايلان ...
أم وقع الحوار بلغة الهدهد ... وسليان كان يفهم لغة الهدهد؟! .
أم هناك لغة كونية ... مشتركة بين الكائنات جميعاً ... كانت هي وسيلة
التخاطب بين سايلان وبين هؤلاء؟! .

كل أولئك كان جائزاً ...
وكل أولئك ... قد تكون الحقيقة مخالفة له ...
إنها حيرة العقل ...
ولكن القلب يقول ... أمسئلاً به ... كل من عند ربنا !..
ولننتقل الآن ... إلى تلك الجميلة الرائعة ...
التي اسمها « نملمة »؟! .

فتبسّم ... ضاحكا ...
هن قولها ...!

هذه النملة . . .

احبها . . . لأن الله اختارها . . . من بين ملايين النمل . . . وسجلها في كتابه
الكريم . . . وأنزل فيها آيتين من كلامه العظيم . . .
وهذا شرف لم يظفر به كثير من خلق الله . . .
احبها . . . لأنها دليل على أن التجلي الإلهي في أصغر شيء . . . كالتجلي في
أكبر شيء . . .
ها هنا قدرة . . . وها هنا قدرة . . . واللبيب من يدرك مظاهر القدرة
في أي شيء . . .
احبها . . . لأنها اضطرت نبياً من الأنبياء . . . إلى الضحك . . . والأنبياء
يندر أن يضحكوا . . .
وقصتها البديعة . . . تبدأ من ها هنا . . .
« وحُشِر لسليمان جنوده .
« من الجنّ والانس والطير فهم يُوزعون » .
في مكان ما بالشام . . . في مكان واسع بالخلاء . . . خارج زحمة المدينة . . .
أمر سليمان بهذا الحشر . . .
والحشر هو الجمع . . . أي أصدر أمراً الملك سليمان بحشد قواته . . . من
الجنّ . . . ومن الإنس . . . ومن الطير . . .

منظر جميل ... ألوف من الجنّ ... المسخرين لسليمان ... من الجن
المؤمنين ... أو من الجنّ الشياطين ...

ونادى الملك سليمان ... آمراً قواده من الجنّ وقواده من الإنس ... وقواده
من الطير ...

اجمعوا لي قواتكم ... في استعراض عام ...

في وادي فسيح ... خارج المساكن ... وادٍ يسمح بالحركة لهذه الألوف
العديدة ...

واصطف الجنّ صنفاً صنفاً ...

ولا شك أنه منظر فريد ... لم يحدث لأحد قبل سليمان ... ولا لأحد
بعد سليمان ...

فربما كان الجنّ بالملايين ...

ويزيدهم غرابة ... أن يؤمروا بالظهور ... في أجسام مرئية ... يبصرها
الناس ... وهذا يثير العجب والفرع في الناس ...

ثم ألوف من الجنّ من البشر ... وعلى رأسهم قادتهم ... مشاة ... أو على
صهوة خيولهم ...

ثم ألوف من الطير ... من شتى أنواع الطير ... تجمعت من أنحاء الأرض ...
واصطفت صفوفاً ...

ساحة فسيحة ... وهؤلاء جميعاً يتلاحقون فيها ... ويصطفون في نظام
تام ... وتوزيع بديع ... كل صنف مع صنفه ... حتى يتيسر للملك سليمان
استعراض الجميع ...

« وحشور » وجمع .

« لسليمان » تنفيذاً لأمر سليمان ... بإقامة استعراض عام لجميع قواته ...

لسليمان؟! .

فيها إشارة جميلة ... ان هذا الحشر لسليمان فقط ... ليس لأحد قبله ...
ولن يكون لأحد بعده ...

خاصية لسليمان ... ميزة ميزنا بها عبدنا سليمان ...
فإن جمع المراتب كلها ... هكذا في جمع عام ... لم يحدث قبل سليمان ...
ولا يحدث بعد سليمان! ..

« جنوده » القسوى المستخررة له خاصة ...

« من الجنّ » من جميع أنواع الجنّ ... من ملوك الجنّ ... وصعاليك
الجنّ ... من مؤمني الجنّ ... ومن كفار الجنّ أي الشياطين ... من المردة
والعفاريت وسائر أنواع الجنّ ... فإن سلطان سليمان كان عليهم جميعاً ...

وحشر الجنّ في هذا الموضع ... حشر اظهار للجنّ في أجسام ظاهرة ...
وهذا أدل على القدرة ... فإن حشرهم لو كان بغير ظهور لا فائدة فيه ... وإنما
الجديد ما هنا ... هو ظهور هؤلاء الجنّ بحيث يراهم الإنس ...

وهذا منظر لم تشهده الأرض قبل سليمان ... ولا بعده ...

معجزة له خاصة ... وهذا هو معنى « لسليمان » ...

« والانس » والناس ... الجيش كله يخرج لهذا الاستعراض ... ألوف من
الفرسان ... كل يمتطي صهوة جواده ... وألوف من المشاة ... كل
يحمل سلاحه ...

« والطيور » وأصدر سليمان أمراً ... إلى الطير ... من كل نوع ... فاجتمع
له ملايين منها ... كل صنف يتبع أميره ... ويصطف خلفه ...

« فهم » جميعاً ...

« يُوزعون » يحبس أولهم لآخرهم حتى يتلاحقوا ...
وهذا بلغة العسكرية ...: أي يسرون في نظام عسكري ... صفوفاً
منتظمة ... في خُطى منتظمة ... اذا اضطت صف ... سوّى السائرون
صفوفهم أولاً بأول ... حتى تكون الصفوف كلها مستوية في مشيتها ...
وكذلك في اصطفاهم في الساحة ... اصطفوا في نظام تام ... و صفوف
مستقيمة مستوية ... وعلى رأسها قادتها ...
ما هذا ... وما معنى هذا؟! .
معناه جميل جداً ...
كأنه يراد أن يقال ...
ما خلق الله المراتب ... وأقامها في نواميسها ...
الجنّ ... يرون الإنس ... والإنس لا يرونهم ...
والطير ... مفرقة في أنحاء الأرض ... تطير حيث تشاء ...
فإن الله الذي أقامهم في نواميسهم هذه ...
يقدر أن يخرجهم من هذه النواميس ... و يقيمهم في أسلوب آخر غير
ما تألفون ...
فها هي الجنّ تستخرج من ناموسها ... الذي لا يسمح للإنس برؤيتهم ...
إلى ناموس آخر ... يسمح للبشر برؤيتهم ظاهرين ...
وها هي الطير ... التي لا سلطان لأحد عليها في حياتها ...
تُجمع وتُحشر وتُستعرض في مكان واحد ...
وها هو سليمان ... سلطاناً على الجميع ...
يأمرهم أن يجتمعوا ... فيجتمعوا ...

والناس يدفعهم للكفر إلف النواميس ... وثباتها وعدم تغيرها ...
فلا بد من هزم هزاً عنيفاً ... وذلك يكون بتغيير النواميس ... وهو
ما يسمى بالمعجزة ...

وهدفها زلزلة الغباء المتراكم على عقول الناس ... من إلف الأشياء تسير على
وتيرة واحدة ... لا تحرك منهم ساكناً ...

فتأتي المعجزة بشيء يخالف المؤلف فتهزم هزاً عنيفاً ...
وتشعرهم أن هناك قوة خارقة ... تستطيع أن تغير النواميس
إذا شاءت ...

وسليمان باعتبارهِ نبياً ... مهمته الأولى ... إظهار قدرة الله ...
وكان هذا المنظر العجيب ... المراد منه ... تفهيم الناس وغير الناس ...
أن قدرة الله ... تفعل ما تشاء ... ولا يقيدُها شيء ... كما يتوهمون ...
منظر غاية في الغرابة ... ألوف وألوف من الجنّ ظاهرين ... كيف كانت
هيئة الجنّ حين ظهوروا ... وكيف كانت صُورهم؟! .

وكيف كان شعور الإنس ... حين فوجئوا بالجنّ أمامهم صفوفاً صفوفاً؟! .
ثم كيف كان منظر ألوف الأنواع من الطير ... وهي تقف صففاً صففاً ...
كل يغرد أغاريدَه ... في أصوات مختلفة ...
وسليمان كيف كان في هذا المشهد العجيب؟! .

الظن أنه كان يركب الريح ... يركب الهواء ... فإن الريح مسخرة له
عاصفة ورُخاء! ..

المراتب محشورة ...

وسليمان على متن الريح ... يُطل عليهم من أعلى ... ويتنقل بينهم كيف
يشاء ... ويستعرضهم جميعاً ...

ويفهم منطقهم جميعاً ... ويتخاطب مع من شاء منهم! ...
وحين يركب سليمان الريح ... في استعراض ضخم كهذا ... لا يؤوده أن
يراهم جميعاً ... فرداً فرداً ... وصفاً صفاً! ...

في هذا المشهد البديع ... وقعت واقعة النملة البديعة ... فكيف
كان ذلك؟! ...

« حتى إذا أتوا على واد النمل » فلما اقتربوا أثناء مسيرهم وتجمعهم إلى
ساحة العرض الكبرى ...

فلما أوشكوا أن يسيروا في واد النمل ... وهو وادٍ يكثر فيه النمل ...
ويتخذ فيه كثيراً من المساكن ...

« قالت النملة » فزعت مما شهدت ... وخشيت على أهلها ... فصاحت
محدرة مندرة ...

« يا أيها النمل » نادى جميع النمل المنتشر في الوادي ... كما هي عادة النمل
حين ينتشر في كل اتجاه ...

« ادخلوا مساكنكم » أسرعوا ... أسرعوا ... وعودوا فوراً
إلى مساكنكم ...

« لا يحطمتكم » لا يسحقنكم ... لا يدمرنكم ...

« سليمان » ها هنا وجه العجب العجيب؟! ...

من أين لهذه النملة الخالدة ... معرفة أن هذا الرجل هو سليمان ... وأن
اسمه هو سليمان؟! ...

ها هنا أسرار عجيبة ...

ان النمل من ضمن المراتب التي عُلمت سليمان منطقها ...

فهي مسخرة له ... وهي تتكلم معه ... ويتكلم معها ... وتفهم عنه ...
ويفهم عنها ...

ومن هنا سبق المعرفة ... من هذه النملة لسليان ...

تعرف اسمه ... وتعرف شخصه ... وتعرف لغته ... وتتخاطب معه ...
وتتلقى أمره ... وتنفذ أمره !..

عجب ... والله عجب !..

فلو أن الذي عرف أن هذا هو سليان ... كان فرداً من البشر ... لقلنا
هذا شيء طبيعي ... فشهرة الملوك تجعلهم معلومين للناس ...

ولكن ... هذه النملة ... ما علاقتها بسليان ... ومن أين لها ادراك أن
هذا هو سليان ... ومن أين للنمل كله الذي تصيح فيه ... ادراك أن هذا
هو سليان ؟!..

إنها تصيح « لا يحطمنكم سليان » ... إذا هؤلاء النمل يعرفون أيضاً ...
من سليان هذا ... وإلا فلا فائدة من تحذيرهم منه !..

عجائب ... والله عجائب !..

« وجنوده » وهذه أعجب من أختها !.. من أين لهذه النملة ادراك أن
هؤلاء جنود سليان ؟!.. ومن أين للنمل كله ادراك أن هؤلاء كذلك
جنود سليان ؟!..

« وهم لا يشعرون » لضعف أجسامكم ... تسحقكم أقدامهم سحقاً ...
وهم لا يشعرون ان الآلاف من النمل قد سحقتم وسحقتم !..

ما أجل هذه النملة !..

لقد نهبت أمة من النمل إلى خطر ساحق ... ومصيبة قادمة ...

وفوراً ولسى النمل هارباً إلى مساكنه ... شاكرآ لله أن سخّر له من
ينبئه إلى الخطر! ..

وها هنا ... تسطع شمس سليمان ... وندخل الى آية من آيات الله ...
تلاّات من عبده سليمان ...

« فتبسم » وفوراً بمجرد أن سمع مقالتها ... وعلم قولها ... تبسم ...
« ضاحكاً » واشتد به الإحساس بنعمة الله عليه ... فضحك ...
لم يقهقه لأن الأنبياء لا يقهقهون ... وإنما ضحك ...
ما الذي أضحك سليمان؟! ..

« من قولها » من احكام قولها ... وصدق حديثها قومها ... وحسن
ادراكها للخطر ... وأدب تعبيرها حين قالت « وهم لا يشعرون » لأنها تعلم
أن سليمان نبي معصوم ... والأنبياء لا يعتدون! ..

أضحكه الإعجاب بقدرة الله ...

أضحكه عظيم الشعور ... بفضل الله عليه ... أن علمه منطق النملة ...
وأسمعه قولها ... من دون الناس جميعاً ...

وعلى الفور ... أمر سليمان ... مواكب جنوده أن تحميد عن وادِ النمل
هذا ... وتتخذ طريقاً سواه ...

وعظّم إحساس نبي الله ... بنعمة الله عليه ...

وتلاّات أمام عيني قلبه ... قدرة الله في خلقه ... حتى بلغت في نملة هذا
المبلغ ... فننادى سليمان ربه ...

« وقال رب اوزعني » رب ألهمني ... وامنن عليّ ... كما مننت
عليّ كثيراً ...

« أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ » وأي نعمة هي أعظم من هذا ...
نملة تقول هذا ... وتفعل هذا ... وتذكر هذا ... سبحانك ؟!

« وعلى والديّ » وعلى والدي داوود ... وقد آتته فضلاً عظيماً ...
وعلى والدي أن وهبت لها سليمان ...

ثم تواضع سليمان وتواضع ... وخشع ثم خشع ... وامتحن ثم امتحن ...
« وأن أعمل صالحاً » وألهمني ... أن أعمل عملاً صالحاً ... يصلح أن
يصعد اليك ...

« ترضاه » لأن العمل لا عبرة بصلاحه ... وإنما العبرة أن يكون عند
الله مرضياً ...

« وأدخلني برحمتك » لا بعمله فإنه لا عمل لي ... وإنما برحمتك ...
وبفضلك ...

« في عبادك الصالحين » ... ما هنا كان سليمان في مقام الفناء ...
حيث لا يرى إلا الله !..

أما هؤلاء جميعاً ... هذا الحشد الحاشد من الجنّ والإنس والطير ... فقد
غابوا من قلب سليمان ... ولم يبق إلا ذو الجلال والإكرام ...

لقد فجّرت نملة ... نملة واحدة أحاسيس سليمان ...

فتبسم ... ضاحكاً ... من قولها !..

وضحك الأنبياء حق ...

وإياك إياك أن تظن أنهم يضحكون مما منه نحن نضحك ...

كلا ... انهم يضحكون اعجاباً بالقدره !..

فجّرت نملة من قلب سليمان ... ما لم يفجره هؤلاء جميعاً من جنوده ..

والأنبياء يصعدون في لحظة . . . ما لم تصمده أمة بأكملها . . .
طيلة أعمارها !..

أعجبني من تفسير الإمام الميرغني قوله :

« وقتل النمل منهي عنه الحديث مرفوع .

« لا تقتلوا النمل ، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي ، فاذا
هو بنملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول :

« اللهم إنا خلق من خلقك ، لا غنى لنا عن فضلك .

اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك القانطين .

« واستغنا مطراً تنبت لنا به شجراً ، وأطعمنا به ثمراً .

« فقال سليمان لقومه : ارفعوا ، فقد كفيتم وسقيتكم بغيركم . »

[رواه الدار قطني]

ولله في خلقه أسرار !..

ما لي ... لا أرى ...
الهدود ... ١٩

في نفس ...

الاستعراض العام ... الذي أقامه سليمان ... لجنوده من الجن والإنس
والطير ...
وقعت هذه الواقعة ...
« وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين .
« لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتينسي بسلطان مبین » .
جاء دور استعراض الطير ...
وجعل سليمان يتفقد أنواع الطير المحشورة له في صفوف منتظمة ...
على رأس كل نوع من الطير أميره ...
وجاء دور الهداهد ... ألوف من الهداهد تصطف في نظام بديع ...
وجعل سليمان ... يتكلم معها ... ويداعبها ... وتتكلم معه ...
وها هنا وقعت معجزة من النبي الملك سليمان ...
معجزة فيها برهان على أن سليمان ... كان يحيط علماً بكل أنواع مملكته من
الجنّ والإنس والطير ... ويحصيهم عدداً ... فرداً فرداً ! ..
وهذا لا يمكن أن يكون من أحد ... إلا عن علمه إياه ربه ...
واختصه به ...
وقد يكون هذا ممكناً في أفراد جيش من الإنس ... حيث تمسك إدارة
الجيش سجلات ... وتثبت فيها أفراد القوات فرداً فرداً ... وإسماء إسماء ...

وبذلك يمكن معرفة الغائب من قوة الجيش أثناء التفتيش ...
أما إذا كانت هذه القوات من الجنّ ...
أو من الطير ... وهي أنواع لا تُحصى ...
فإن هذا لا يمكن حدوثه ... أو معرفة الغائب من أي نوع منها ... إلا
عن علم إلهي ... موهوب للنبيّ ...
وها هنا المعجزة من أسر سليمان ...
لقد لاحظ أثناء تفتيشه على الهداهد ... أن هناك هدهداً واحداً غائباً ...
وغير موجود ...
هدهد واحد ... تخلف عن الحضور مع زملائه من الهداهد ...
فعلم سلم سليمان ... فوراً ... أن هذا الهدهد غدير موجود ... بين
زملائه الهداهد !..
ومعنى هذا أن سليمان قد أحاط بكل الهداهد علماً ... وأحاط بهم
عدداً ... وهذا مستحيل إلا إذا كان عن علم إلهي !..
« ولقد آتينا داوود وسليمان علماً ، !..
علماً ؟!..
وهذا الأمر العجيب ... هو من هذا العلم ...
علماً ... به يعلم أفراد مملكته من الجنّ ... والإنس ... والطير ...
فرداً ... فرداً ... وواحداً واحداً ...
وتلك هي المعجزة ... وذلك هو الفضل المبين !..
« وتفقد الطير ، واستعرض سليمان ... أنواع الطير كلها ... وتأملها ...
وكلمها ... وكلمته ... حتى جاء الدور على الهداهد ...
« فقال ، حين لاحظ أن هناك هدهداً واحداً غائباً ...

« ما لي لا أرى الهدهد، ومعنى هذا أن هذا الهدهد بالذات معلوم
لسليمان باسمه ...

« أم كان من الغائبين، عن هذا الاستعراض أصلاً... ولم يحضر اليه ...
لأنه غائب عن المكان كله ...

وهذه إحاطة عجيبة ... من سليمان ...

هدهد واحد غائب ... آثار انتباهه ... وجعل يسأل عنه !..

وهذه الدقة البالغة ... والإحاطة الشاملة من سليمان بأفراد الطير ... من
كل نوع ...

أثارت دهشة الطير كله ... وحمد كل طائر ربه ... انه لم يكن من
الغائبين ... فيقع به ما هدد سليمان بإنزاله بذلك الهدهد الغائب !..

« لأعذبتّه عذاباً شديداً » تهديد شديد ... أمام الجميع ... لهذا الهدهد
الذي اجترأ ... وغاب عن الحشد العام ... بغير استئذان ...

« أو لأذبحنّه » أو اذا كان جرمه فظيماً ... لأذبحنه ... موتاً يموت
ذبحاً ... ليكون عبرة لغيره ...

« أو ليأتيني بسلطان مبین » بعذر يوضح أسباب غيابه ...

بعذر بيّن أعذره فيه ...

قال الامام القشيري ... في لطائف الاشارات :

« تطلبه ... فلما لم يره ... تعرف ما سبب تأخره وغيبته ...

« ودلّ ذلك على تيقظ سليمان في مملكته ...

« وحسن قيامه وتكفله بأمر أمة ورعيته .

« حيث لم تخف عليه غيبة طسير ، هو من أصغر الطيور ، لم يحضر

ساعة واحدة !.

- « تم تهدده ان لم يكن له عُذر بعذاب شديد .
- « وذلك يدل على كمال سياسته وعدله في مملكته .
- « في هذه الآية دليل على مقدار الجُرم .
- « وأنه لا عبرة بصغير الجثة وعظمها .
- « وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف .
- « ولا يبعد الآن أن يكون عليها شرع ، وأن لهم من الله إلهاماً وإعلاماً ، وإن كان لا يعرف ذلك على وجه القطع .
- « وتعيين ذلك العذاب الشديد ، غير ممكن قطعاً ، إلا تجويزاً واحتمالاً .
- « وعلى هذه الطريقة يحتمل كل ما قيل فيه .
- « وقد قيل هو نتف ريشه وإلقاؤه في الشمس .
- « وقيل يفرق بينه وبين أليفه .
- « وقيل يُلزمه خدمة أقرانه ، ... »
- قلت : بل الأعجب من اعجابنا بيقظة سليمان في مملكته ... وعدله في أحكامه ...
- ان نعجب من احاطته ... بأفراد مملكته من الطير ... فرداً فرداً ...
- حق يعلم غياب هدهد واحد لم يحضر الاستعراض ...
- فالمعجزة الكبرى لسليمان ... في هذا المشهد ... أن يحيط علمه بدقائق قوائمه ... وأن تبلغ هذه الإحاطة ... الى درجة تمكنه أن يدرك على الفور ... أن هناك واحداً من آلاف الهدهد غائباً ...
- ولما كانت المعجزة الكبرى ... ها هنا هي الإحاطة ...

لزم أن يكون التحدي ... بنفس النوع ...
أنت يا سليمان ... أحطت علماً بأفراد مملكتك ... فرداً فرداً ...
إذاً ... أخذ هذا التحدي ... من نفس النوع ...
معجزتك الإحاطة ... فسوف نتحداها ... بإحاطة تطيح بها ...
وأنت تهددت الهدهد ... علناً ... أمام الجميع ...
فسوف ... يتحداك الهدهد ... علناً ... أمام الجميع ...
وماذا أنت قائل ... وأنت النبي الملك ...
إذا تحداك ... طائر صغير ... في إحاطتك ...
فنفوقت إحاطته ... على إحاطتك ... أمام الجميع؟! ...
مشهد على الغاية من الجمال ...
ومنظر من المناظر الإلهية البديعة ...
وهذا هو السر ... في قول الهدهد؟! ...

أَحَطْتُ ... بِمَا لَمْ ... تُحِطُ بِهِ ...!

ظهور ...

القدرة الإلهية ...

أو ظهور التجلي الإلهي ...

في طائر صغير ... ضعيف ... كالمهدد ...

أعجب وأغرب ... من ظهور القدرة ... في نسبي كريم ... وإنسان

عظيم ... كسليمان !..

ذلك أن الإنسان كائن مؤهل من حيث تركيبه ... المعقد غاية التعقيد ...

والمحك غاية الأحكام ... مؤهل لأن تظهر فيه عجائب القدرة الإلهية ...

أما طائر كالمهدد ... محدود التركيب ... إذا ظهر فيه التجلي الإلهي ...

فإن الأمر يكون عجيباً حقاً !..

قلنا أن معجزة سليمان ... في فطنته ... بحيث أحاط علمه بغياب أحد

المهداهد ... عن حضور الاستعراض ...

ومن هنا كان التدبير الإلهي ... أن تضرب احاطة سليمان ...

بإحاطة مهدد ...

ليظهر للخلق أجمعين ... أن الأمر كله لله ... وأن ليس لسليمان من

الأمر شيء ...

وإن العلم علم الله ... يؤتاه من يشاء من عباده ...

وإن الفضل بيد الله ... يؤتیه من يشاء ...

وإن علم سليمان الذي بهرکم ... هو علمي وليس علم سليمان ... « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » ...

ولو ذهبنا بما آتينا من علم ... لوقف سليمان لا يعلم شيئاً ...
ولو منحنا كائناً ما ... مهما كان صغيراً في أعينكم ... علماً منا ... لظهرت منه علوم تحارون في فهمها !..

وسوف نشهدكم ذلك في تجربة عملية ...

تجرى أمام أعين المراقب كلها ...

أمام أعين الجنّ ... الذين يرفعون من سليمان رُعباً !..

وأمام أعين الإنس ... الذين يحارون في معجزات سليمان !..

وأمام أعين الطير ... الذين جاءوا من أطراف الأرض ... طوعاً وكرهاً ...

« فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجنتك من سبأ بنبأ يقين » .

« فمكث غير بعيد » فلم يلبث الهدهد ان جاء ... وعلم أن سليمان

قد تهدده ...

غير بعيد ... غير طويل من حين تفقده ...

« فقال » الهدهد ... حين قال له سليمان : ما خلفك عن نوبتك ؟

منظر تاريخي ...

النبي الملك ... ذو السلطان المطلق ... على الجنّ والإنس والطير ...

هدد الهدهد علماً ... إما العذاب الشديد ... وإما الذبح ... وإما

عذر مقبول ...

وما هو الهدهد المتهم ... يعود من رحلته الطويلة ... من بلاد اليمن ...
الى الشام ... ويتوجه رأساً الى حيث يقام الاستعراض ...

وما هي الهداهد ... تتلقاه ... مشففة عليه ... أن يذبجه سليمان ...

فيستمع الى الأخبار ... ثم يطير متوجهاً الى سليمان رأساً ...

وما هو سليمان يبادره : أين كنت أيها الزائغ بغير عذر ؟!

وتطلع الجميع : ماذا يقول ... وماذا يكون دفاعه عن نفسه ؟!

ان الجن لا تجرؤ على الزيغ من أوامر سليمان ... فكيف بهذا الصغير الضئيل

يجرؤ على معصية سليمان ؟!

« أحطتُ بما لم يُحط به » وألقاها الهدهد الى سليمان ... فيها هدير

الحق ... وزئير المظلوم ...

وسمعا سليمان ... وهي تقتحم كيانه كله ... وأحس بإحساس النبوة أنه

أمام أمر خطير ...

وسمعا جميع الحاضرين ... فعجبوا ... من غلظ الخطاب ...

وشدة التحدي !..

ان الهدهد يتحدى سليمان ...

يتحداه في أخص خصائمه ... خاصة الإحاطة علماً بدقائق مملكته ...

ان الهدهد يهز كيانه سليمان هزاً ...

انه يقرر أمام الجميع ... انه أحاط بما لم يُحط به سليمان ...

وليت الهدهد قل ... علمتُ بما تعلم به ... أو شهدت ما لم تشهد ... وإنما

قال « أحطتُ بما يُحط به » ... أحطت أنا الهدهد الضئيل احاطة تامة ... بما

لم يُحط به أنت أيها النبي الملك . . رغم ما أوتيت من علم ؟!

وأدرك سليمان لفوره ... أنه أمام اختبار إلهي ...
والأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...
ثم انظر الى أسلوب الخطاب ... ان الهدهد ... يكلم سليمان تكليم الذئد
للند ... فلا فرق بينه وبينه ... كأنها في مستوى واحد ... « بما لم تُحط
به » هكذا ... بدون مقدمات من التوقير اللازم في مخاطبة الأنبياء !..
ان الهدهد يرى سليمان ... عبداً من عباد الله ... كما أنه هو كذلك عبد من
عباد الله ... فليخاطبه كأنها سواء ... لأنها في العبودية سواء !..
« وجنتك » الآن ... حيث اني عائد من سفري الآن ...
« من سبأ » من مملكة سبأ ... من بلاد سبأ ... من بلاد اليمن التي بينك
وبينها آلاف الكيلومترات ...
« بشياً » بخبر عظيم ... على الغاية من الخطورة ...
« يقين » لا سبيل الى الشك فيه ... عاينته بنفسي ... وشهدته بعيني !..

إنني وجدت ... امرأة ... تملكهم ...! ١٩

بلقيس . . .

ملكة سبأ . . .

فتاة حسناء . . . ويزيدها جمالاً . . . أبهة المثلك . . . وعظمة السلطة . . .
كل أولئك . . . اذا أضيف اليه عقل راجح . . . وعفة عن السفاسف . . .
كانت أمامنا . . . ملكة هي أعظم ملكات عصرها . . . ملكاً وسياسة . . .
فمن هي بلقيس هذه؟! .

قالوا :

« وأما ملكها اليمن فقيل ان أباه مات عن غير وصية بالملك لأحد .
« فأقام الناس ابن أخ له .
« وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً ، لا يبلغه عن بنت قَيْل ولا ملك ذات جمال .
« إلا أحضرها وفضحها .
« حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه .
« فأراد ذلك منها ، فوعده أن يحضر عندها الى قصرها .
« وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها .
« فلما دخل اليها ، وثبا عليه فقتلاه .
« فلما قُتل أحضرت وزراءه فقرعتهم .

« فقالت : أما كان فيكم من يألف لكريمته وكرائم عشيرته ؟! »

« ثم أرتهم آياه قتيلاً . »

« وقالت : اختاروا رجلاً تملكونه . »

« فقالوا : لا نرضى بغيرك . »

« فملكوها . »

ثم ماذا قالوا عن مُملكها ؟!

قالوا :

« كان تحت يدها أربعمائة مَلِك . »

« كل ملك منهم على كورة . »

« مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل . »

« وكان لها ثلاثمائة وزير ، يدبرون مُملكها . »

« وكان لها اثنا عشر قائداً . »

« يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل » .. »

ثم ماذا قالوا عن أهبه مُملكها ؟!

قالوا :

« أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها ، فتسجد لها ، ثلاثمائة ألف

أوقية من الذهب . »

« وكان عرشها سريراً من ذهب مكنتل بالجواهر النفيسة من اليواقيت

والزبرجد واللؤلؤ ، .. »

هذا شيء عن الملكة بلقيس ... »

فماذا عن شعبها ... ومدى ما كان ينعم فيه من نعم ؟!

يصور لنا ذلك قوله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . »

« لقد كان لسبأ » أي لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

« في مسكنهم » ومواقع سكنهم وهي باليمن ، يقال لها مأرب ، بقرب صنعاء ، مسيرة ثلاث مراحل .

« آية » عظيمة ، ونعمة جسيمة ، دالة على كمال معطيها وموجدتها ، وعلى اتصافه بالأوصاف الكاملة ، والأسماء الحسنى الشاملة وهي ...

« جنتان » حافتان محيطتان .

« عن يمين وشمال » أي جنة عجيبة عن يمين بلدهم ، وأخرى عن يسارهم ... وبعد ما قد أعطيناها هاتين الجنتين العظيمتين المشتملتين على غرائب صنائعهنا وبدائع مخترعاتنا ، قلنا لهم على طريق الإلهام .

« كلوا » أيها التمتعون المتفضل عليهم من عندنا .

« من رزق ربكم » الذي رباكم بأنواع الكرامات .

« واشكروا له » نعمه وواظبوا على أداء حقوق كرمه ، مع أن بلدتكم التي أنتم تسكنون فيها ...

« بلدة طيبة » ماء وهواء ، بريئة عن مطلق المؤذيات .

« و » أيضاً ربكم الذي رباكم فيها بأنواع النعم ...

« رب غفور » ستار عليكم عموم فرطاتكم وزلاتكم ...

هذه فكرة عن مدى رفاهية الشعب ... ومدى النعيم الذي كان فيه ...

على عهد الملكة بلقيس .

شعب يعيش في جنات متصلة ... وجو طيب جميل « بلدة طيبة » ...
وهي رأسه ملكة جميلة ... ذات سياسة حكيمة ... وحكم ديموقراطي رائع ...
« ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون » !..

هذا عن الشعب ... وعن نظام الحكم ... وعن طبيعة الملكة ... فماذا عن
أساس هذه الرفاهية ... وما سببها ؟!

سببها المشروع الضخم ... الذي أقامته الملكة ... فوفرت به مياه الري
للحدائق طول العام ... وأدى الى ازدهار البلاد عمرانياً ازدهاراً عجيبيماً ...

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرَمِ » ...

« فأعرضوا » وكان ذلك بعدُ حُكْم بلقيس ... حيث وقع بهم العقاب ...
ودمّر عليهم السد الذي كان أساس رفاهيتهم ...

« فأرسلنا عليهم سيلَ العَرَمِ » وهي الحجارة المركومة بالحص وأنواع
التدبيرات والترصيعات المحكمة للأبنية والأساس .

« وذلك أنه قد كان لهم سد قد بنته بلقيس ، بين الجبلين .

وقد جعلت لها ثلاث كوات ، بعضها فوق بعض .

« وقد بنت أيضاً دونها بركة عظيمة .

« فإذا جاء المطر اجتمع اليها مياه أوديتهم .

« فاحتبس السيل من وراء السد .

« فيفتح الكوة العليا عند الاحتياج .

« ثم الثانية الوسطى .

« ثم الثالثة السفلى .

« فلا ينفذ ماؤها الى السنة القابلة .

« فلما طغفوا وكفروا لنعم الله بعد ما أمروا بالشكر على السنة الرسل .
« قيل قد أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياً ، فكذبوا الكل وأنكروا عليهم .
« ولهذا قد سلط الله على سدهم نوع من الفأرة فنقبت في أسفل السد بإلهام
الله ايها .

« فسال الماء ، ففرقت جنتهم ، ودفنت بيوتهم في الرمل .
« وقد كان ذلك من غضب الله عليهم على كفرانهم نعمه » .
لقد أقامت بلقيس هذا المشروع المائي الضخم ...
وهو يُشبه مشروع السد العالي ... المقام على التيل عند أسوان ...
وهذه البركة التي كانت أمام سد مأرب ... تشبه البحيرة التي وراء
السد العالي ...

فلما طال العهد على الشعب ... واستمر كفرهم ... وبعد عهد بلقيس
بزمان طويل ...
أرسل الله سيلاً جارفاً ... فاقتلع سدهم ودمره ...
فجفت الحدائق ... وتمزقت البلاد ... وتفرق السكان في أنحاء الأرض ...
وصاروا حديثاً يتناقله الناس ... ويضربون به الأمثال ... حيث يقال « قد
تفرق أيدي سبأ » ..

هذا كان سبب نعيمهم ... وأساس رفاهيتهم على عهد بلقيس ...
وقد وصف الهدمد كل ذلك وصفاً دقيقاً حكيماً صادقاً حيث قال :
« اني وجدت امرأة تملكهم .
« وأوتيت من كل شيء .
« ولها عرش عظيم » ..

« اني وجدت » أثناء رحلتي الى اليمن ... ونزولي بتلك البلاد ...
« امرأة » فتاة جميلة ... عظيمة ... حكيمة ...
« تملكهم » ملكة عليهم ...

وفي تعبير « تملكهم » ... اشارة الى اعجاز عجيب ...
أي تملك قلوب شعبها ... تحبهم جميعاً ... ويحبونها جميعاً ...
قد ملكت مشاعرهم ... فوق ما هي تملكهم ظاهراً ...
عرشها قوائمه ... حب الشعب لها ... فهو عرش مكين ...
« وأوتيت » وآتاها الله ...

« من كل شيء » ظاهراً وباطناً ... أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة وباطنة . . .
وقد ازداد اكبار الشعب لها ... حين دبرت لقتل الملك الفاجر العاهر . . .
وارتفعت أسهمها في أعين الجميع ... لأنها مسحت عار الجميع !..
« ولها عرش عظيم » لها كرسي مملكة ... بلغ من العظمة مبلغاً عجيباً . . .
تتربع على عروش قلوب رعاياها ... وهذه هي عظمة العرش في الحقيقة . . .
قالوا في وصف عرشها :

« كان ضخماً حسناً ، مقدمته من ذهب ، مكللة بالياقوت الأحمر ،
والزبرجد الأخضر .

« ومؤخرته من فضة ، مكللة بأنواع الجواهر .

« وله أربع قوائم : قائمة من ياقوتة حمراء .

« وقائمة من ياقوتة صفراء .

« وقائمة من زمرد أخضر .

« وقائمة من در أبيض .

« وصفائح السرير من ذهب .

« قال ابن عباس رضي الله عنه : وطول عرش بلقيس ثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعون ذراعاً ، وارتفاعه في الهواء ثلاثون ذراعاً .

« وكان بداخل جوف سبعة أبيات ، لها سبعة أبواب ، على كل بيت باب مغلق » !..

« هذه أوصاف قيلت في عرشها الذي عبّر عنه الهدمد « ولها عرش عظيم » !..

ولا يبعد مثل هذا ... فالمرأة امرأة دائماً ... تحول كل شيء إلى زينة ... فكيف اذا كانت ملكة ... وأوتيت من كل شيء؟! .. لا يستغرب اذا أن تجعل الكرسي ... الذي تجلس عليه ... أجمل شيء في العيون ...

انها تحوله الى زينة ... تأخذ بمجامع القلوب ...

حتى اذا خرجت تتبختر في زينتها ... ووقف لها رجال الحكم تعظيماً وولاءً ...

وأقبلت يتلأل التاج على رأسها ...

ويفوح العطر من ثيابها ...

ثم أخذت مجلسها على عرشها ...

أثارت الإعجاب من الناظرين ...

وأحست في أعماقها ... بغريزة الأنوثة ... ان هذا شيء عظيم ... أو كما قال الهدمد :

« ولها عرش عظيم » !..

يسجدون ... للشمس ...!؟

عجائب ...

الأستاذ الكبير ... الهدهد ...
لا تدركها العقول !
لقد أحاط بمملكة بلقيس علماً ...
ونبأ سليمان عنها بنبأ يقين ...
ووصف له عرشها ... وأحوال شعبها ...
ولم يقف عند ذلك ... بل وقف يهز سليمان هزاً عنيفاً ...
يهزه في صميم اختصاصه ... اختصاص الأنبياء ...
ويتحداه على الملأ من حشوده من الجن والإنس والطير ...
ان يا سليمان ... يا من سخّر الله لك ... الريح ... والجن ... والإنس ...
والطير ... وآتاك من كل شيء ...
يا أيها النبي ... يا ذا السلطان العظيم ...
هناك ببلاد اليمن ... شعب بأكله ... يسجد للشمس ...
فكيف غاب عنك هذا ... وتحت يدك ما تستطيع به أن تعلم كل ما يجري
في بلادهم !؟
لقد فحّر الهدهد ... من سليمان الغيرة في الله ...

وقال له ... في يقين ...

« وجدتها وقومها .

« يسجدون للشمس .

« من دون الله .

« وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

ها هنا يحار العقل البشري ... وكم اغتررنا بعقولنا !

ما شأن الهدد بهذا ؟!

انه من مرتبة الطير ... فما علاقته بمرتبة الأدميين ؟!

وحق لو تطفل ودس أنفه في شئون البشر ... فمن أين له هذا الإدراك ؟!

هل أوتي الهدد عقل نبي ... فرأى نفسه مسئولاً عن هداية شعب بأكله

وهداية ملكته ؟!

وإذا كان سليمان لم يفعل هذا ... فلم يكف الهدد نفسه ما لا يطيق ؟!

وكيف عرف انها وقومها يسجدون للشمس ؟!

هل شاهد طقوسهم ... ورأى كهنوتهم ... وهم يسجدون للشمس ؟!

وماذا يعيب الهدد من سجودهم للشمس ... وهل هو يعلم أن السجود

للشمس خطأ لا ينبغي أن يكون ؟!

« وجدتها » شاهدتها ... بعيني ... أكثر من مرة ...

« وقومها » وشعبها ...

« يسجدون للشمس » يعبدون الشمس ... ويأتون بطقوس وترانيم ... ثم

يسجدون لها ...

« من دون الله » المستحق للتدليل والعبادة .

« و » من غاية جهلهم بالله ، وغفلتهم عن كمال أوصافه العظمى وأسمائه
الحسنى قد ...

« زين لهم الشيطان أعمالهم » هذه وعبادتهم هكذا ...

« فصددهم » الشيطان وصر فهم بتزيينه وتغريه .

« عن السبيل » السوي الموصل الى توحيد الحق ، الحقيقى بالعبودية والتذلل .

« فهم » بسبب تضليل الشيطان ، وتغريه اياهم ، ورسوخهم على ما قد
زينه لهم .

« لا يهتدون » إلى التوحيد ، حسب فطرتهم الأصلية ، وجبلتهم الحقيقية .

فلا بد لهم من مرشد كامل ، وهاد مشفق يهديهم إلى سواء السبيل ... مع
انهم من زمرة العقلاء المميزين بين الهداية والضلال ، لأنهم لانهاكهم في الغفلة
والغرور قد زين لهم الشيطان عبادة الشمس ، التي هي من جملة مظاهر الحق ،
وذلك لقصور نظرهم .

ولو نبههم منبه نبيه على توحيد الله ، واستقلاله سبحانه في عموم مظاهره
لأيقظهم من منام الغفلة ...

هذا منطق الهدهد !..

وهو لعمرى يوازي منطق أعظم أستاذ في التوحيد في التاريخ !..

وماذا يكون التوحيد إلا ما جاء به الهدهد؟! .

لقد كشف لنا الهدهد أسرار عجيبة ...

ان الإنسان قد يفوق الملائكة توحيداً ... إذا ترقى إلى أعلى ...

وفي نفس الوقت قد ينحط عن أحقر الكائنات في توحيدده ... إذا تدلى
إلى أسفل ...

ذلك ان الإنسان ... كائن مختار ... له حرية الاختيار ...
يعلمو ... ويسفل ... كيف يشاء !..
وتلك هي قضيتته ... وفي نفس الوقت تلك هي مصيبتته !..
فالطير مثلا ... مجمدا على التوحيد ... لا تستطيع منه فكاكأ ...
أما الإنسان ... فإذا شاء تفككك من التوحيد ... وهوى وتدهور إلى ما هو
أحط من مرتبة الحمير ...

فالجمار مجمد على التوحيد ... لا يستطيع أن يشرك بالله ...
وهؤلاء الذين يتحدث عنهم الأستاذ الهدهد ... قد انحطوا عن مرتبة
الحمير ... وسجدوا للشمس !..
والهدهد يتفجع ويتوجع ... كيف هذا ... كيف ينحط الإنسان إلى
هذه الهاوية ؟!

ولو قد علم الهدهد ... ان مصيبة الإنسان في حرته واختياره ... لما
تعجب أو تفجع !..

ومن قبل تعجب الملائكة الأعلى ... وقال الملائكة :

« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟!

فلما علمهم الله ... أسرار قضية الإنسان ... قالوا : « سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا » !..

فعظمة الإنسان ... ان الله خلقه كائناً حرّاً ...

ان شاء علا ... وإن شاء هوى ...

ثم أعانه بقوى علوية ... إذا شاء العلو ... وهي الملائكة ...

وسلّط عليه قوى سفلية ... إذا شاء الهبوط ... وهي الشياطين ...

والله ناظر ... ماذا هو فاعل الإنسان ؟
كائن هذا شأنه ... تظهر عنه جميع المراتب ...
من أعلى علميين ... إلى أسفل سافلين ...
وما بين ذلك ...
فترى من جنس الإنسان الأنبياء والرسل والصدّيقين والشهداء والصالحين ...
وما دون ذلك ...
والعكس صحيح ...
ترى من الناس المجرمين ... والكافرين ... والأفاكين ... والشياطين ...
والفجار ... والطفاة ... والزناة ... والقتلة ... وما لا يتصور العقل أنه
يصدر عن كائن ...
« وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً » .
إشارة إلى أن هناك جرائم للإنسان ... لا يتصورها العقل ! ..
بل أعجب من هذا ... فإن تركيب قلب الإنسان ... انه كاللؤلؤ ...
لا يستقر ... بل هو يتقلب باستمرار ...
فقد يؤمن الإنسان ... ثم يكفر بعد لحظة ... ثم يعود فيؤمن بعد
لحظة أخرى ! ..
هذا الكائن المسمى بالإنسان ... يحبه الله ... إذا تزكّى وتوقّى ...
لأنه يعلم مدى صعوبة التجربة التي وُضع فيها ...
روحٌ علوية نورية قدسية ... سجينة في جسد ترابي وطيني منتن ، فيه كل
ما في تركيب الحيوان ...
الروح نزاعة إلى أفقها الأعلى ...

والجسد والنفس ... نزاعة للشوى ...
والإنسان حائر دائر بين التنينين !..
ان أطاع الروح ... أبى الجسد ...
وإن أطاع الجسد ... أبت الروح ...
فالتجربة أصعب تجربة ...

ومن هنا يحب الله ذلك الإنسان ... الذي يغالب شهواته ... ونزواته ...
ويتوجه إلى ربه ... رغم العقبات الموضوعية في طريقه ... والقي عليه
أن يقتحمها ...

ومن هنا كذلك جعل الله الأجر عظيماً عظيماً ... جنات الخلد ...
ما كثرين فيها أبداً !..

ما الذي سؤل هؤلاء أن يعبدوا الشمس ؟!
ولماذا الشمس بالذات ؟!

نظروا فوجدوها مصدر الحياة ... فكل شيء حولهم ... أصله الشمس ...
الأرض وما عليها ... أصلها جزء من الشمس ...
الضوء والحرارة ... مصدرهما الشمس !..
النبات ينمو بحرارة الشمس ...
الحيوان يعيش بحرارة الشمس ...
الرياح تتحرك بفعل حرارة الشمس ...
المياه تتبخر من المحيطات بفعل الشمس ... ثم تهطل أمطاراً فأناًهاراً ...
ومن الأنهار تتكون الحياة !..
ثم هي كائن رفيع منيع ... لا سبيل إليه ...

ان أشرقت ظهر بنورها كل شيء ...
وإن غربت ... وغاب ضوءها اختفى كل شيء !..
إذاً ... لا شيء أعلى منها ... إذاً هي الإله ... الذي ينبغي أن يُعبد ...
وله نسجد !..

منطق حقير ... يدل على عقول حقيرة !..
ما هذه الشمس حتى تعبد ويسجد لها !؟
لقد أسقطها ابراهيم ... وألقى صلاحيتها لأن تعبد :
« فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون » .

بحجة واحدة أسقط ابراهيم استحقاقها للعبادة ... « فلما أفلت » فلما
غربت وغابت ...
والإله لا يغيب ...

وهذه الشمس تغيب ... إذاً هي لا تصلح أن تكون رباً يُعبد !..
ولكن هؤلاء ... شعب بلقيس ... ليسوا إبراهيم ليفقهوا هذا ...
وإنما ورثوا ... دين خرافة عن آباءهم ... فقدسوا ما كانوا يقصدون ...
ووجدوا ملوكهم لها يسجدون ... والناس على دين ملوكهم ... فسجدوا
للشمس ...

وها هنا انحطوا عن مرتبة الحمير ... لأن الحمير لا تعبد الشمس ... وإنما
تعبد ربها ورب الشمس !..

ومن هنا نفهم ثورة المهدهد ... حين شاهد شعباً يتأمله يسجد للشمس ...
ومن أي مرتبة !؟ من مرتبة الإنسان ... الذي كان مفروضاً أن يعبد الله

ولا يشرك به شيئاً... ولكنه انخط عن مرتبته العلياً... ونزل إلى أسوأ مرتبة... إلى مادون مراقب الخير!..

ان الهدهد يكاد يمسه الجنون... كيف للشمس يسجدون... كيف... وهم بشر كرمهم الله... كيف هكذا ينحطون؟!..

تلمس إحساسه هذا... في أعماق قوله « وجدتها وقومها يسجدون للشمس »!..

وفي تعبير « وجدتها » تحقير وأي تحقير!..

كنت أظنها امرأة عظيمة... ذات عقل عظيم...

فكانت فاجعتي فيها... ان وجدتها تسجد للشمس!..

ويا ليتها وحدها فعلت فعلتها هذه... بل « وقومها »... وشعبها كذلك... ملايين من البشر يسجدون للشمس!..

ملايين الوجوه الشريفة... سجدت سجوداً خاطئاً... سجدت لمربوب أقل منهم مرتبة...

ذلك أن الإنسان أرقى من الشمس... وأعلى من القمر...

فكيف يسجد لشيء دونه منزلة... وأنزل منه مقاماً؟!..

ان فرداً واحداً مؤمناً بالله... لا شيء يعدله من هؤلاء جميعاً... لا شمس ولا قمر ولا مجرة بأكملها...

« ان ابراهيم كان أمةً »...

والكائنات التي فطرت على التوحيد... تكاد تصاب بالجنون حين تشاهد انحرافات الكائنات الكوافر!..

ومن هنا كانت غيرة الهدهد في الله... و غضبته على هؤلاء الساجدين للشمس من دون الله!..

وزاد من غضبه ... ان نبي الله ... سليمان ... الذي فرض عليه تبليغ
 رسالة الله ... لم يعلم بهذا ... وتركهم فيما هم فيه !..
 ان مرتبة الإنسان الصحيحة ... ألا شيء فوقه إلا الله ...
 وهذه هي حقيقة معنى ... لا إله إلا الله ...
 فإذا جهل الإنسان مرتبته ... ونزل عنها ...
 انقلبت عليه الأمور ... فعبد أشياء هي في حقيقتها أقل منه مرتبة ...
 وهذا تعكيس للأوضاع عجيب !..
 الله ... يقول للإنسان :
 « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .
 لا تسجدوا للشمس ولا للقمر .
 واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .
 أنت أكرم أيها الآدمي ... من هؤلاء جميعاً ... كلهن مسخرات لك ...
 فكيف تنزل عن مرتبتك العليا ... وتتهور فتتخذهن آلهة تعبدها ؟!
 لقد أسجدت لآدم أبيك ملائكتي ... فافهم ...
 فكيف تسجد أنت ... يا ابن آدم ... للشمس أو للقمر ؟!
 افهم منزلتك ... وخذ وضعك الصحيح بين الكائنات ...
 أنت أعلاها وأزكاها وأرقاها ... فأنت فوقها ... فكيف تجعل
 نفسك تحتها ؟!
 لذلك ... كان أمري اليك :
 « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » ...
 لأنكم فوق الشمس ... وفوق القمر مرتبة ...
 « واسجدوا لله » !..

الله ... لا إله إلا هو ...
رب العرش العظيم ؟ ...

الجمال ...

الذي ليس كمِثْلِه جمال ...

في قوله عزّ من قائل :

« الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم ، .

ويزيده جمالاً فوق الجمال ... أن ينطق به ... قم صفيّر ... ليس بفهم
بشر ... ولا فم مَلِك كَرِيم ...

ولكن فم هدهد جميل !..

هنالك يتلأل الجمال ... وتتجلى التجليات ...

وتتشبع القلوب لربها سُجُوداً وِثْكِتاً !..

فلو أن قائلها كان إنسياً ... لقلنا الشيء من معدنه لا يستقرب !..

ولو أن ناطقها كان بشراً نبياً ... لقلنا وحي يُوحى ...

ولكن الناطق كان هدهداً ...

وما هنا وجوه من العجب !..

ماذا قال الهدهد الجميل - الجليل !؟

« ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الغيب في السماوات والأرض وما تُعلنون .

« الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم ، .

«ألاَّ يسجدوا لله» بمعنى : زيتن لهم الشيطان أعمالهم ، لئلا يسجدوا لله ...

ومن قرأ «ألا» بالتخفيف ، بمعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فأضمر هؤلاء اكتفاء بدلالة «يا» عليها ...

«الذي يخرج الخبء» المحبوء .

«في السماوات والأرض» من غيث السماء ونبات الأرض ...

«رب العرش العظيم» الذي كل عرش - وإن عظم - لا يشبهه .

وهذا كله كلام الهدهد ، من قوله : (أحطت بما لم تحط به) إلى ها هنا .

هذا مختصر تفسير الطبري ...

فماذا قال صاحب تفسير الفواتح الإلهية؟!

«ألا يسجدوا» يعني تنبهوا أيها الفاقدون قبلة سجودكم ، ووجهة معبودكم ، وانصرفوا عنها أيها القوم الضالون المنصرفون عن المسجود الحقيقي والمعبود المعنوي ... بل اسجدوا وقذلوا ...

«لله» المتجلي في الأكوان ، المنزه عن الحول في الجهات والمكان ، المقدس عن تتابع الساعات عليه ، وتعاقب الآتات والأزمان إياه ، بل له شأن لا يشغله شأن ، ولا يجري عليه زمان ومكان ، العليم القدير ...

«الذي يخرج» ويظهر بمقتضى علمه المحيط ، وقدرته الكاملة الشاملة .

«الخبء» أي الشيء الخفي المكنون الكائن .

«في السماوات والأرض» أي سماوات الأسماء الإلهية وأوصافه الذاتية .

«و» أيضاً .

«يعلم» سبحانه بعلمه الحضورى عموم .

« ما تخفون » تكتمون وتستترون أنستم في سرائركم وضمائركم ... بل بالخفيات التي لا اطلاع لكم عليها أصلاً ، بمقتضى قابلياتكم واستعداداتكم .

« و » كذا عموم .

« ما تعلنون » أنتم أيضاً من أفعالكم وأحوالكم .

وكيف لا يظهر المكنون من الأمور ولا يعلم خفيات الصدور ...

« الله » الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، الحي ، القيوم ، الذي .

« لا إله » ولا موجود في الوجود .

« إله » رب العرش العظيم ، المحيط بجميع ما قد لمع عليه بروق تجلياته ، المتشعشة ، المتجددة ، المترتبة على أسمائه الذاتية الكاملة ، المستدعية للظهور والبروز ، عن أوصافه الفعلية ، والمقتضية لإظهار ما قد كمن من الكمالات ، المندجة في الذات الأحادية ، إلى فضاء الوجود والشهود .

هذا كلام رفيع منيع ... يحتاج إلى فهم رفيع منيع !..

فكيف وقد صدر هذا كله عن همد ... قد أوتي فصل الخطاب ؟ !..

لقد انتهى ما هنا كلام الهدهد ...

فرأينا فيه عجائب ... نقف أمامها حيارى !..

إلا أن حيرتنا تزول ... حين نتذكر ... أن الله تجلّى على ذلك الهدهد ...

فكان منه ما كان ...

ولا تسأل كيف كانت ؟!

لا تقل : كيف وسع علم الهدهد كل هذه الأمور ؟

ولمّا قل : ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى !..

ولا تقل : كيف علم هدهد ما لم يعلمه النبي سليمان ... الذي قال فيه ربه
« وكلا أتينا حكماً وعلماً » ؟!

وأين علم الهدهد ... من علم سليمان ؟!
ولكن قل : وأنّ الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء ..!
ولا تقل : كيف يقف الهدهد من سليمان موقف المعلم ؟!
ولكن قل : أدبني ربي فأحسن تأديبي ..!
ولا تقل : ما لهذا الهدهد قد أحاط بالأمر علماً ؟!
ولكن قل : به ... علم الهدهد ما لم يكن يعلم ..!
وأخيراً ... إذا قال عقلك : ما ففهمتُ ولا ففهمتُ شيئاً ..!
فقل لعقلك : ما أظنك سوف تفهم شيئاً ..!
وقل لقلبك : « كلا » ... لا تطعنه ... واسجد ... واقترب » ..!

إنه ... من ... سليمان؟! ...

فرغ ...

الهدهد الجميل الجليل ... من حديثه العجيب ...
وتطلعت ملايين العيون ... من الجنّ ... والإنس ... والطيير ...
الى سليمان ...
تطلعوا الى عملاق عصره ... ونبي زمانه ... والمملك الذي يجلس على
عرش مُلك لا ينبغي لأحد من بعده !..

ووقف سليمان ... في عظمة الأنبياء ...
وهيبة أعظم الملوك مُلكاً ...
وخشوع العبودية ...
ثم نظر إلى السماء ... ومجدّ ربه ... تمجيد الأنبياء ...

ثم نظر إلى الهدهد ...

ونظر اليه الهدهد ...

ثم قال :

« قال :

« سننظرُ .

« صدقتَ .

« أم كنتَ من الكاذبين »؟! .

وضجّت الملايين ... من الجنّ ... والإنس ... والطير ... يسبحون
بحمد ربهم ...

عندما سمعوا نطقاً عظيماً ... وحكماً حكيماً ...

وطار الهدهد فرحاً ... بنجاته ... من العذاب الشديد ... أو
الذبح الأكيد ...

ثم ماذا؟! .

ثم فرغ سليمان من شئون الاستعراض العام لجنوده ...

وعاد المسلك إلى عاصمة ملكه ...

ثم كان أول عمل له ... أن أصدر أمراً ملكياً ... بتعيين الهدهد ...
سفيراً له لدى مملكة بلقيس! ..

ثم استدعى الهدهد السفير ... وأصدر إليه أوامره ... صريحة محددة :

« اذهب بكتابي هذا .

« فألقه إليهم .

« ثم تولّ عنهم .

« فانظروا ماذا يرجعون » .

أوامر صريحة ... محددة ...

الأمر الأول ... « اذهب بكتابي هذا » ...

خذ هذا الكتاب ... احمل هذا الكتاب ... وطير إلى اليمن سريعاً ...
ومعك الكتاب ... واحذر أن يفقد منك ... أو تطلع عليه أحداً! ..

الأمر الثاني ... « فألقه إليهم » ... بمجرد وصولك إلى قصر الملكة

يلقيس ... ألتقى اليها هي لا إلى أحد غيرها ... كتابي هذا ... واعمل على
أن تستلمه بنفسها ... وأن يقع في يديها !..

الأمر الثالث ... « ثم كَوَّلْ عنهم » ... ثم راقبهم من حيث
لا يشعرون ...

الأمر الرابع ... « فانظر ماذا يرجعون »؟! فتأمل ما يرجعون ...
وما يراجعون ويتراجعون ... بعضهم بعضاً ... في المشاورات والمحاورات ...
أي عليك بعد القاء الكتاب اليهم ... أن تقوم بمهمة الجاسوس عليهم ...
وتحمل إلي أخبارهم ... وتسجل مناقشاتهم ... كل ذلك في استخفاء عن
أعينهم ... حتى تعلم كل ما يقولون ... وما سوف يقررون من مقررات ...
ويدبرون من تدابير !..

لقد أصبح الهدهد موضع ثقة الملك ... وعهد اليه بمهمة السفير ... ومهمة
الخبايرات ... وكلفه أن يعود اليه بتقرير كامل عن مهمته الرفيعة ...
انه مستقبل شعب بأكمله ...

مستقبل أمة ... يريد سليمان أن يخرجها من ظلمات عبادة الشمس ... إلى
نور عبادة الله ...
فانظر عجائب القدرة الإلهية ...

أن يحمل هداية أمة كاملة ... وإخراجها من الظلمات إلى النور ... على
ييدي هدهد ...

فأي آية ... هي أعظم من تلكم الآية؟!.

ثم ماذا؟!.

ثم أخذ الهدهد الكتاب ...

وأتى بلقيس ... وهي نائمة في قصرها ...
فألقاه على نحرها ...
فلما استيقظت ... رأت الكتاب في نحرها ...
فارتعدت ... وخضعت خوفاً ...
لقد نفذ الهدهد أوامر سليمان حرفياً ...
طار من الشام ... الى اليمن ... سريعاً ...
ثم تسلل إلى قصر الملكة ...
ثم تسلل إلى مخدعها ... من أحد نوافذ حجرتها ...
وطبيعي أن أحداً من الحراس ... لا يفكر في منع هدهد من الطيران
فوق القصر ... ولا يخطر بباله أن هناك أمراً خطيراً يحمله هذا الهدهد ...
فما أكثر الهداهد ... في كل مكان ...
ودخل الهدهد الجميل ... إلى حجرة نوم الملكة الجميلة ...
وكانت الملكة نائمة ... تحلم أحلام العذارى ...
ثم حلتق فوق فراشها ... وألقى الكتاب فوق صدرها ...
ثم طار ... واختفى في مكان من القصر ... بحيث يراها ... ولا تراه !..
ليتجسس عليها ... وينظر ماذا يكون وقع المفاجأة عليها ...
وكيف تتصرف !؟

وبعد قليل ... أفاقت الملكة الجميلة ... من نومها السعيد ...
ففوجئت بكتاب مختوم ... مستقراً على صدرها ...
ففزعزت ... شأن الأنثى يُفزعها أي شيء يفاجئها ...

وزادها فزعاً ... انها لا تدري ... من دخل عليها مخدعها ... ومن
ألقى على صدرها ... وهو مكان محرم ... ذلك الكتاب؟! .
والهدهد الماكر ينظر اليها ... ويتبسّم من حيرتها ...
وهي لا تشعر أن هناك شيئاً يراقبها! ..

ومها ترتقي أساليب المخبرات ... والجاوسية ... وأجهزة التصدّت
الالكترونية في العصر الحديث ... فإنها تعجز أن تحقق ما حققه هذا الهدهد
الرائع ... من تجسس وتصنّت ... فها هو معها في مخدعها ... يراها ...
ويسجل كل أحاسيسها ... وهي مطمئنة تمام الاطمئنان ... أن ليس هناك
من أحد معها! ..

ثم ماذا؟! .

ثم هدأت الملكة قليلاً ... من أثر المفاجأة ...

وتناولت الكتاب ... فإذا به كتاب معطرّ بأطيب عطر ... مختوم
بختام الدولة ...

ففضت خاتمه ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فإذا هو غاية في الإيجاز ... ونهاية في الإعجاز ...

وهذا هو نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .
لا تعلّوا عليّ وأتوني مسلمين » .
(سليمان) .

الأنشى أقرب إلى الإيمان ... من الرجل ...
ذلك أن الأنشى عاطفة ... قلب ...
والرجل عقل ... وفكر ...
والعقل حجاب ...
والقلب أبواب ...
ومن هنا ... تشمشم قلبها ... حين قرأت الكتاب ...
فجعلت تشمه ... ثم إلى صدرها تضمه ...
ثم تشمه ... ثم تضمه إلى نحرها ...
ثم تبكي ... وتبكي ...
ثم تقرؤه ... وتقرؤه ...
فيفتح قلبها ... ويفتح ...
ما هذا في استهلال الكتاب؟! .
بسم الله الرحمن الرحيم؟! .
جعلت تسأل نفسها : ما معنى هذا؟! . ما معنى : بسم الله؟! . وما معنى :
الرحمن؟! . وما معنى الرحيم؟! .
بسم الله الرحمن الرحيم؟! .
ان قلبي يحب هذه الكلمات ... ولكن عقلي يرفضها؟! .
ولكن ... لماذا لم يقل : بسم الشمس؟! .
هل لسليمان هذا ... إله يعبده غير الشمس؟! . وهل هناك من إله أعظم
من الشمس؟! .

وماج قلبها بأمواج كالجبال ... وهي تجري فيها باسم الله ...
مجرأها ومرساها ...

ثم لماذا هذا الاختصار الشديد ... ولماذا هذا التهديد وهذا الوعيد؟!
« لا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ »؟!.

مُسلمين لمن؟!!

أنا ... الملكة بلقيس ... ذات العرش العظيم ... أسلم لسليمان؟!.
هذا لن يكون!..

ولكن خطابه لا يدل على طمع في مُلكي ...

فما الدافع الذي دفعه ... إلى تهديدي ووعيدي؟!!

ثم مَنْ ألقى إليّ هذا الكتاب ... أهو الجنّ أهى الجاسوسية ... هل
هناك أحد من الخونة في قصري وأنا لا أعلم؟!!

أُسئلة ... تلقيها بلقيس على نفسها ... ولا تستطيع لها جواباً!..

إلا أنها لم تستطع مدافعة حنينها وأنينها ...

فجعلت تُقبل بفمها الجميل ... الكتاب ... وتضمه إلى صدرها ...
تكرر ذلك مرات ومرات ...

ثم قامت إلى المرآة ... فأصلحت من زينتها ...

ثم صاحت صيحة الملوك ...

فجاءها سرب من رجال حاشيتها ...

وانحنوا أمامها ... وانتظروا أمرها ...

فصاحت بهم : الآن ... وفوراً ... وبدون تريث ... يُعقد اجتماع
عاجل ... في قصرى ... يُدعى إليه جميع رجالاى الدولة ... لبحث أمر
غاية فى الخطورة ...

ثم غادرت فراشها ... وفى يدها الكتاب ...

والهدهد الماكر ... يرقب قريباً منها ...

تنفيذاً لأمر سليمان ... (فانظُرْ ماذا يرجعون) ؟! .

أفتوني ... في ... أمري ...!

قاعة العرش . . .

خالية تماماً . . . في انتظار انعقاد الجلسة التاريخية الخطيرة . . .
يتصدر القاعة عرش الملكة بلمقيس . . . الذي اشتهر بروعة جماله . . .
وعظمة اخراجه . . .

وقد صفت على جانبيه مقاعد الوزراء والقادة وشيوخ القبائل . . .
أما النوافذ الكبيرة . . . فقد ازدانت بالستائر الفاخرة . . .
وفي أعلى ستارة من هذه الستائر اختبأ الهدهد . . . ليشهد ويسمع كل
ما يدور في الاجتماع . . .

وبعد قليل يبدأ المدعوون يتوافدون تباعاً إلى القاعة . . . ويأخذون مجالسهم
المخصصة لهم . . .

وتكامل عدهم وهم في ملابسهم الرسمية . . .
حضر رئيس الوزراء والوزراء . . .
وحضر قائد عام القوات المسلحة . . . وقادة الأسلحة . . .
وحضر المستشارون الملكيون . . .
وحضر شيوخ القبائل . . . وزعماء الطوائف . . .
قليل : وكان أولوا مشورتها ، ثلاثمائة واثنى عشر رجلاً .

« كل رجل منهم على عشرة آلاف .

« وكانت بارض يقال لها : « مارب » من صنعاء على ثلاثة أيام » .
وأخذ رجال الدولة مجالسهم ... وتطلع الجميع ينتظرون حضور
الملكة ...

وفجأة نفخ النافخون في الأبواق ... ايداناً بمقدم بلقيس ...
ودخلت الملكة إلى القاعة ... تتلأأ الآلىء على تاجها ... ويفوح العطر
من ثيابها ... وسارت إلى كرسي عرشها ... تجرر أذيالها ...

وأومات تحيي الحاضرين ... في ابتسامها ...

ثم جلست على عرشها !..

وعمم القاعة صمت عميق ...

ثم تكلمت بلقيس ...

« قالت :

« يا أيها المأذ .

« إنني ألقى إلى كتاب كريم » .

« يا أيها المأذ » يا حضرات السادة ... يا أشرف القوم ...

« إنني ألقى إلى » ولا أدري من ألقى هذا إليّ؟! .

ثم لوحت بالكتاب ... ليشهدوه جميعاً ...

« كتاب كريم » كتاب لم يأتني كتاب مثله ... ولم أقرأ في حياتي كتاباً في
سموه ... ولغته الرفيعة ...

وزادني دهشة اني حتى الآن حائرة : من ألقى إليّ هذا الكتاب؟! .

ثم نشرت الكتاب ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فصاح صائح من المجتمعين : من أرسل هذا الكتاب . . . أيتها
الملكة العظيمة ؟

فقالَت الملكة :

« إنَّه من سُلَيْمان !.. »

فهمهم الحاضرون : الملك سليمان بن داوود؟! .

- مَلِك الجنِّ والإنس ...

- لعل الذي ألقاه اليها ... جنيّ ممن يعملون لسليمان؟! .

- ولم لا يكون طيراً؟! .

- وكيف يجرؤ سليمان أن يرسل خطاباً ... إلى ملكة سبأ بمثل

هذه الطريقة؟! .

ثم أشارت الملكة إلى الجميع ... فصمتوا جميعاً وأنصتوا ...

ثم قرأت في صوت عميق نص الخطاب :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

لَا تَعْلَمُونَا عَلَيَّ .

« وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ » .

« سُلَيْمان »

هذا هو نص الكتاب ... يا حضرات السادة ...

وهذا يُعتبر تهديداً سافراً من الملك سليمان ... لملكة سبأ كلها ...

وهو أخطر تهديد تواجهه الدولة في تاريخها ...

ولهذا دعوتكم ... لتتخذوا قراركم ... الذي سوف يحدد مستقبل بلادنا

إلى أجيال قادمة ...

فضجنت القاعة بالتصفيق الحاد ... وتعالى الهتافات بحياة الملكة ...
واستعداد الجميع لفدائها بأرواحهم ودمائهم !..

إلا أن الملكة ... كانت تشعر بالخطورة البالغة ... فلم تلتفت إلى هتافاتهم
الفارغة ... فصاحت بهم :

« قالت يا أيها الملأُ أفتوني في أمري .

« ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون » .

« يا أيها الملأُ ، يا حضرات السادة ... ما جمعتمكم لتسمعوني أناشيد التأييد
والثناء ... ان الأمر أخطر مما تتصورون ... إن هذا ملك يهددنا ... اما
التسليم ... وإما غزانا وقهرنا على ما يريد ...

« أفتوني في أمري » أشيروا عليّ : ماذا أفعل ؟! ان الأمر على الغاية
من الخطورة ...

« ما كنت قاطعةً أمراً » كما هي عادتي ... لا أبت في أمر من أمور
هذا البلد ...

« حتى تشهدون » حتى تحضرون ... وتجتمعوا ... وتقرروا قراركم ...
فارتفعت الأصوات في القاعة مرة أخرى ...

ودبّ الخلاف بينهم ...

وانشقت صفوفهم المتلاحمة ...

لقد مزق خطاب سليمان وحدتهم ... وأثار الرعب في صفوفهم ...

فإنهم جميعاً يسمعون عن عظمة سليمان ... وعجائب ملكه ...

ويبدأوا يتهامون :

— ان الرجل يطمع في خيرات سبأ ...

- أو لعله يريد التوسع ... فيسيطر على مداخل البحر الأحمر ...

- أو هو يهددنا ... ليضطرنا إلى تقديم الهدايا إليه ...

- ولم لا تقول أن الرجل داهية ... فهو يخوف الملكة طمعاً في جمالها ...
ليتزوجها ؟ !

- انها مشكلة المشاكل ... تواجهنا بها الملكة ... لتفر من المسؤولية ...
وتلقيها علينا ...

فلما اشتد الجدل بين القوم ...

أشارت اليهم ... فصمتوا ...

ثم أشارت إلى قائد عام القوات المسلحة ... فوقف الرجل ...

فقال الملكة : ان كتاب سليمان ... تهديد عسكري صريح ... فهو
يقول مهدداً « لا تعلُّوا عليّ » لا تحاولوا أن تتكبروا أو تتعالوا عليّ ... مهما
أوتيتم من قوة ... ولم يقف عند ذلك ... بل هو يصدر اليها أمراً كأننا قد
صرنا له عبيداً ... يأمرنا. فيطاع ...

ها هو يصدر اليها أمراً صريحاً « وأتوني » جميعاً « مسلمين » ... منقادين ...
مستسلمين ... معلنين اسلامكم لله ... مقرين بوحدانيته ... وألوهيته ...

ولم أر في حياتي تهديداً لدولة من الدول أشد من هذا التهديد !..
إنه يدمر كل معنوياتنا ...

ويهدر كل معتقداتنا ...

ويأمرنا أن نذهب اليه ... عبيداً مستسلمين !..

ثم سكنت الملكة ... لتسمع رأي قائد عام القوات المسلحة ... باعتبار
أنه الرجل الذي تتطلع إليه الأنظار ... حيث أن الموقف موقف تهديد
عسكري للدولة ... فهو رجل الساعة !..

« قالوا :

« نحن أولوا قوة .

« وأولوا بأسٍ شديد .

« والأمر اليك .

« فانظري ماذا تأمرين » .

« نحن » نحن شعب .

« أولوا قوة » أهل جيش عظيم ...

« وأولوا بأس شديد » وأهل شجاعة في القتال ... وصبر على النزال ...
لا نهرب عدواً ... ولا نخاف الموت ...

لغة عسكريين ... يرون الأمور بمنظار القوة وحدها ...

ان كان سليمان يريد لها حرباً ... فنحن لها ... نحن أهل جيش حاشد ...
وأهل بأس في القتال شديد ...

ثم فوض القائد العام ... الأمر إلى الملكة فقال :

« والأمر اليك » والقرار النهائي اليك أنت أيتها الملكة العظيمة ...

« فانظري ماذا تأمرين » ان شئت حرباً فهي الحرب ... وإن شئت
صلحاً ... فما شئت يكون ...

وهكذا ... ألقى الرجل المسئولية ... عليها ... بعد أن قام
باستعراض القوة ...

ثم أومأت إليه ... أن يجلس ... فجلس ...

وانتظر الجميع : ماذا يكون قرار الملكة؟! .

هل تصدر اليهم أمراً بالحرب؟! .

هل ترفض إنذار الملك سليمان؟! .

هل تثبت على دين قومها ... وتسجد للشمس هي وشعبها؟! .

أم ماذا يكون أخطر قرار في تاريخ المملكة الشاخنة؟! .

والهدهد العتيد ... ينظر اليهم جميعاً ... من وراء الستائر النفيسة

وهم لا يشعرون! ..

إن الملوك... إذا دخلوا قرية...
أفسدوها...١٤...

عم ...

القاعة ... صمت طويل ...
الجميع ينتظرون قرار الملكة ...
ثم وقفت بلقيس ... وقد بدت كأنها تحمل جبلاً ضخماً على كتفها ...
وقالت قولاً خالداً :
« قالت » :

« ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة
وكذلك يفعلون .

« واني 'مرسلة' اليهم بهديّة فناظرة بهم يرجع المرسلون » .

لقد ألفت بلقيس أنوثتها بعيداً ...

وتفجّرت تتكلم في حزم وعزم ...

« ان الملوك اذا دخلوا ، عنوة أو غزواً وانتصروا ...

« قرية » مدينة ... أو عاصمة مملكة ...

« أفسدوها » قلبوا نظامها قلباً تاماً ... وغيروا الأوضاع تغييراً شاملاً ...

« وجعلوا أعزّة أهلها أذلة » وقلب نظام الحكم ... معناه إزالة المجموعة

الحاكمة ... وإحلال مجموعة أخرى موالية لهم مكانها ... فانقلب الأعزّة

إلى أذلة ...

واستولوا على مقدرات البلاد ... ونهبوا ثروات العباد ...

فجعلوا الأعزة أذلة ... والأذلة أعزة ...

« وكذلك يفعلون » دائماً ... وهذا دأبهم ... وذلك هو القانون الطبيعي ... لأن الغزاة إذا انتصروا استباحوا كل شيء من أعدائهم ... وفعلوا ما يشاءون ... وويل للمغلوب ...

هذا منطق الملكة ... وهو منطق حكيم ...

إنها تريد تجنب بلادها ويلات الحرب ... غير المتكافئة ...

فإن قوة بلادها مهما عظمت ... لا تستطيع التغلب ... على قوات سليمان ... التي اشتهرت في العالم كله ...

وما أن نطقت الملكة بقولها ... وألقت برأيها ... حتى بدأ المجتمعون جميعاً يميلون إلى رأيها ...

وجعل كل يفكر في مستقبله ... وأوضاعه التي سوف يفقدها كلها ... إذا انتصر عليهم سليمان ...

ثم أخذوا يتطلعون إلى الملكة ... ينتظرون قرارها ... وكيف يكون علاجها لتلك المشكلة العويصة !؟

وفي صوت الملوك ... إذا أعلنوا قراراتهم المصيرية التاريخية قالت :

« واني مرسلت اليهم بهدية .

« فناظرة بم يرجع المرسلون » .!؟

هذا هو قرار الملكة التاريخي ...

فضجعت القاعة بالتصفيق الحاد ...

وتعاملت الهمتافات تأييداً للملكة العظيمة ..
وأثناء هذا الضجيج والعجيج ... انصرفت الملكة ... في موكبها
الملكي الذي يلدّ للناظرين ...
أما الهدهد الخالد ... فقد طار لغوره ... إلى خارج القصر الملكي ...
ونشر أجنحته في الهواء ... طائراً من اليمن إلى الشام ...
لينقل إلى سليمان ... الأخبار كاملة ...
ويطلعه على كل ما كان منهم ... منذ ألقى الكتاب إلى بلقيس ... إلى أن
اتخذوا قرارهم الأخير !..

أَتُحَدِّثُوكُنَّ ... بِهَالِ ... !

هذا ...

مفتاح ... من أخطر مفاتيح شخصية سليمان ...
صراع بين ملكة من ملكات الدنيا ...
وملك من ملوك الآخرة ...
حوار بين منطق نبي ... ومنطق ملكة ...
حشدت بلقيس أغلى ما تملك من جواهر ونفائس ... وأعز ما عندها من
أطيب الطيب ...

وجاءت بأعظم رجالها مكرراً ودهاء ...
وجعلتهم على رأس القافلة ... وأمرتهم أن يسيروا إلى سليمان ...
وأن يقدموا إليه ... تحياتها ...
ثم يقدموا إليه ... هداياها ...
ثم عليهم أن يدرسوا كل ما حولهم من أحوال مملكته ...
وأن ينظروا ماذا يكون قراره عندما يقدمون إليه هداياها ...
لتستطيع على ضوء ذلك كله ... أن تكيف موقفها منه ...
ولقد تفنن القصاص في وصف الهدايا المرسله منها إلى سليمان ...
وقال القشيري ... في لطائف الإشارات :

« جاء في القصة ، أنها بعثت إلى سليمان هدايا .
« ومن جعلتها لبنة مصنوعة من الفضة وأخرى من الذهب .
« وأن الله أخبر سليمان بذلك ، وأوحى إليه في معناه .
« وأمر سليمان الشياطين حتى بنوا بساحة منزله ميداناً .
« وأمرهم أن يفرشوا الميدان بهيئة اللبن المصنوع من الذهب والفضة ، من
أوله إلى آخره .

« وأمر بأن توقف الدواب على ذلك ، وألا تنظف آثارها من روث وغيره .
« وأن يترك موضعان للبتين خاليين في ممر الدخول .
« وأقبل رسلها ، وكانت معهم اللبتتان ملفوفتين .
« فلما رأوا الأمر ، ووقعت أبصارهم على طريقهم ، صغر في أعينهم
ما كان معهم .

« وخجلوا من تقديم ذلك إلى سليمان ، ووقعوا في الفكرة ...

« كيف يتخلصون مما معهم ؟

« فلما رأوا موضع اللبتين فارغاً ، ظنوا أن ذلك سُرق من بينها .

« فقالوا : لو أظهرنا هذا نُسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع .

« فطرحاهما في الموضع الخالي .

« ودخلا على سليمان .

هذه أقصوصة أوردتها القشيري في تفسيره ...

ولا أميل إلى اعتمادها... وإنما أثبتناها كنموذج مما قيل في وصف هدايا
الملكة إلى سليمان .

وإنما المقطوع بصحته أن أي ملكة ... في مثل عظمة إِمْلِك بَلْقَيْس ...

إذا فكرت أن ترسل هدايا ... إلى ملك في مثل عظمة سليمان ...
إنما ترسل إليه ما يليق بعظمة ملكها ... ويليق بعظمة ملكه ...
أضف إلى ذلك أن بلقيس كانت تريد أن تختبر سليمان بهديتها ... فإن كان
من أهل الدنيا قبلها ... وإن كان نبياً رفضها ...
فمن الحتم عليها ... أن تبالغ في هداياها ... لتحقيق غرضها وهدفها من
ذلك الترتيب !
ثم ماذا ؟!
ثم وصل الهدهد إلى سليمان ...
وأخبره بخبر رحلته ... ذاهباً إلى سبأ ... وعائداً منها إلى الشام ...
ونقل إليه أخباراً كاملة عن اجتماعاتهم وقراراتهم ... وإنهم انتهبوا إلى ملاينته ...
وإرسال الهدايا إليه ...
ثم هناك في سبأ ... أعدت الملكة القافلة التي سوف تسير إلى سليمان ...
وعلى رأسها دهاء السياسة في بلادها ... وأكابر الجواسيس الذين يعملون لها ...
وبعد أسابيع وصلت القافلة إلى سليمان ...
وأذن لها بالثول بين يديه ...
فتقدم رسل بلقيس إلى سليمان ...
وأبلغوه تحيات الملكة ... وتمنياتها الكريمة ...
وجعل سليمان يسألهم عن أحوالها ... وأحوالهم ...
ثم سأله بأن يأذن لهم ... في تقديم ما يحملون إليه من هدايا ...
« فلما جاء سليمان قال أتُمدُّونَ بِمالِ فيما آتاني اللهُ خيراً مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون » .

« فلما جاء » الرسل الذين أرسلتهم بلقيس ...
« سليمان » وخضروا عنده ... نظر نحوهم بوجه حسن طلق ... وتكلم
معهم ليناً ... مستخبراً عن أحوال ملكتهم ومملكتهن ثم ...

« قال » ما أمركم وشأنكم ؟
فأعطوا كتاب بلقيس فنظر فيه ...
ثم أتوا بالهدايا المرسلة ...
فأبى سليمان عليه السلام ، وامتنع من قبولها ، وردّها كلها إليهم ... مهتداً
حيث قال ...

« أتتهدونن » وتزيدونني .
« بمالي » يميل إليها أبناء الدنيا الدنية ... المحرومين عن اللذات الآخروية ...
« فيما آتاني الله » المنعم المتفضل عليّ من الأمور الآخروية ... واللذات
الدنية ... من النبوة ... والرسالة ... وتسخير الثقلين ... والرياح ...
والطيور ... والوحوش ... وجميع من في الجو ... وعلى وجه الأرض ...
« خير مما آتاكم » من حطام الدنيا ... وزخارفها الفانية ... فما لنا مثل
والنفقات إليها ...

« بل أنتم » وأمثالكم من أبناء الدنيا ...
« بهديتكم » هذه .
« تفرحون » تملون ... وتسرون بها ... لفخركم بأمثال هذه الزخارف ...
لقصور نظركم عليها ... وغفلتكم عن الأمور الآخروية .

ثم ماذا ؟!
قلنا في مطلع هذا الباب أن هذا أخطر مفتاح في شخصية سليمان ...

ونعني بالمفتاح قوله تعالى « أتمدونِ بمالٍ » ؟!

ها هنا المفتاح ...

والتعبير ... فيه تحقير وتصغير ...

تحقير لكل ما كان منهم من تفكير ...

تصغير لكل ما كان عنهم من تدبير ...

بمال ؟!

بمال حقير ... ليس له أي قيمة أو اعتبار ...

أموالكم هذه التي حشدتموها ... من ذهب وفضة وعطر وغلان
وجوارٍ وثياب ... وظننتموها شيئاً يسرنى ويطربنى ... انما هي عندي
لا شيء ... يستحق أن يلتفت اليه !..

أحسبتمونى طالب دنيا وزينتها ... أم ظننتمونى طامعاً في ما عندكم من
ثروة ومتاع ؟!

أنتم قوم تجهلون ... وآية جهلكم هذا الذي تفعلون !..

نحن معاشر الأنبياء ... لا نورث ما تركناه صدقة ...

ونحن معاشر الأنبياء ... لا نلتفت إلى دنيا ... ولا إلى آخرة ... وإنما
إلى الله ...

ومن كان نظره إلى الله ... لا يمدن عينيه إلى شيء سواه ...

هيهات هيهات أن تفهموا شيئاً مما أقول لكم ...

ولو كنتم تعقلون ما عبدت ملكتكم ... وعبدتم الشمس من دون الله ...

ما هذه الشمس التي تعبدون ؟!

الله خالق الشمس ... وخالق كل شيء ... فكيف تعبدون مخلوقاً
أيها الجاهلون!؟

ووقف سليمان ... عالياً ... أعلى من السماء ... ثم قال :
« فيما آتاني الله خير مما آتاكم » وما هنا يتلألاً منطق الأنبياء ... وهو
يخالف منطق الفراعنة ...

الفراعنة يقولون « اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ...
ويقولون بلسان قارون « إنما أوتيته على علم عندي » ..!
ينسبون ما هم فيه من نعم ... إلى أنفسهم « اليس لي »!؟
المُلك ... لي ... وأين الله من تفكيره ... لا وجود لله في تفكيره!
والمسمى قارون يقول « على علم عندي » ... عنده هو ... وأين الله
يا أيها القارون!؟ لا وجود لله عنده ... إنما العلم علم عبقريته الفذة! ..

هذا منطق الفراعنة ... منطق الجاهلين ...
ومنطق صغار وصغار ... وعار وشنار ...
منطق أطفال ... يفرحون بما في يدهم ... ويظنون أنهم أصحابه ... ولا
شيء وراء ذلك ...

وهذا منطق لا يستحق ... حتى أن يبصق الإنسان عليه ...
أما منطق الأنبياء ... ومنهم سليمان فيقولون ... فما آتاني الله خير
مما آتاكم!؟ ..

كمال ... وجمال ... وجلال ...
كمال ... حين أطلقوها شاملة كاملة ... آتاني ... آتاكم ... ما عندي ...
وما عندكم ... من الله ...

لفهم لغة... جوامع للكلم... وفصل الخطاب...

لغتهم لغة... «له كل شيء»... له هو سبحانه... كل شيء...
ما أوتيت... وما أوتيتم منه- هو...

هذا كال تعبيرهم...

أما الجمال... قمي قوله «خير»... لم يقل أعظم أو أكثر مما آتاكم...
ولما «خير» مما آتاكم..!

فماذا في هذا من الجمال؟!.

فيها جمال ليس كمشه جمال؟!.

خير؟!.

أرقى... وأسهي... وأعلى... وأبقى... مما آتاكم...
أين حقارات مُلككم... من جنود أو أموال... أو بساتين... أو
مناصب... مما آتاني الله؟!.

أين تلك التفاهات الفانيات الزائلات... من الباقيات الصالحات؟!.

أين النبوة... من أي شيء في الأرض أو في السماء؟!.

أين اختيار عبد من عباد الله... ليكون سفيراً من الله إلى عباده... من
ملك قطعة أرض من الكرة الأرضية؟!.

خير؟!.

فيها جمال شمعاني عجيب!..

فكيف بها وهي توج من قلب سليمان... فتزداد جمالاً إلى جمال؟!.

أولئك الأنبياء... أعلى ثم أعلى من السماء!..

وأما الجلال ... ففي شخصية سليمان ... القاهرة ... الباهرة ...
الظاهرة ... الشاكرة ... الناظرة ... إلى ربها !..
والأنبياء ... يتجلى عليهم ربهم ... بالجمال ... والجلال ...
فإذا رأيتَ ثم رأيتَ ... جمالاً وجلالاً ... يلتقيان !..
فإذا ما مسسنا ما في التعبير السليبي « فما آتاني الله خيراً مما آتاكم » من
كمال وجمال وجلال ... وجدنا أنفسنا نسبح في بحار فضل الله على عبده الذي
قال فيه « نعم العبد إنه أواب » ...
فرأينا عجائب العطاء الإلهي « هذا عطاؤنا » ...
ورأينا عجائب إطلاق العطاء ... بلا حدود وبلا قيود وبلا سدود ...
« فامنن أو امسك بغير حساب » !..
ورأينا عجائب « هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي » ...
ثم نسبح ونسبح فماذا نرى !
« وإذا رأيتَ ثم رأيتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً » !..
نبوة ... فهونبي زمانه ... وقُطب أوانه ...
ورأيتَ عن أب هو خير أب ... « وورث سليمان داوود » ...
وعطاء بعد عطاء ...
ريح مسخرة لأمره ...
جنّ يعملون بين يديه ...
طير محشورة لأمره ...
شعب مسخر له طوعاً ...
امكانيات ... أكداس من الذهب والفضة ...

قصور شائحات من كل نوع وفن ...

حكمة تُضرب بها الأمثال ...

فأين من أين؟!!

أين مُلك بلقيس مها أوتيت من كل شيء ... كما قال عنه المدهد « وأوتيت
من كل شيء » ...

من مُلك سليمان ... الذي قال فيه « وأوتينا من كل شيء »!؟.

لا نسبة ...

مُلك بلقيس ... قطرة من مُلك سليمان الظاهر ...

ويزداد عنها ... مُلكه الباطن ... الذي لا مثل له في الأرض ...

هنالك غابت عن نظر سليمان هداياهم ... وما حملوه اليه ... وعظم شعوره
بنعمة الله عليه ...

وقال لرسل بلقيس : بل أنتم بهديتكم تفرحون! ..

هذا أقصى ما عندكم من الإغراء ...

لأن قلوبكم هواء! ..

فلنأتينهم ... بجنود ...

لا قبل لهم بها ...

الأنبياء ...

كل الأنبياء ... اذا ما غضبوا ... غضبوا ... لله ...
وإذا ما رضوا ... رضوا ... لله ...
والناس يفضبون لهوهم ... ويرضون لهوهم ...
لكن الأنبياء ... لا هوى لهم ... وإنما كلهم لولاهم ...
« وما ينطقُ عن الهوى .
« إن هو إلا وحيُّ يُوحى » !..
هذا ناموسهم ... وليس النطق وحده ... وإنما كل أحوالهم ...
ومن هنا ... كان صمتهم لله ... ونطقهم لله ... ورضاهم لله ...
وغضبهم لله ...
وكل ما يكون منهم لله ...
وتذكر في هذا ... ما قيل لداوود :
« ولا تتبجح الهوى » !..
وما هنا ... في هذا المقام السلجاني ... نشهد مشهداً عجيباً ... من
غضب الأنبياء ...
« ارجع إليهم .

« فلناتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها .
« ولنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » .
أقوى شخصيات على الإطلاق ... شخصيات الأنبياء ...
وأقوى إرادة مطلقاً ... إرادة الأنبياء ...
هم مؤهلون أن يتحدى ويتحدى الواحد منهم ... وحده ... للعالم كله ...
تشهد تلك المشاهد العُلى ... منهم ... في مواقفهم الخالدة ... وهم يبلغون
رسالات الله ...

« الذين يُبلغون رسالات الله .
« ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، ! ..
هذا هو ينبوع قوة شخصياتهم العُلى ... صلى الله عليهم ...
وانظر في هذا ... إلى نوح حين وقف ... وحده ... طيلة نحو ألف
عام ... يتحدى البشر جميعاً ...

أو انظر إلى ابراهيم ... حين هددوه بالموت حرقاً ...
 واجتمعوا عليه أجمعين ... وألقوه إلى الجحيم ...
أو انظر إلى موسى ... حين وقف ... وحده ... يتحدى فرعون
وشعبه كله ...

ثم انظر بعد ذلك ... إلى سليمان ها هنا ... تتكامل لك الصورة ...
وتدرك ان ليس كمثل شخصياتهم شخصيات ! ..

والمشهد هنا ... مشهد شعب ضخيم ... على رأسه ملكة عظيمة حكيمة ...
يميش ناعماً ... في جنات وعيون ... وزروع ومقام كريم ...
شعب له جيش كبير ... واشتهر جنوده في الحرب ببأس شديد ...

وليس هناك من شيء يفكر صفو العلاقات الطيبة بين مملكة سبأ ...
ومملكة سليمان ...

فمنطق السياسة الطبيعي ... ألا يكون هناك توتر في العلاقات بين البلدين ...
وأن يقبل سليمان هدية بلبقيس ... ويعتبرها دليلاً على حسن العلاقات
بين البلدين ...

وأن يرد على تحية الملكة بأحسن منها ... فيهدي إليها كما أهدت إليه ...
ويحييها كما أرسلت إليه تحياتها ...

هذا هو المؤلف في العلاقات الدولية ... ولكن سليمان رفض الهدايا ...
وقطع العلاقات الدبلوماسية فوراً بينه وبين مملكة سبأ ... وطرد أعضاء
البعثة جميعاً ... طرداً عنيفاً ... حين هددهم ...

« أرجع إليهم » مخاطباً رئيس البعثة ... وهذا معتاد في العرف
الدبلوماسي ... عُذ إلى بلادك من حيث أتيت ... واحمل معك جميع
هداياكم ...

معناه طرد أعضاء البعثة جميعاً ...

ولم يقف الأمر عند هذا ... بل أعلن الملك بنفسه ... أمام أعضاء
البعثة البلقيسية ...

أعلن الحرب ... فوراً ... على مملكة سبأ ...

« فلنأتيهم بجنود » فلنضربهم بقوات ...

« لا قبيل لهم بها » تسحقهم سحقاً ... وتمزقهم شر ممزق ...

« ولنخرجهم منها » من بلادهم ...

« أدلة » ما بين أسير ... وطريد ... وشريد ...

« وهم صاغرون » مهانون ... ان لم يأتوا مسلمين ..
وكان النبي ... الملك ... سليمان ... وهو يعلن الحرب على مملكة سبأ ...
ويهددهم جميعاً بالإبادة والتشريد ... والإذلال ...
في حال من الغضب ... الشديد ...
ورُعب هنالك أعضاء البعثة رعباً عظيماً ...
ووقفوا يتلقون التهديد ... كأنهم خشبٌ مُسنَّدة ! ..
لم ينطقوا ... ولم يحركوا ساكناً ! ..
فما معنى هذا ؟ !
لماذا ردَّ سليمان ... على ملاطفة بلقيس ... بعنف لا تحتمله الجبال ؟ !
لماذا جلجل عالياً ... وقطع بسيفه كل العلاقات بينه وبين سبأ ...
وأعلن عليهم حرباً ... تسحقهم سحقاً ؟ !
لأن القضية ليست قضية ملوك ... وسياسة وكياسة ...
انما هي قضية توحيد ...
شعب يعبد الشمس ...
وسليمان يدعوهُ إلى عبادة الله ...
فإن أبى ... فالحرب فوراً ...
كل طاقات سليمان تُصب صباً في هذا السبيل ...
كل جنوده تُحشد ... لله ... فوراً ...
فلتُدمر بلقيس ... وجيش بلقيس ... وإمكانيات بلقيس ...
انهم قد احتجبوا عن الله ...

فلتمزق هذه الحُجب فوراً ...
لتسطع شمس الحقيقة ... شمس لا إله إلا الله ...
ولتسقط الأباطيل التي يعبدون من دون الله ...
إنه نفس منطق سيد الأنبياء :
« أمرت أن أقاتل الناس .
« حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » ..!
مشهد ... ياله من مشهد !..
مشهد نبي ... يغضب الله ...
فيزأر زئيراً ... يهز الوجود هزاً هزاً !...
« فلنأتينهم بجنود ... لا قبل لهم بها ... ولنخرجنهم منها ... أذلة ...
وهم صاغرون » !..
منظر من المناظر الإلهية ...
نشهد فيه ... أن شخصيات الأنبياء ... أقوى شخصيات على الإطلاق ...
وها هو نبي منهم ... اسمه ... سليمان ...
يعلن الحرب والدمار ... على مملكة الشمس ...
غضباً لله ... وفي الله ...
إما ... لا إله إلا الله ...
وإما ... هو السيف ... بيني وبينكم !..

أَيْكُمْ ... يَا تَيْفِي ... بَعْرُشَهَا ... ١٩

بلقيس ...

تجلس على عرشها ...
ورجالاات الدولة من حولها ...
الجميع يتطلعون إلى جمالها ... ثم يغضون البصر ... خوفاً من جلالها ...
ثم أمرت بمشول البعثة بين يديها ...
فدخلوا ... ثم سجدوا أمام عرشها ... تحية لها ...
فأومأت اليهم في دلال ... فجلسوا في مجالسهم ... إلا رئيس البعثة فقد
ظل واقفاً بين يديها ...

فقالا الملكة : تكلم ... واطرح للجميع ... كل شيء ...
فقال رئيس البعثة : سيدي ... لقد أعلن سليمان الحرب علينا ! ..
فشارت الملكة وصاحت : لملك ارتكبت حماقة من حماقاتك ...
فأغضبته ؟ !

فقال في خوف : لا ... وحق الشمس ... لقد تذللنا اليه ... وتلطفت في
حديثي غاية التلطف ...

قلت : أحمل اليك تحيات الملكة ... وتحيات شعبها ...

ثم استأذنته أن نقدم اليه هدايانا ...

فشار ثورة لم تشهد مثلها رصاح « أتمدوننِ بهالِ »؟! .
ورفض قبول الهدايا ... وحقرها تحقيراً شديداً ...
وقال لنا : أتم وأمثالكم ... « بهديتكم تفرحون » ...
إلا أن ذلك كله يهون ... بالنسبة إلى ما فاجأنا به بعد ذلك ...
فهمت الملكة : وماذا هناك بعد ذلك؟!
فقال : أعلن طردنا جميعاً ... وثار بنا صائحاً : « ارجع اليهم » ...
ثم أعلن الحرب علينا : « فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها... وانخرجهم
منها أذلة ... وهم صاغرون »! ..

فهمت الملكة : إذاً هي الحرب؟! .

فماذا تقولون؟! .

إن سليمان يهددكم بالإبادة ... أيها الرجال ...
فصاح صائح منهم : نحن لها ... فانظري ماذا تأمرين؟!
ثم قال رئيس البعثة : لقد طردنا طرداً ...
فقالت الملكة : كيف وجدتم مملكته؟! .

فقال : سيدتي ... 'ملكٌ ليس كمثلهِ 'ملكٌ ... جنود لم نشهد مثلها قط ...
امكانيات ... قصور ... الذهب الفضة النحاس ... لا قيمة لها عند سليمان ...
عرشه من ذهب ... آنيته من ذهب ... قصوره لا يتصورها العقل ... مصيبة
لم نواجه مثلها يا سيدتي ...

فهمت الملكة : الآن تأكد عندي ... أنه نبي ... فلو كان ملكاً من ملوك
الدنيا ... لقبيل هدايانا ... ورضي منا ما قدمناه ...

— أما الحرب فنحن نخسرها ضده ...

- فليس أمامنا إلا التسليم . .

- فصاح رجال الكهنوت ... كالثيران الهائجة : لا وربّ بلقيس ...
لا ندع عبادة الشمس ... ولا نسلم لسليان أبداً ... الموت أهون علينا من ترك
دين آبائنا وأجدادنا ...

فصاح قائد القوات المسلحة : أنتم رجال الكهنوت ... تحسنون الترانيم ...
فإذا جدّ الجدّ كنتم أول من يفر !..

فغضب كهنة الشمس وقالوا : وأنتم يا رجال السيف ... كالطواويس ...
تحسنون الزهو ... ولا تحسنون الطمن ...

وارتفع النقاش ... وكادوا يشتبكون بالأيدي ... لولا أن صاحت بهم
الملكة : كفوا عن هذا العبث ... ودعونا نواجه المصيبة العظمى ...

- اني قد اعتزمت المسير إلى سليمان ...

- ولا رجعة في قراري ...

فضجت التماعة بالتصفيق ... وتعالى الهتافات : عاشت الملكة ... حينما
الله الملكة ... الأمر أمر بلقيس !..

وانفض المجتمعون ... وغادرت الملكة قاعة العرش ...

وعلى الفور استدعت من كبار حاشيتها رجالاً موضع ثقتها ...
وأمناء سرّها ...

وقالت لهم في لهجة قاطعة : توجهوا فوراً ... إلى سليمان ... في أسرع
وقت ... وعلى صهوات خيولكم ... لتصلوا اليه سراعاً ...

- فإذا جئتموه ... فأعظموا له التحية ... وقولوا له : ان الملكة قد
اعتزمت المسير اليك ... هي ورجال دولتها ...

- هيا . . نفسنوا ما أمركم به ...

ومضت الأيام ... ووصلت بعثة بلقيس إلى سليمان ... وأخبروه
بما أمروا ...

فأحسن سليمان ضيافتهم ... وحجزهم عنده ... ينتظرون مقدم الملكة ...
أما بلقيس فأغلقت الأبواب على قاعة عرشها ... وشدت الحراسة على
قصرها ... وعينت نائباً عنها من أهل ثقتها ...

ثم خرجت على رأس الموكب الملكي ... وخرج معها القادة ... والزعماء ...
وكبار رجال الكهنوت ... وقد حرصت أن تجمعهم معها في رحلتها ... حتى
لا ينتمزوا الفرصة ... ويحدثوا انقلاباً ضدها وهي غائبة عن عاصمة ملكها ...

ومما ورد عند أهل الكتاب ... عن قدوم بلقيس إلى سليمان :

« وسمعت ملكة سبأ يخبر سليمان .

« فأتت لتمتحن سليمان بمسائل إلى اورشليم .

« بهوكب عظيم جداً .

« وجمال حاملة أطيابا وذهبا بكثرة ، وحجارة كريمة .

« فأتت الى سليمان ، وكلمته عن كل ما في قلبها .

فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« ولم يخفَ عن سليمان أمر إلا وأخبرها به .

« فلما رأت ملكة سبأ حكمة سليمان ، والبيت الذي بناه ، وطعام مائدته ،

ومجاس عبيده ، وموقف خدامه ومدابسههم ، وسقائهم ومدابسههم ، ومحرقاته

التي كان يصعدونها في بيت الرب ، لم تبق في نفسها روح بعد .

« فقالت للملك : صحيح الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك

وعن حكمتك .

« ولم أصدق كلامهم حتى جئتُ وأبصرت عيني .

« فهو ذا لم أخبر بنصف كثرة حكمتك .

« زدت على الخبر الذي سمعته .

« فطوبى لرجالك ، وطوبى لهبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً ،
والسامعين حكمتك .

« ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُرُّ بك ، وجعلك على كرسيه ، ملكاً
للرب إلهك » ...

ومما ورد عندهم :

« وأهدت للملك مئة وعشرين وزنة ذهب .

« وأطياباً كثيرة جداً .

« وحجارة كريمة .

« ولم يكن مثل ذلك الطيب الذي أهدته ملكة سبأ الملك سليمان » ...

ثم ماذا؟! . ثم قالوا :

« وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ ، كل مشتتها الذي طلبت ، فضلاً عما
أتت به إلى الملك .

« فانصرفت ، وذهبت إلى أرضها ، هي وعبيدها .

هذا مما ورد عند أهل الكتاب عن موكب الملكة ...

لقد كان موكباً عظيماً ... يتناسب مع عظمة الملكة ... وعظمة الملك
الذاهبين إليه ...

مئات من الخيول العربية الأصيلة ... يركبها مئات من القادة والزعماء ...

والملكة على رأسهم ... في إخراج ملكي بهيج ...

مئات من الإبل ... محملة بالجواهر ... والطيب ... والهدايا ...
ألوف ... من العبيد ... والغلمان ... والجواري ... يتبعون الموكب ...
وقطع المسافرون المسافة من اليمن إلى الشام ... في أسابيع ... وأصبحوا
على مشارف عاصمة سليمان ...

وكان الملك سليمان ... يجلس على عرشه ... في قصر الحكم ...
ومن حوله قادة الجنّ ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...
ونظر سليمان ... وهو على كرسيه ... فرأى سواداً من بعيد ... على مرمى
البصر ... قادماً ... في اتجاه القصر ...

فسأل : ما هذا الذي يبدو من بعيد ؟!

فقالوا : هذه بلقيس ... قادمة إليك ... وقومها ...

« قال يا أيها الملك .

« أيكم يأتيني بعرشها .

« قبل أن يأتوني مسلمين » .

« يا أيها الملك » يا أيها القادة ... من الجنّ ... والإنس ...

« أيكم يأتيني » فوراً ...

« بعرشها » بكرسي عرشها ... هذا الذي يتحدثون عن عظمته ...

« قبل أن يأتوني » قبل أن يصلوا إليّ ها هنا ... في مجلسي هذا ...

« مسلمين » طائعين ؟ ..

فنهض واقفاً واحد من الجنّ ... وأجاب على سؤال النبي الملك ... في

اعتزاز بقوته ...

« قال عفريت من الجنّ .

« أنا آتيك به .

« قبل أن تقوم من مقامك .

« وإني عليه لقوي أمين » .

« قال » فوراً ...

« عفريت » رئيس منهم ... وكان أقواهم ... والعفريت ... هو
الحديث المارد ...

« من الجن » من جنس الجن ... الذين يجلسون في مجلس سليمان ... وقيل
كان اسمه صخر ...

« أنا » ومعنى هذا أنه يعتز بقوته وقدرته ...

« آتيك به » أحمله اليك ...

« قبل أن تقوم من مقامك » قبل أن تقوم من مجلسك الذي
تجلسه للحكم ...

« و » بالجملة آتيك به قبل إتيانها ...

« إني عليه » أي على حمل العرش وإتيانه ...

« لقوي » أحمله بلا تزلزل أركانه وقوائمه ...

« أمين » لا أتصرف في شيء من زينته وجواهره ...

فلم يرغب سليمان في قوله ... لأنه بنى القول فيه على دعوى قوته ...

وبالتأمل في قول العفريت ... نلمس طبيعة الفخر والخيلاء ...

« أنا ... آتيك به ... وإني ... لقوي أمين » ...

أنا؟! إني؟! لقوي؟! أمين?!

سلسلة من التعزز بنفسه ... والفخر بصفاته ... ونسبة الفعل إلى نفسه ...
لا إلى الله ...

ولا عجب ... فهو عفريت ... أي شرير ... خبيث ... وهذه
لغة الخبيثين !..

يمبدون ذواتهم ... ويمجدون صفاتهم ... فهم دائماً يقولون ...
أنا ... وإني !..

ان أقصى سرعة عند المذكور ... أن يأتي بالعرش من اليمن إلى سليمان ..
قبل أن يغادر قاعة العرش ... أي خلال ساعات قليلة ...

ولكن سليمان ... يريد أسرع من ذلك ...

لذلك أعرض عن كلام العفريت وقال لمن حوله : أريد أسرع من ذلك ؟ ..

فجلس العفريت ... خاسئاً ... وهو حسير !..

وتطلع الجميع ... ولسان حالهم يقول : من يجيب على سؤال سليمان ؟ !..

أنا ... أتیک به ...
قبل أن یرتدَّ إلیک طرفک ...!

الجنّ ...

مهما أوتوا من قوة ... ليسوا شيئاً ذا بآل ... بالنسبة الى قوة الإنس ...
وقد قرر أحد العارفين تلك الحقيقة حين قال : رجل صالح واحد أقوى
من مملكة الجنّ بأسرها !..

وإنما استتار الجنّ عن العيون ... هو الذي يعطيهم هذه الهالة في نظر
الجاهلين من الآدميين ...

فترام يقصون الأقاصيص ... ويتناقلون التهاويل ... عز الجنّ وما يصدر
عنهم من أفاعيل !..

ولقد رأينا كيف أن أقصى ما يمكن أن يكون من الجنّ ... أنت يأتي
بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام ... في بضع ساعات؟! .

وكيف وقف القوي الأمين منهم مفاخرأ بهذا ... ويعتبره حدثاً عجبياً
« أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ... وإني عليه لقوي أمين »؟! .

ولكن سليمان ... النبي ... الذي كشف الله له حقائق الأجناس ... فهو
يعلم مدى قوة جنس الجنّ ... ومدى قوة جنس الآدمي ... ومدى قوة جنس
الطير والوحش ...

لم يلتفت إلى مقال العفریت من الجنّ ... لما فيه من الفخر والخيلاء
والاعتزاز بالقوة ...

لأنه يعلم أن الآدمي ... يستطيع أن يأتي بالعرش أسرع من ذلك ...
وجعل سليمان يترقب من جنس الآدميين مقالاً ... لأنهم أقدر من الجن
وأقوى ...

« قال النبي عنده علمٌ من الكتاب .

« أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك .

« فلما رآه مستقراً عنده .

« قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكرُ أم أكفرُ .

« ومن شكر فأنما يشكر لنفسه .

« ومن كفر فإن ربي غنيٌ كريم . »

« قال النبي عنده علمٌ فائض عليه ...

« من الكتاب » أي من حضرة العلم ... المحيط الإلهي ... المعبر عنه
بالقضاء ... واللوح المحفوظ ... وعالم الأسماء ... والأعيان الثابتة ... يقدر
بذلك العلم على إحضار شيء ... وإعدامه دفعة ...

« وهو كان وزيره ... آصف بن برخيا ...

« قد انكشف عليه خواص الأسماء الإلهية ... ففعل بها ما فعل ...

« أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، أي قبل أن تعيد وتطبق
أجفانك ... حين نظرك والتفاتك ...

« وهذا كناية عن كمال السرعة والمجلة .

« فأتى به طرفة عين ...

« فلما رآه » أي سليمان ... العرش ...

« مستقراً عنده ، في طرفة عين ... قبل اتیان بلقيس ...

« قال » سليمان عليه السلام ... متوجهاً إلى ربه ... ذاكراً نعمه الفائضة عليه ... مجدداً الشكر إياها ...

« هذا » أي حضور هذا العرش العظيم ... الثقيل في غاية الثقل ... والعظمة في آن واحد ... مع أنه قد كان في مسافة بعيدة ...

« من فضل ربي » عليّ ... ومن عداد جلائل انعامه ... وأفضاله إليّ ... انما تفضل سبحانه عليّ بهذا ...

« ليبلوني » ليختبرني ...

« أشكر » وأخذ بمواظبة شكر نعمه المتواترة عليّ ... بحيث أعجز عن أداء شكره ... وأعترف بالعجز والقصور ... عن إحاطة نعمه ... فكيف عن أداء حقوقها؟ ...

« أم اكفر » نعمه ... ولا أقيم بمقام الشكر عليها ... وإن كانت الإقامة والتوفيق عليها أيضاً ... من جملة أنعامه وأفضاله وإكرامه ...

« و » لا عائدة من شكرنا إليه سبحانه ... إذ هو منزّه عنها ...

« من شكر » الشاكر ...

« لنفسه » ولازدياد نعمه بمزيد الشكر ...

« و » أيضاً ...

« من كفر » فإنما يكفر لنفسه ... ولانتقاص نعمه ... لانتقاص شكره ...

« فإن ربي غني » في ذاته ... عن عموم الفوائد والعوائد ...

« كريم » جواد ... لا يعمل فعله بالأغراض ... وأنعامه بالأعراض ...

أما الامام القشيري .: فقال في لطائف الإشارات :

« الذي عنده علم من الكتاب » (قيل هو آصف) ... وكان صاحب كرامة .

وكرامات الأولياء، ملتحقة بمعجزات الأنبياء . إذ لم يكن النبي صادقاً في نبوته
لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته .
ومعلوم أنه لا يكون في وسع البشر الإتيان بالعرش بهذه السرعة ، وأن
ذلك لا يحصل إلا بخصائص قدرة الله تعالى .

« وقطع المسافة البعيدة في لحظة لا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين:
« إما أن يُقدم الله المسافة بين (العرش وبين منزل سليمان) .
« وإما بأن يعدم العرش ثم يعيده في الوقت الثاني بحضرة سليمان .
« وأي واحد من القسمين كان - لم يكن إلا من قبل الله .
« فالذي كان عنده علم من الكتاب ، دعا الله - سبحانه - واستجاب له في
ذلك ، وأحضر العرش .

« وأمر سليمان حتى غير صورته ، فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه ،
وأثبتته على تركيب آخر غير ما كان عليه .

« ولما رأى سليمان ذلك أخذ في الشكر لله - سبحانه - والاعتراف بعظم
نعمه ، والاستحياء ، والتواضع له ، وقال : « هذا من فضل ربي ؛ لا باستحقاق
مني ، ولا باستطاعة من غيري ، بل أحمد النعمة لربي ، حيث جعل في قومي
ومن أمي آمن له الجاه عنده فاستجاب دعاءه .

« وحقبة الشكر - على لسان العلماء - الاعتراف بنعمة المنعم على
جهة الخضوع .

« والأحسن أن يقال : الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه .

« فيدخل في هذا شكر الله للعبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان
العبد ، وشكر العبد ثناء على الله بذكر إحسانه ...

« إلا أن إحسان الحق هو إنعامه ، وإحسان العبد طاعته وخدمته لله ،
وما هو الحميد من أفعاله .

« فإما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة : فالشكر صرف النعمة في
وجه الخدمة .

« ويقال الشكر ... ألا تستعين بنعمته على معاصيه .

« ويقال الشكر ... شهود المنعم من غير مساكنة إلى النعمة .

« ويقال ... الشكر رؤية العجز عن الشكر .

« ويقال ... أعظم الشكر ... الشكر على توفيق الشكر ...

« ويقال ... الشكر على قسمين : شكر العوام على شهود المزيد ، قال

تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، وشكر الخواص يكون مجرداً عن طلب
المزيد ، غير متعرض لمال العواض .

« ويقال ... حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها ؛ لأن بالشكر
يقامها ودوامها . »

أما الامام الطبري ... فقال :

« قبل أن يرتد اليك طرفك » : قبل أن يرجع اليك طرفك ؛ من عند

منتهى نظرك .

« فتكلم العالم بكلام .

« قيل : بأن قال : يا إلهنا ، وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت ،

اثنتي بعرشها .

« فصار العرش في المكان الذي كان به .

« ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

« فلما رأى سليمان العرش بين يديه ؟ (قال : هذا من فضل ربي ليبلوني) :
ليختبرني » .

وإنما أفضنا في نقل ما ذهب اليه بعض الأعلام من أهل التفسير ... في
تفسير تلك الآية العزيزة ... لنضع أمام القارئ صورة متكاملة للمعجزة
الخطيرة ... معجزة نقل عرش ضخم ... واقتلاعه من مكانه في صدر قاعة
عرش بلقيس ... وإحضاره في لحظة أمام سليمان ...

نريد بذلك تشبيث العقول ... فإن المعجزات تخلخل العقل البشري ...
كيف ؟ .. لماذا ؟ .. كيف تم نقل هذا العرش الثقيل من اليمن إلى الشام ...
في أقل من لحظة ؟ .. هل هذا ممكن ؟ .. وماذا قال آصف هذا حتى تطاوع له
العرش وجاء بين يديه فوراً ؟ !.

العقل لوح ملحاح ... يلح في الأسئلة ... ولا يُسلم في بساطة ...
والمعجزات خوارق ... تحرق العقل والقوانين العقلية ... فتمزقه هزاً
عنيفاً ... ويضطرب أمامها اضطراباً شديداً ...

ثم ماذا ؟ !

ثم ما هو سر هذه الخارقة ؟ !

سرها ... ذكره الإمام الأكبر ... ابن العربي ... وتجد ذلك من هذا
الكتاب ... في باب « سليمان ... كما يراه ... ابن العربي » ... وقد كشف لنا
فيه من عجائب تلك المعجزة !..

من أجل ذلك ... لا نتكلم عن سر المعجزة ... فإذا تكلم ابن العربي ...
فليسكت أمثالنا ...

وإنما نتكلم عن المنظر ... باعتباراه من المناظر الإلهية الفريدة ...

سليمان ... وما أدراك ما سليمان؟! ..
على كرسي عرشه ... يحف به أئمة الجنّ ... وأئمة الإنس ... وأئمة الطير...
وكان الوقت ضحى ...
فرأى سليمان في الأفق من بعيد ... جمّاً غفيراً من الناس والدواب ...
يسيرون في اتجاه قصره المشيد ...
فلما استفسر أخبروه أن ذلك الذي يرى ... موكب ملكة سبأ ...
فنادى في من حوله « أيّسكم يأتيني بعرشها »؟!
فثار عفريت من الجنّ صائحاً : « أنا آتيك به »! ..
فأعرض النبي الملك عن قوله وقال : أريد أسرع من ذلك ؟
فنهض آصف من مجلسه وقال في خشوع الأولياء : « أنا آتيك به قبل أن
يرتد اليك طرفك »! ..
وعلى الفور ... نبع العرش بين يدي سليمان؟! ..
لم يكن بين قول آصف ... وحضور العرش بين يدي سليمان ...
زمان ما ...
بمجرد قوله ... كان العرش ... حاضراً؟! ..
هذا هو المنظر الفريد العتيد ...
وهذا ما يهتله العقل اهتزازاً شديداً ...
ولا يستطيع له تفسيراً ...
ولكنه حقيقة قاطعة ... وقعت فعلاً ... ونطق بها الوحي الإلهي ...
حيث قال « أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك »! ..

أي ... قبل أن أتم كلامي معك ...
وقد كان ... واستقر العرش فوراً ... أمام سليمان ...
وحتى يُغلق باب التأويلات أمام العقول ... فتضطر إلى التسليم التام ...
قال « فلما رآه مستقراً عنده ...
« فمساءً » الفناء للفورية ... فوراً كان العرش أمامه ...
« رآه » شاهده سليمان بهينيه ... وشاهده جميع الحاضرين من حوله ...
« مستقراً » ثابتاً ... لا يتحرك ... ولا يهتز من أثر التحريك والنقل
السريع ... وإنما جامداً أمامه ... كأن لم يحدث شيء !..
« عنده » في نفس المكان الذي يجلس فيه ... ويجوار عرشه ...
وبذلك قطع الوحي كل سبيل على العقول ... فلا تأويل ... ولا
تفكيك ... ولا تحويل للحقيقة عن واقعها ...
وإنما ... فوراً ... ها هو عرش بلقيس ... أمام العيون ... عن
عين عرش سليمان ...
هو ... هو ... يجواهره ... ونفائسه ... وزينته ...
والآن ... أيها العقل المسكين ... ماذا تقول؟! .
تم ماذا؟!
ثم أقول ... ولكن هذا الـ « آصف » ... العظيم ... هذا الوليّ المستور ...
لقد كان مستوراً ... وإن من أولياء الله ... من لا يعلمهم إلا الله ...
كان مستوراً عن العيون ...

فصار مشهوراً ... إلى الأبد ...
وحسبه أن الله قال فيه « الذي عنده علم من الكتاب » ...
عنده ... علم؟! ...
أي علم هذا ... هل هو علم « كن ... فيكون » ... تقول للشيء
كن فيكون؟! ...

هل هو علم خواص الأسماء الإلهية؟!
هل هو علم اختصه الله به؟!
وأى كتاب هذا؟!
هل هو التوراة والزبور؟!
هل هو « أم الكتاب » حيث فيه كل ما كان وما سيكون؟!
هل هو علم اللوح المحفوظ؟!
هل هو علم الأسرار والأنوار؟!
علم ... من ... الكتاب؟! ...
سأل ما سألت ... وقل ما سألت ...

ولن ترجع بشيء ...
لأن الولاية ... سر بين الله ... وعنده ...
لا يُطلع عليه أحداً ...

هو ... يواليه ... بما شاء منه ...
والوليّ ... يواليه ... بما شاء له ...

أسرار ... ولذلك قال «علم» ... لا سبيل لكم اليه ... اختصته به ...
كل وليّ ... له سره الخاص به ... لا يعلمه أحد سواه ...
وله جنته ... الخاصة به ... لا يدخلها أحد سواه ...
وله اكراماته ... الخاصة به ... لا يُكرم بها أحد سواه ... أي
لا يشترك فيها معه أحد ...

والأولياء ... لا يريدون اشهاراً ... ولا شهرة ...
وإنما ... هو ... إذا أراد أشهرهم ... وجعلهم أولى شهرة ...
فإذا شهرهم ... لا يستطيع أحد إطفاء شهرتهم ...
كالشمس ... إذا أشرقها ... لا يستطيع أحد أن يمنعها من الشروق ...
كان «آصف» مستوراً ... فجعله مشهوراً ...
ومن تلك اللحظة ... صار في الكتاب مسطوراً !..
وأخيراً ... نقول ... إذا كان هذا هو شأن وليّ من الأولياء ... في بطانة
سليمان ... جاء بعرش بلقيس ... قبل أن يرتد اليه طرفه !..

فكيف يكون سليمان نفسه ... الذي كان آصف ... ذرّة من بحره ؟!
لا يستطيع الاحاطة به ...

وكيف نحيط علماً ... بمن أثنى عليه ربه ... وألقى على جبينه تاج
الخلود به ...

« نعم العبد » ؟!

ثم ماذا بعد هذا ؟!

ثم انظر ... العظمة السليمانية ...

وأعظم ما يكون الانسان ... حين يكون في حال الشكر لربه ...
« فلمّا » ... فوراً ... بمجرد رؤيته للعرش مستقراً عنده ...
« قال » فوراً ... وماج بقلبه اليّنا موجاً ...
« هذا » المنظر الفريد العجيب ...

« من فضل ربي » لا مدخل لي ... ولا لأصف ... ولا لأحد ... ولا
لشيء قط ... فيا حدث ...

وإنما هو « فضل » ... ليس إلا ...
ولو لم يتفضل ... ما تحركت ذرة من ذرات هذا العرش ...
والأنبياء أذكى وأزكى ...
هم أنبه الخلق ... وأزكى الخلق ...
يفهمونها بالإشارة ... ولهم في كل حركة في الوجود ... فهم ... ذواق ...
تواقي ... مشتاق ... إلى ربهم ! ..

بمجرد رؤيته للعرش ... تفجر قلبه الشريف ... بشوقه إلى ربه ...
وجعل يوج إليه موجاً ...
ويشعشع في الكون ... شمعيانية قدسية :

« هذا من فضل ربي .

« ليبلوني .

« أشكر أم أكفر .

« ومن شكر فأنما يشكر لنفسه .

« ومن كفر فإن ربي غني كريم » ! ..

كل أغرودة من هؤلاء ... ببحر موج بأعلى وأغلى وأسمى معرفة! ..
ومن كالأنبياء إذا غردوا لربهم؟! ..
كل منهم ... بلبل ... من بلابل الحضرة ...
له أغاريدته ... وأناشيده ...
حق إذا أنشدوا جميعاً ... في حضرة ربهم ...
سمعت ما لا أذن سمعت ...
ورأيت ما لا عين رأت ...
ولا خطر على قلب بشر! ..

فَكْرُوا ... لها ... عرشها ...!

سليمان ...

على عرشه ... ينظر إلى عرش بلقيس ... مستقراً عنده ... ويشكر
ربه ... أن تفضل عليه بهذا الفضل العظيم ...

بينما جعل آصف بن برخيا ... يذوب حياءً من الله ... أن أكرمه بتلك
الكرامة على الملأ ... فخراً ساجداً ... شكراً لله ...

في هذا الموج ... من الحمد والشكر ... أصدر سليمان أمراً :

« قال فكثروا لها عرشها فنظروا أتتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ،

« نكروا لها عرشها » غيروا لبلقيس كرسي عرشها ... غيروا صورته

الظاهرة ... بحيث يصعب التعرف عليه ...

« ننظر » نختبرها بذلك ... هل هي من يؤمن بقدرة الله ... على أن

يفعل سبحانه ما يريد ؟ .. هل عندها استعداد لتتفتح على الإيمان بالغيوب ؟ ..

أم هي حبيسة عقلها لا تصدق بما وراء المحسوس !

« أتتدي » إلى ربها ... أتوجه إليه بقلبيها ...

« أم تكون من الذين لا يهتدون ، أم تظل جامدة على كفرها ... كما هو

حال الذين لا يهتدون ... مهما رأوا من آيات دالة على قدرة الله ؟ ..

ماذا نفهم من هذا ؟؟

نفهم من هذا أن نبي الله ... سليمان ... يريد أن يهز أعماق المرأة الملكة ...

وأن ينظر ماذا يكون احساسها عندما تبصر كرسي عرشها أمامها ... وهذا
مستحيل أن يكون إلا بفعل خارق ... لا يصدر إلا عن قدرة الله ...

ثم هو أمر بتنكير عرشها ... ليختبر عقلها ... هل هذا معقول؟ .. من
جاء بهذا العرش؟ .. وكيف؟ ..

ان الذي فعل هذا ... انما هو إله عظيم قادر فعّال لما يريد! ..
ثم ماذا؟!

ثم قام سليمان من مجلسه ... ليعود اليه بعد ذلك ... وقد تم تنكير
عرشها ... ويكون في انتظار الملكة واستقبالها ... في ضحى اليوم التالي ...

ليعطيهم الفرصة ليستريحوا من متاعب رحلتهم البعيدة ...
ويصلحوا من زينتهم ... ويأتوه في مراسم الملوك ...

وها نحن في ضحى اليوم التالي ... وها هو سليمان على عرشه ...

وها هو عرش بلقيس ... عن يمين عرشه ... وقد تم تنكيه كما أمر ...

ومن حول سليمان اصطف قادة الجن ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...

وقد دُعي إلى هذا الحفل كبار رجالات الدولة ... في الدين والدنيا ...

والقصر الفخم يهتز بمظاهر العظمة والأبهة ...

وزاد من عظمته ... عرش بلقيس العظيم ... بجواهره ونفائسه

ونقوشه ...

وبعد قليل ... أعلن رجال القصر ... مقدم الملكة ...

فدخلت قاعة العرش ... في ثياب المثلك ... يتبعها قادة دولتها

وعظماؤها ...

وتوجهت الملكة إلى حيث يجلس سليمان على عرشه ...

فوقف النبي الملك ... وتبسم تبسم الأنبياء ...
واستقبلها أحسن استقبال ... وصافح كبار دولتها ...
ثم دعاها الملك أن تأخذ مجلسها على عرشها ...
فتوجهت لتجلس عليه ...
ثم فوجئت بعرشها أمام عينيها ... فذعرت وارتبكت ... ولم تصدق
ما رأت !!
ثم جعلت تدبّر النظر إلى العرش ... فلاحظت أن الهيأة هيأة عرشها ...
ولكن المنظر العام يختلف عن منظره ... الذي تعلمه علماً يقيناً !!
وتفجرت رأسها أسئلة لا تحصى ...
هل هو عرشي ؟
هل هو تقليد لعرشي ؟!
ومن أين لهم محاكاته بهذه الدقة ؟!
وإذا كان هو نفس العرش ... فمن جاء به إلى هنا ... وكيف ؟!
« فلما جاءت » .
« قيل أهكذا عرشك » .
« قالت كأنه هو » .
« وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين » .
« فلما جاءت » بليقيس إلى سليمان ... ودخلت إليه في موكبها ... وقام
سليمان يستقبلها ...
« قيل » قال لها سليمان ... لأن الملك لا يخاطبه إلا ملك في مثل مستواه ...
« أهكذا عرشك » كرسى عرشك ؟!
فازدادت الملكة حيرة ... والجميع يركزون أنظارهم عليها ...

« قالتُ » الملكة ... بعد أن تفرست في عرشها ... وتفحصت زينته ...
« كأنه هُوَ » كأن هذا العرش هو عين عرشي ...

ثم أخذت مجلسها على عرشها ...

وأخذت قاداتها مجالسهم ... في الصف الأول أمامها ...

وعم القاعة صمت رهيب ...

ثم قطع سليمان ذلك الصمت بقوله : إن هذا العرش الذي تجلسين عليه ...

هو عرشك ... وقد جيء به من هناك في لحظة ... وهذا من فضل ربي ...

فتبسمت الملكة وقالت :

« وأوتينا العلمَ » وسمعنا يا نبي الله كثيراً عن عظمة ملكك ... وعلّمنا

قبل أن نحضر اليك كثيراً من المعجزات التي آتاك ربك إياها ...

« من قبلها » من قبل هذه الخارقة ... من قبل أن نشهد هذه المعجزة ...

فلا حاجة بنا إلى دليل جديد ... على نبوتك ... وصدق رسالتك ...

« وكفا » وجئنا اليك جميعاً ... أنا ... وجميع رجالات مملكتي ...

« مسلمين » منقادين لأمرك ... مصدقين لنبوتك ! ...

ثم استرسلت الملكة في حديثها ... على ملاء من قومها :

أيها الملك العظيم ... أيها النبي الكريم ...

— لقد سمعنا عن عظمة ملكك ... وكثرة حكمتك ...

— فلما جئنا وشهدنا ... وجدناك أعظم مما سمعنا ...

— فلما سمعنا حكمتك ... تأكدنا من نبوتك ...

— وما صدقنا في الإيمان بربي ... إلا أنني نشأت في قوم يعبدون الشمس ...

وما كنت لأخرج عن مألوف شعبي ... وكثيراً ما يضطر الملوك إلى مجاراة شعوبهم ... حرصاً على بقاء المُلْك في أيديهم ...

- وكما تعلم أيها الملك ... فإن أكثر الناس لا يعقلون! ..

- أيها الملك ... أيها النبي ... لقد كنت أعتقد أن مُلِكي أعزُّ ملك ... فلما رأيت ما آتاك ربك ... صغرُ مُلِكي في عيني ... وصغرت في عيني نفسي ... ثم أشارت إلى رجالاتها وهم قعود وقالت :

- إني أشهدك ... وأشهد هؤلاء جميعاً ... ما عبدنا الشمس إلا تقليداً لأبائنا ... ما عبدناها اقتناعاً بربوبيتها ... وإنما هكذا وجدنا آبائنا يفعلون !

- كنتُ أسأل نفسي ... ولكن لا أستطيع الجهر برأيي ... هل صحيح أن الشمس إله؟! ..

- ألا يمكن أن يكون من ورائها شيء أكبر منها ... خلقها؟!

وسليمان يتبسم ويستمع ... ويهمس في آذان من حوله :

« وصدّها ما كانت تعبدُ من دون الله .

« إنها كانت من قومٍ كافرين ، ...

وكانت حفلاً خالداً ...

الملك النبي ... على عرشه ...

وقد جاءه شعبٌ بأكمله ... ممثلاً في ملكته وقادته ...

يعلنون تسليمهم! ..

وكانت لحظة ... من لحظات التحول الخطيرة ...

قلب ملكة يتحول إلى الله ...

وقلوب قادتها من ورائها تتحول إلى الله ...

وقلوب شعب بأكملهم ... تتحول من ورائهم إلى الله ...
وسليمان ... يتلقى من ربه ... ذلك الفضل العظيم ... شاكرًا ذاكرًا ...
ثم نهض النبي الملك ... فوقف الجميع ...
أيذانًا بانتهاء مراسم الاستقبال ...
وتوجهت الملكة ... إلى قصر الضيافة ... الذي أعد لاستقبالها ...
وكانت الإشارة ... من هذه الأحداث كلها ...
أن الأرض ... تشهد نبيًا ملكًا ... قد أوتي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ
من بعده ...
وفي نفس الوقت ... تشهد امرأة ... ملكة ... جاءت ... إلى ذلك
الملك النبي ...
لتغتسل من أوزار كفرها ... وتلقي عنها ثياب جهلها ...
تجربتان عظيمتان ...
تجربة نبي ملك ...
توازيها تجربة امرأة ملكة ...
ولكن الأعجب من ذلك كله ... أن الذي فتح باب هذا الخير العميم ...
كان كائنًا صغيراً ... ضئيلاً ... اسمه ... الهدهد !..

في ... قصر ... القوارير ... ١٤

كان ...

سليمان ... قد أصدر أمراً ... حين سمع بخروج بلقيس من مملكتها ...
قادمة إليه ...

كان قد أصدر أمراً عجيباً ... إلى قوم شأنهم عجيب ! ..
أصدر أمراً إلى الجنّ ... أن يعملوا له أعجب قصر ... في الأرض ...
أن يبنيوا له قصرأ ... من الزجاج الشفاف ... غير قابل للكسر ...
ليستقبل فيه ... الملكة بلقيس ... ويرىها من آيات الله عجيباً ! ..
وعلى الفور شرع الجنّ يعملون سريعاً ...
فشيدوا له قصرأ شامخاً ... من عدة طوابق ...
تصميمه عجيب ...

كل شيء فيه من زجاج ...
وليت الأمر وقف عند هذا ولكن من زجاج شفاف ... يرى ظاهره من
باطنه ... وباطنه من ظاهره ! ..

وأكبر من ذلك ... زجاج غير قابل للكسر أو التهشم ...
يحمل الضغط ... والمشى عليه .. وفيه صلابة شديدة ...
وأبدع الجنّ في صنعة ذلك القصر ابداعاً عجيباً ! ..

قاعة العرش فسيحة ... في صدرها عرش لسليمان ...
وعن يمين عرشه ... عرش بلقيس ...
وأرض قاعة العرش ... من زجاج شفاف ... تجري من تحته المياه الملونة ...
وتتسابق في هذه المياه ... الحيوانات البحرية ... من أنواع الأسماك ...
والضفادع ... والزواحف ... وغيرها من عجائب البحار ...
وهكذا أرضيات سائر الحجرات ... والممرات المؤدية إليها ...
وفوق هذه المياه ... مسطحات من الزجاج الشفاف الملون ... تكشف
للناظر ما تحتها ... بحيث يخيل إليه أنها غير مسقوفة !..
براعة جنسية ... وصنعة لا عهد للبشر بها ...
وأقيم القصر عالياً ... شامخاً ... جميلاً ... شفافاً ... يتيمه بصنعته
الجان !..
فلما جاءت الملكة ... وأقيم لها حفل الاستقبال ... في القصر الرسمي ...
ووجهت إليها الدعوة ... من الملك سليمان ... لحضور حفل آخر ...
تكريماً لها ... ولرجالها ...
وكانت الدعوة هذه المرة ... إلى حضور حفل ملكي ... في
قصر القوارير !..
وها هو الملك سليمان ... يجلس في صدر القاعة الملكية على عرشه ...
وعن يمينه ... أعد عرش بلقيس ... بعد أن تم نقله من القصر الرسمي ...
إلى قصر القوارير ...
ومن حوله جلس كبار الجنّ ... وسادات الإنس ... وكبراء الطير ...
ثم أعلن اقتراب الملكة ... في موكبها ...

فخفف إلى مدخل القصر... رجال الحاشية لاستقبالها...
كانت الملكة في زينة ملكية... في ثوب أنيق... ذي أذيال طويلة...
فدخلت إلى بهو القصر... ومن ورائها كبراؤها وحاشيتها...
فلما دنت من قاعة العرش...
فوجدت ببحر توج أمواجه... وتلمب فيه الأسماك... وعجائب
البحار...
فغضبت غضباً شديداً... وظنت أنهم يريدون اغراقها في هذا
البحر المواج...
فتقدم منها... كبير أمناء الملك سليمان...
وقال لها: تفضلي... وادخلي قاعة العرش...
فإن الملك... في انتظار قدومك...
ونظرت بلبقيس طويلًا... إلى البحر المواج... المطلوب منها أن تخوضه...
لتصل إلى حيث يجلس سليمان...
فوجدته بجرأ عميقاً... عمقاً لا يُدُّ لها من كشف ثيابها... حتى لا تبتل
من مياهه المتدفقة...

« قيل لها :

« ادخلي الصرح .

« فلما رآته حسبته لُجَّةً .

« وكشفت عن ساقينها .

« قال إنه صرحٌ مُموَّدٌ من قوارير .

« قالت ربّ إني ظلمت نفسي .

« وأسامتُ مع سليمانَ لله رب العالمين » .
« قيل لها » قال كبير أمناء القصر لبليقيس ...
« ادخلي » تفضلي ... وادخلي ...
« الصرحُ » القصر ... قصر القوارير ...
صرح : أي قصر ... وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح ...
« فلما رآته » بمجرد أن رأت القصر ... أدهشتها المفاجأة ...
« حسبتة » ظنت القصر ...
« لجةٌ » بجرأ ... تموج أمواجه ... وتضطرب فيه الأسماك ...
« وكشفت عن ساقبيها » ورفعت ثوبها ... وكشفت عن قدميها وساقبيها ...
لتستطيع المشي في البحر ! ..
ثم كانت المفاجأة أنها وجدت نفسها تمشي على شيء صلب ...
فأدركت أن البحر ليس بجرأ بمعنى المألوف ... ولكنه مغطى بالزجاج ...
فازدادت دهشة ... واجترأت على المشي ... فأرخت ثيابها ... وهي
تضحك من نفسها ...
وتوجهت إلى حيث يجلس سليمان ...
فتلقاها سليمان في تبسم ... وحيثاها ... وطمأنها ... وقال لها :
« قال » سليمان ... وهو يستقبل الملكة ...
« انه » ان هذا البناء العجيب ... الذي أثار دهشتك ...
« صرح » قصر ... لا مثل له في العالم ...
« ثمرد » ممس ... كل شيء فيه أملس ... شفاف ... في غاية الصفاء ...
« من قوارير » من زجاجات ... كله من الزجاج الشفاف ... كما رأيت ...

قام الجنّ ببنيانه ... وبرعوا في اخراجه كما رأيت !
« قالت » بلقيس ... معتذرة عن سوء ظنّها بسليمان ... حيث ظننت أنه
يريد اغراقها في ذلك البحر ... والخلاص منها ...

« ربّ إني ظلمت نفسي » بهذا الظنّ الفاسد في نبي الله ...
إني ظلمت نفسي ... بتسويق الإيمان بك ... والإيمان بنبيك ... وكان
يجب أن أبادر إلى الإسلام بمجرد أن دعاني إلى ذلك في خطابه الأول « بسم الله
الرحمن الرحيم ... لا تهلّوا عليّ ... وأتوني مسلمين » ... فجعلت أسوف
وأقباعد ... وهذا ظلم شديد لنفسي ...

وكانت الملكة ... ما زالت واقفة أمام كرسي عرشها ... وما هي تعلن
أمام الملك سليمان ...

وأمام المجتمعين جميعاً ... من قادة الجنّ ... والإنس ... والطير ...
وأمام رجالات دولتها ... الذين ظنّوا كما ظننت ... أن هذه كانت مؤامرة
من سليمان ... لإغراقهم جميعاً في مياه البحر ... والخلاص منهم ... ليستولوا
بعد هلاكهم على مملكة سبأ بخيراتها وإمكانياتها !..

أمام الجميع .. أعلنت الملكة إسلامها ... وشهرت تسليمها ...
وهتفت في يقين :

« وأسلمت » إسلاماً تاماً ...

« مع سليمان » مع سليمان ... نبي الله حقاً وصدقاً ...
« لله » لا شريك له ...

« رب العالمين » رب العوالم كلها ... رب كل شيء !...
وما أن سمعها رجالات دولتها ... تعلن إسلامها ...

حتى بأدر كبيرهم يردد في صوت شديد ... وهم يرددون وراهه :
« ربنا ... إننا ... ظلمنا أنفسنا ... وأسلمنا مع سليمان ... لله ...
رب العالمين » !..

هنالك تهلل وجه النبي سليمان سروراً ...
وبدا وجهه الشريف كأنه قطعة قمر ...
وشاع السرور في جميع الحاضرين ...
وضجوا جميعاً بالتسبيح ... لرب العالمين ...
هؤلاء هم سادات سبأ ... جاءوا مسلمين ...
وعلى رأسهم بلقيس ... تلك المرأة العظيمة ... الحكيمة ... العليمة ...
المسلمة ... المؤمنة ... التي قادت شعبها ... من عبادة الشمس ... إلى عبادة
الله رب العالمين ...

وكان حفلاً مباركاً ميموناً ...
وشهد قصر القوارير ... مولد عهد جديد ...
خرج فيه ... شعب من الظلمات إلى النور ...
ثم ماذا بعد هذا ؟!
قالوا :

« وتزوجها سليمان .
« وأحبها حباً شديداً .
« وردّها إلى ملكها باليمن .
« فكان يزورها كل شهر مرة .
« يقيم عندها ثلاثة أيام » .

ثم ماذا؟!

كانت هذه هي وقائع قصة سليمان ... وبلقيس ...

كما وردت في كتاب الله العزيز ...

سجلناها مؤسسة على صريح الآيات الكريمة ... مبرأة من أقاصيص

القصاص ... وتهاويل الحكايات ...

بدءاً من نبأ الهدهد « وجنتك من سبأ نبياً يقين » ... وانتهاءً بالنهاية

الكريمة ... في كتاب الله الكريم ... « وأسلمت مع سليمان لله

رب العالمين » ...

والآن ... متى دارت وقائع تلك القصة الخطيرة الخالدة ...

دارت في نحو السنة العشرين من مُلك سليمان ... وقد كانت مدة مُلكه

أربعين عاماً ...

أي في منتصف مدة مُلكه ...

وهو في أوج عظمته ... وفي ذروة المُلك والسلطان !..

تدمير البيت ...

الذي بناه سليمان ... مرتين ... ١٩...

قـد . . .

يسأل سائل : وما شأن سليمان . . . بشيء حدث بعد مئات السنين . . .
من بنائه لمبیت المقدس ؟!

ما علاقته بتدمير البيت بسبب فساد من بعده ؟!
وأقول : صحيح أن هذا لا يدخل في « حياة سليمان » . . . وإنما أثبتناه
ها هنا . . . لتتكامل الصورة . . . وتم العبرة . . . وتُسفهم النواميس الإلهية . . .

والناموس الإلهي . . . الذي لا تبديل له . . . ولا تحويل . . . هو :
« ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم .

« وإن أساتم فلها » . . .

والناموس الأزلي هو :

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً
وعذبناها عذاباً نُكراً .

« فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً » .

أمة أعطها الله ما أعطها . . .

وهداها ما هداها . . .

وأكرمها بما أكرمها . . .

وسلسل فيهم الأنبياء ...

وقال فيهم : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .

« وأني فضلتكم على العالمين » .

هذا من وجه العطاء ... فماذا من وجه البلاء ؟!

القانون ... في كل عطاء بلاء ... ليتحقق التوازن ...

فبنسبة ما أوتوا من عطاء ... يُصب عليهم من البلاء ...

فإن أحسنوا ... وقاموا بحقوق النعمة ... زادهم ...

وإن أساءوا ... ونقضوا العهد ... أخذهم أشد الأخذ ...

كما قيل لهم : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

« ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

هكذا الناموس ...

ليس هناك له من تبديل ...

وهؤلاء ... بنو إسرائيل ... يسري فيهم الناموس ... كما يسري في

سائر البشر ...

أعطاهم الله عطاءً واسعاً ... عبّر عنه سليمان حيث قال : « وأوتينا من

كل شيء » ... وما يعطيه الله للنبي ... فإنما هو عطاء لأمته ...

وأمره أن يبني له بيتاً ...

فبناه سليمان ... أعظم بناء ...

وافتحه أعظم افتتاح ...

وعبد الله فيه أحسن عبادة ...

ثم مات سليمان ... وكان ما كان ... وتطاول الزمان ...

وفسد بنو اسرائيل فساداً كبيراً ...
وقتلوا من الأنبياء ... وقتل الأنبياء هو الجريمة العظمى ...
وما تركوا من جريمة إلا ارتكبوها ...
فتحتم العقاب ... وتحتم الحساب ... وتحتم تدمير البيت ...
ولم يشفع للبيت ... أنه بيت الله ... لأن العبرة ليست بالمباني والزخارف ...
وإنما يكون البيت بيتاً لله ... إذا كانت القلوب لله ...
قال تعالى :

« وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنن
علناً كبيراً . »

« وقضينا » وأوحينا .

« إلى بني إسرائيل في الكتاب » المنزل عليهم ... على وجه الايدان
والاعلام ... تنبيهاً وتذكيراً ... والله ...
« لتفسدن » أنتم ...

« في الأرض مرتين » مرة بمخالفة أحكام التوراة وقتل شعياً ... ومرة
بقتل يحيى وزكريا ... وقصد قتل عيسى عليهم السلام ... كل ذلك من أعظم
الجرائم عند الله ...

« و » مع ذلك ...

« لتعلنن » ولتستكبرن عتواً وعتاداً على الأنبياء ... استهانة واستخفافاً
وسخرية واستهزاءً ...

« علناً كبيراً » بحيث لا تبالون لهم ... ولا تعدونهم من العقلاء ... بل
تسفهونهم تارة ... وتكذبونهم أخرى ... فاعلموا أيها المسرفون انا ننتقم منكم
في النشأة الأولى ... لكل جريمة صدرت عنكم ... من الجريمتين العظيمين ...

« فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

« فإذا جاء وعد » انتقام ...

« أولاهما » أي أولى الجريمتين ...

« بعثنا » وسلطانا ...

« عليكم » حين أردنا الانتقام منكم ... والأخذ عليها ...

« عباداً لنا » منتقمين منكم ... من قبلنا ...

« أولى بأس شديد » وشوكة عظيمة ... وصوله قوية قاهرة ... وهم إذا دخلوا عليكم ...

« فجاسوا » أي تجسسوا ... وترددوا لطلبكم ...

« خلال الديار » ووسطها ... للقتل والاستئصال ...

« و » قد ...

« كان » ما ذكر من الانتقام ...

« وعداً » من الله ...

« مفعولاً » حقاً عليه سبحانه انجازه وإيقاعه ...

وذلك حين استولى « بخت نصر » عليهم ... فقتل كبارهم ... وسبى صغارهم ... ونهب أموالهم ... وخرّب بلدانهم ... وحرّق التوراة ... وخرّب الأقصى ...

« ثم ردّنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً » .

« ثم » بعد ما ضعفناكم وأخذناكم قد ...

« رددناكم ، وأعددتنا ...
« لكم الكرة ، أي الدولة والصولة والغلبة ...
« عليهم ، أي على أعدائكم ...
« وأمددناكم بأموال ، عظام ...
« وبشيين ، معاونين ناصرين ...
« وجعلناكم ، في الكرة الثانية ...
« أكثر نفيراً » من الكرة الأولى ... وأكثر عسكرياً وجنوداً منها ...

« إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة
ليسئووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا
ما علوا تتبراً » .

« إن أحسنتم » لبني نوعكم ... خالصاً لوجه الله ... وآمنتم بالله
لتزكية نفوسكم ...

« وإن أسأتم » لهؤلاء وكفرتهم بالله ورسوله ...

« فلها أي وبال اسأتم أيضاً عائداً عليها ... إذ الله في ذاته غني عن احسان
المحسن وإساءة المسيء مطلقاً ...

« فإذا جاء وعد الآخرة » أي وقت انتقام الجريمة الأخيرة ... بعثنا عليكم
أيضاً عباداً لنا أولى بأس شديد وبسطة قوية ... وبطش محكم متناه في الصولة
والسطوة ... قيل انه ملك الفرس اسمه « جودرز » ... وإنما بعثناهم عليكم ...

« ليسئووا وجوهكم » بحيث قد ظهرت آثار اسأتمهم وإذلالهم إياكم
من وجوهكم ...

« وليدخلوا » هؤلاء أيضاً ...

« المسجد » الأتقى ... وخرّبوه ...

« كما دخلوه » وخرّبوه ...

« أول مرة » في استيلاء « بخت نصر » ... وأحرقن هؤلاء الكتب أيضاً
كما أحرقوا ...

« وليتبروا » وليهلكوا ...

« ما علوا » وما قدروا عليه وغلبوا ...

« تقبيراً » هلاكاً كلياً ... بحيث لا ينجو منهم أحد ...

قيل : دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم ... فوجد فيه دمياً يغلي ...
فسألهم عنه ... فقالوا : دم قربان لم يُقبل منا ... فقال : ما هو إلا كذب ...
فقتل منهم ألوفاً عليه ... ثم قال : ان لم تصدقوني ولم تبينوني دم من هو هذا
ما تركت منكم أحداً ؟ .. فلما اضطروا قالوا : انه دم يحيى النبي عليه السلام ،
قد قتلناه ظلماً ... فقال : لمثل هذا ينتقم الله المنتقم الغيور منكم ... ثم قال
ملتفتاً إلى الدم : يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاسكن
من الغلي قبل أن لا أبقى أحداً منهم ... فسكن ... ولم يقتل بعد هذا ...

« عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيراً » .

« عسى ربكم » يا بني إسرائيل ... وقرب ...

« أن يرحمكم » بعد المرأة الثانية ... ان تبتن عن جرائمكم ومعاصيكم ...

« وإن عدتم » اليها ثالثاً ...

« عدنا » إلى الانتقام والعذاب ثالثاً ... وهكذا رابعاً وخامساً ... هذا
في النشأة الأولى ...

« و » في النشأة الأخرى ...

« جعلنا جهنم للكافرين حصيراً ، عبساً ومضيقاً ... أي سجنناً ...
هذه هي الآيات ... التي سجلت تدمير بيت المقدس ... الذي بناه سليمان
أعظم بناء ... وأقام حق الله فيه أعظم إقامة ...
وهذا هو مختصر تفسيرها ...
فماذا عن وقائع التاريخ؟!
قال ابن الأثير :
« قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه « بخت نصر » على
بني إسرائيل ...
« ف قيل : كان في عهد « إرميا » النبي ...
« ... وإنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من
بني إسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره .
« وكانت سنة الله تعالى في بني إسرائيل أنه إذا ملك عليهم ملكاً أرسل
معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة .
« فلما كان قبل مسير « بخت نصر » اليهم كثرت فيهم الأحداث المعاصي .
« وكان الملك فيهم يقونيا بن يواقيم .
« فبعث الله اليه إرميا ...
« فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي ، ويذكر لهم نعمة الله
عليهم بإهلاك سنحاريب .
« فأمره الله أن يحذرهم عقوبته ، وأنه إن لم يراجعوا الطاعة ، سلبط عليهم
من يقتلهم ويسبي ذراريتهم ، ويحرب مدينتهم ، ويستعبدهم ، ويأتيهم بجنود
ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة .
« فلم يراجعوها .

« فأرسل الله اليه : لأقيضنّ لهم فتنة تذر الحليم حيران ، ويضل فيهم رأي
ذي الرأي وحكمة الحكيم .

« ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاقبياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من
صدره الرحمة .

« يتبعه عدد مثل سواد الليل ، وعساكر مثل قطع السحاب .

« يهلك بني إسرائيل ، ويلتقم منهم ، ويخرب بيت المقدس .

« فلما سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه .

« وجعل الرماد على رأسه ..

« وتضرع إلى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه ...

« ... فلم يزدادوا إلا سوء سيرة ...

« ونزل بخت نصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد .

« ففزع منهم بنو إسرائيل ...

« ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس .

« فوطىء الشام .

« وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم .

« وخرّب بيت المقدس .

« وأمر جنوده ، فحملوا التراب .

« وألقوه فيه حتى ماذوه .

ثم انصرف راجعاً إلى بابل ، وأخذ معه سبايا بني إسرائيل .

« وأمرهم ، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم .

« فاجتمعوا ، واختار منهم مائة ألف صبي .

« فقسّمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ...

« وقسّم بني إسرائيل ثلاث فرق .

« فقتل ثلثاً ، وأقر بالشام ثلثاً ، وسبى ثلثاً ...

« ثم إن بخت نصر عاد إلى بابل ، وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم .

هذا ما قال ابن الأثير... عن المرة الأولى... التي دمر فيها بيت المقدس...

ثم توالى السنون ... وأراد الله تعالى أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس
وكان بخت نصر قد مات ... فإنه عاش بعد تخريب بيت المقدس
أربعين سنة ...

ثم توالى من بعده السنون ... وبدأ بنو إسرائيل يعودون إلى بيت
المقدس ... ورجعوا إليه ... وعمره ... وعاد إليه ازدهاره ... وأمدم الله
بأموال وبنين ...

وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربته بخت نصر مائة سنة ... ثم
عاد إليه عمرانه ...

« ولما عمر بيت المقدس ، ورجع إليه أهله ، كان فيهم عُزَيْرٌ ...

ثم ماذا عن الكسرة الثانية؟!

قال ابن الأثير :

« أهل السير والتاريخ ... مجمعون على أن بخت نصر غزا بني إسرائيل عند

قتلهم نبيهم شعيا ، في عهد إرميا ...

« وبين عهد إرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة عند

اليهود والنصارى ...

« وأما ابن اسحاق فإنه قال :

« الحق أنت بي إسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل ،
وكتروا .

« ثم عادوا يحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه عليهم ، ويبعث
فيهم الرسل .

« ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون .

حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكرياء وابنه يحيى وعيسى بن مريم ،
عليهم السلام .

« فقتلوا يحيى وزكرياء .

« فابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له « جودرس » .

« فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام .

« فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه
« نبوزاذان » ، وهو صاحب الفيل : اني كنت حلفت ان انا ظفرت ببني
إسرائيل ، لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلى أن لا أجد
من أقتله .

« وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم .

« فدخل نبوزاذان المدينة ، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم .

« فوجد فيها دماً يغلي .

« فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟

« فقالوا : هذا دم قربان لنا لم يُقبل فلذلك هو يغلي .

« فقال : ما صدقتموني الخبر !

« فقالوا : انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يُقبل منا .

« فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم .

« فلم يهدأ !

« فأمر بسبعمائة من علمائهم فذُبحوا على الدم .

« فلم يهدأ !

« فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم ، قبل أن لا أدعَ منكم نافع نار ، أنشى ولا ذكراً إلا قتلته .

« فلما رأوا الجهد وشدة القتل ، صدقوه الخبر .

« وقالوا : هذا دم نبيّ ، كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله ، ويخبرنا بخبركم ، فلم نصدقك ، وقتلناه ، فهذا دمه .

« فقال : ما كان اسمه ؟

« قالوا : يحيى بن زكريا .

« قال : الآن صدقتموني . لمثل هذا انتقم ربكم منكم .

« وخرّ ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من ها هنا من جيش جودرس .

« ففعلوا .

« وخلا في بني إسرائيل ، ثم قال للدم : يا يحيى ، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم .

« فاهداً بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد .

« فسكن الدم .

« ورفع نبوزاذان القتل .

« وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت به ، وأيقنت أنه لا رب غيره .

« ثم قال لبني إسرائيل : إن جودرس أمرني أن أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ، ولست أستطيع أن أعصيه .

« قالوا : افعل .

« فأمرهم أن يحفروا حفيرة ، وأمر بالخييل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها حتى كثر الدم ، وأجرى عليه ماء ، فسال الدم في العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فألقوا فوق المواشي .

« فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره أرسل إلى نبوزاذان : أنت ارفع القتل عنهم ، فقد انتقمت منهم بما فعلوا .

« وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل .

« وكانت الواقعة الأولى بخت نصر وجنوده .

« ثم رد الله سبحانه لهم الكرة .

« ثم كانت الواقعة الأخيرة جودرس وجنوده .

« وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونساءهم .

« يقول الله تعالى (وليتبروا ما علّوا تتبيراً) .

وفي رواية أخرى :

« فحرب سور المدينة ، فدخلوها ، فأمرتهم المعجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكرياه حتى يسكن .

« فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم ، فأمرته بالكفّ ،
وكفّ . »

« وخرّب بيت المقدس ، وأمر أن تُلقى فيه الجيف . »

هذا شيء مما ذكر المؤرخون ... عن هاتين الوقعتين ... وأهوالهما ...
وتدمير البيت الذي بناه سليمان ... أعظم بناء ... مرتين ... مرة على يدي
« بخت نصر » ... ومرة على يدي « جودرس » ...

« وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » !..

لنفهم جميعاً ... ان الله إذا أعطى عطاء ... إنما يعطيه ليطاع فيه ...
ويستعمل في ما يرضيه ...

فإذا اتخذ العباد عطاءه لينفسدوا في الأرض ...

أنذرهم ... وحذرهم ... ثم « فحقّ عقاب » ...

وكان ما كان من انتقام ...

رأينا منه ... صورتين رهيبتين ...

يشيب من هولها الولدان !..

سليمان ... كما يراه ...
ابن العربي ...!

نشبت . . .

هنا . . . كما أثبتنا في « حياة داوود » . . . ما قاله شيخ العارفين . . .
ابن العربي . . . في سليمان . . .

ولتمييز كلام ابن العربي . . . عن كلام القاشاني . . . شارح الكتاب . . .
جملنا كلمات ابن العربي بالبنط العريض . . . وكلمات القاشاني بالبنط الطبيعي . . .
والكتاب الذي نتقل عنه هنا هو . . . « فصوص الحكم » . . . للإمام
الأكبر . . . محيي الدين بن العربي . . .

وأرجو مرة أخرى . . . أن يوضع في الاعتبار . . . أن ما ننقله عن الإمام
أو عن الشارح . . . هو من باب الاستثناس . . . لنضيف إلى « حياة سليمان »
أفقاً جديداً . . . ونظرة عالية . . . غير تلك النظرات التقليدية التي اعتادها
الناس حين ينظرون إلى حياة الأنبياء . . .

هذا هو الهدف من هذا الفصل من الكتاب . . . أما يذهب إليه الإمام . . .
أو الشارح . . . من مذاهب أو آراء . . . فلا تعقيب لنا عليها . . . فلكل وجهة
هو موليتها . . .

﴿ فص حكمة رحمانية ﴾

﴿ في كلمة سليمانية ﴾

قال القاشاني ... شرحاً للعنوان :

« انما اختصت الكلمة السلمانية بالحكمة الرحمانية ، لاختصاصه عليه السلام من عند الله ، جميع أنواع الرحمة العامة والخاصة .

« وقد خصه الله تعالى بالوجود التام على أكمل الوجوه .

« والاستعداد الكامل للولاية والنبوة من الرحمة الذاتية الخاصة والعامة ، وبالمواهب الظاهرة والباطنة .

« وأسبغ عليه نعمه الصورية والمعنوية .

« وسخر له العالم السفلي ، بما فيه من العناصر والمعادن والنبات والحيوان .

« والعالم العلوي ، بالامدادات النورية والقهرية واللاطفية ، من الرحمة الصفاتية ، الخاصة والعامة .

« مما يطول تفصيلها ، كالسلطنة الكاملة .

« والملك العام ، بالتصرفات الشاملة في الأرض ، والتبوء منها ما شاء .

« والمساء ، بالفوص .

« والرياح ، بالجلري بأمره حيث شاء .

« والنار ، بتسخير الشياطين النارية .

« كما ذكر الله تعالى في مواضع من القرآن .

« وحكي عنه قوله - يا أيها الناس علمنا فنطق الطير وأوتينا من كل شيء ، إن هذا هو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس - الآية .

« ولو لم يسخر الله العالم العلوي حتى يؤيده ، لما أطاعه الكون والشيطان ، ولا دان له الإنس والجان » .

قال الشيخ الأكبر :

« انه - يعني الكتاب - من سليمان وإنه - أي مضمونه - بم اسم الله الرحمن الرحيم -

« فأخذ بعض الناس في تقديم اسم سليمان على اسم الله .

« ولم يكن كذلك . .

« وتكلموا في ذلك بما لا ينبغي ، بما لا يليق بمعرفة سليمان عليه السلام بربه .

« وكيف يليق ما قالوه ، وبلقيس تقول فيه - اني ألقى إليّ كتاب كريم -

أي يكرم عليها « !!؟

قال القاشاني :

« ذهب الشيخ رضي الله عنه إلى قوله تعالى - إنه من سليمان - حكاية قول

بلقيس ، لا حكاية المكتوب في الكتاب .

« وذلك أن بلقيس لما ألقى اليها الكتاب قالت لقومها وأرثم الكتاب

- إنه من سليمان -

« فذلك قولها ، لا ما في طي الكتاب من المكتوب .

« وكذلك قوله - وإنه من - قولها .

« أي وإن مضمونه - بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعملوا عليّ وأتوني مسلمين .

« فما في الكتاب إلا - بسم الله الرحمن الرحيم - إلى قوله - مسلمين -
« وقد تأدب مع الحق الذي في أعيان الطاعنين في سليمان ، حيث لم يسمهم
ولم يصرح بتخطئهم .

« بل قال بعض الناس وتكلموا ما لا يليق .

« ومعنى قوله - ولم يكن كذلك - لم يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا .
« ثم أنكر ما قالوا بقوله ، وكيف يليق ما قالوه وبلقيس تقول - إني ألقى
إليّ كتاب كريم ؟

« فهي التي تقول - إنه من سليمان - الضمير في إنه يرجع إلى الكتاب ،
وهذا واضح التفسير .

« وعلى ما قالوه ليس الضمير المذكور يعود إليه ، وفيه تعريض بهم ، كأنه
يقول ، كيف يليق ما قالوه في حق سليمان من الطعن في كتابه وهم مسلمون ،
وبلقيس وصفت كتابه بالكرم ، وأنه يكرم عليها وهي كافرة ؟

« فقولها - إنه من سليمان - بعد ذكر الكتاب بيان للمرسل .

« وقولها - إنه - بيان لمضمون الكتاب وهو - بسم الله - إلى آخره .

ثم يقول ابن العربي :

« وإنما حملهم على ذلك تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

« وما مزقه حتى قرأه كله وعرف مضمونه .

« فلذلك كانت تفعل ببلقيس ، لو لم توفق لما وفقت .

« فلم تكن تحمي الكتاب عن الإخراق بحرمة صاحبه تقديم اسمه عليه السلام على اسم الله تعالى ، ولا تأخيره عنه » .

قال الشارح :

« هذا اقامة لعذرهم : أي ربما حملهم على ما قالوه تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وقوله : وما مزقه ، بيان لضعف عذرهم ، فإن كسرى إنما مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرأه ، وعرف أن مضمونه دعوته إلى خلاف دينه ومعتقده ، وقد قدم فيه اسم الله ، وإسم رسول الله على إسمه ، فغاظه ذلك فمزقه .

« وأما بلقيس فوفقها الله تعالى لما قرأت الكتاب ، فآمنت باطنياً ، وقالت لقومها : إنه كتاب كريم من سلطان عظيم .

« فلو لم توفق لما وفقت له لمزقته سواء تقدم فيه اسم سليمان على اسم الله أو آخر عنه .

« فلم يكن تقديم اسمه حامياً للكتاب عن الإخراق بسبب حرمة صاحبه ، ولا تأخيره فلم يكن كما قالوه » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« فأتى سليمان بالرحمتين .

« رحمة الامتنان ورحمة الوجوب .

« اللتين هما الرحمن الرحيم » .

قال القاشاتي :

« أي فصل ما في اسم الله من أحدية جمع الأسماء بالرحمن البدال على رحمة الامتنان .

« لعموم الرحمة الرحمانية الككل ، من حيث أن الرحمن هو الحق ، باعتبار كونه عين الوجود العام للعالمين .

» فعم بهذه الرحمة الذاتية جميع الأسماء والحقائق .

« فهي رحمة الامتنان التي لا يخلو عنها شيء ، كما قال - ورحمى وسعت كل شيء - .

« حق وسعت أسماءه ، فإنها عين ذاته كعلمه ، كما قال على لسان الملائكة - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً - .

« ولهذا قال الامام المحقق جعفر بن محمد الصادق : الرحمن اسم خاص : أي بالله تعالى ، بصفة عامة ، أي صفة له شاملة للككل ، لأنه لا يمكن غيره أن يسع الككل .

« وبالرحيم الدال على رحمة الوجوب ، لخصوص الرحمة الرحيمية ، بما يقتضي الاستعداد بعد الوجود .

فالأعيان مرحومة بالرحمة الرحمانية : أي التجلي الذاتي من الفيض الأقدس دون الرحيمية ، فإنها بعد الاستعداد .

« ولهذا قال الإمام عليه السلام : الرحيم اسم عام ، أي مشترك لفظاً بين الحق والخلق بصفة خاصة بمن يستعد .

« فإن الكمال الذي هو مقتضى الاستعداد بعد الوجود لا بد من وقوعه ، إما بواسطة الهادي والمرشد والعالم من الأسماء أو الملك أو الإنسان ، اللذان هما صورتان للأسماء أيضاً » .

ثم يقول ابن العربي :

« فامتّن بالرحمن ، وأوجب بالرحيم .

« وهذا الوجوب من الامتنان ، فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن .

« فانه كتب على نفسه الرحمة سبحانه .

« ليكون ذلك للعبيد بما ذكره الحق من الأعمال التي يأتي بها هذا العبد ، حقاً على الله أوجبه له على نفسه يستحق بها هذه الرحمة ، أعني رحمة الوجود .»

قال القاشاني :

« فامتن على الكل بالرحمن أي بتعميم الرحمة في قوله - رحمتي وسعت كل شيء - .

« وأوجبها في قوله - فسأكتبها للذين يتقون - .

« وقوله « سبقت رحمتي غضبي » امتنان أيضاً على الكل ، بإيجاب الرحمة لهم على نفسه .

« وهو معنى قوله : فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن ، يعني دخول الخاص تحت العام .

«لأنه إنما أوجب الرحمة السابقة على الغضب في قوله - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ليكون للعبد ما ذكره من الأعمال التي أوجدها الله على يده وأجراها عليه تلك الرحمة ، وذلك بالثواب الذي وعده على تلك الأعمال ، حقاً له على الله أوجبه على نفسه له بسبب الكتابة عليها ، امتناناً يستحق ذلك العبد بها هذه الرحمة .

« فذلك وجوب في تضمن الامتنان ، إذ الكتابة على نفسه امتنان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ومن كان من العبيد بهذه المشابة ، فانه يعلم من هو العامل منه » .

قال الشارح :

« وفي نسخة - العامل به - أي ومن كان من العبيد مستحقاً لرحمة الوجود بالتقوى والعمل الصالح ، يعلم أن الله هو العامل بهذا العبد ، أو من هذا العبد هذه الأعمال التي تستدعي هذه الرحمة على سبيل المجازاة بما يناسبها ، فإن هذا العلم من أعلى مراتب التقوى . »

ثم يقول :

« والعمل منقسم على ثمانية أعضاء من الانسان .

« وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها .

« فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مندرجة فيه أي في اسمه لا غير . »

« أي هوية العبد هو حقيقة الله ، أدرجت في اسمه ، فالعبد اسم الله ، وهويته المسماة هو الله .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« لأنه تعالى عين ما ظهر وسمى خائفاً ، وبه كان الاسم الظاهر والآخر للعبد ، وبكونه لم يكن ثم كان ، .

« أي وبسبب أن هذا العبد لم يكن ثم كان ، تحقق بالآخريّة من هذه الخميّة فهو الآخر ، وفي مادته فسمى الله بالآخر . »

ثم يقول :

« وبوقف ظهوره عليه ، وصدور العمل منه ، كان الاسم الباطن والأول . »

« أي بتوقف وجود العبد على الله الموجد له .

« ومن حيث أن الأعمال الصادرة من العبد ظاهرة ، صادرة عن الحق باطناً ، وفي الحقيقة تحقق للحق الاسم الأول والباطن من غيب هوية العبد ، فإن الحق هو العامل به وفيه » .

ثم يقول :

« فإذا رأيت الخلق رأيت الأول والآخر والظاهر والباطن .

« وهذه معرفة لا يغيب عنها سليمان عليه السلام .

« بل هي من الملك الذي لا يشبغي لأحد من بعده .

« يعني الظهور به في عالم الشهادة » .

« يعني أن سليمان كان عارفاً بأن الله هو العامل بسليمان وغيره ما يصدر عنه من الأعمال والتصرفات والتسخيرات .

« ولو لم يشهد أن الله عينه وجميع قواه وجوارحه ، لما تأتى له هذا السلطان والحنك الكلي » .

ثم يقول :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتيته سليمان وما ظهر .

« فمكناه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليغتك به » .

وفي نسخة : ليضل به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلبغ ولدان المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام ، فردّه خاسئاً ، فلم يظهر عليه الصلاة والسلام بما أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله - مُلكاً - فلم يعم ، فعلمنا أنه يريد مُلكاً ما ، ورأيناه قد شورك في كل جزء وجزء من المُلك الذي اعطاه الله .

« فعلمنا انه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفرية انه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولولم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفرية « فأمكنني الله منه » .

« قلنا انه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدره الله على أخذه ، فردّه الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه .

« ثم ان الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلمنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان ، الظهور بذلك في العموم » .

« وهذا كله ظاهر » .

« وليس غرضنا من هذه المسألة إلا الكلام والتنبيه على الرحمتين اللتين

ذكرهما سليمان في الاسمين اللذين تفسيرهما بلسان العرب الرحمن الرحيم فقيده رحمة الوجوب .

قال الشارح :

« في قوله - فسأكتبها للذين يتقون - .

« وأطلق رحمة الامتنان في قوله - ورحمتي وسعت كل شيء - حتى الأسماء الالهية أعني حقائق النسب » .

« أي التي يمتاز بها كل اسم بخصوصية من الآخر .

« فإن للأسماء مدلولين : أحدهما الخصوصية ، والثاني الذات من حيث هي ، فإن كل اسم هو الذات عينها والذات عينه ، فلا يطلق بهذا الاعتبار أنه مرحوم ، ويطلق على خصوصيته .

« أي الحقيقة المميزة أنها مرحومة ، فالمرحومة هي حقائق النسب الداخلة تحت عموم كل شيء .

« وهي على وجهين : أحدهما المعاني التي هي أمور اعتبارية وتمينات لا تحقق لها في الأعيان إلا بالعلم والرحمة الذاتية .

« فإنها نسب للذات كالحياة والعلم والقدرة وسائر معاني الصفات المنسوبة اليه .

« والثاني : هذه النسب إلى الحق الواحد الأحد كالحببية والعالمية والقادرية وأمثالها ، فهي التي وسعتها رحمة الامتنان مع العالمين » .

ثم يقول ابن العربي :

« فامتن عليها بنا ، فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الالهية والنسب
الربانية » .

« أي فامتن على الأسماء بوجودنا ، يعني الكل من نوع الانسان .

« فإن الله أكرم آدم بتعليم الأسماء ، وجعله وبنيه مظاهرها ومظاهر
النسب ، أي حقائق الأسماء من الصفات .

« فنحن أي الكُمل من هذا النوع نتيجة الرحمة الذاتية الرحمانية التي هي
رحمة الامتنان ، وبنا رحم الأسماء فأوجدها » .

« ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا » .

« أي لمعرفتنا أنفسنا ، فانها رحمة رحيمية وجوبية » .

« وأعلمنا أنه هو يتشا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا لنفسه ، فما
خرجت الرحمة عنه » .

« فهو الراحم والمرحوم » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« فعلى من امتنّ وما تمّ إلا هو ؟

« إلا أنه لا بد من حكم لبيان التفضيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق في
العلوم ، حتى يقال : ان هذا أعلم من هذا ، مع أحدية العين » .

« فالتفاضل بالظهور والخفاء ، بحسب تفاضل الاستعدادات في المظاهر .

لأن العين الواحدة في كل مظهر هي أصفى وأتم استعداداً وجلاء ، كان
أظهر كلاً وجمالاً » .

- « ومعناه معنى نقض تعلق الإرادة عن تعلق العلم » .
- « فإن العلم والتعلق بالشيء متحكم على الإرادة .
- « والإرادة متحركة على القدرة دون العكس .
- « ألا ترى أن العلم ما لم يعين الإرادة لم تتعلق بالشيء ؟
- « والإرادة ما لم تخصص القدرة وتحكم عليها بالتمعين لم تتعلق ؟
- « ولا حكم للقدرة والإرادة على العلم .
- « ويستتبع العلم للإرادة ، والإرادة للقدرة دون العكس » .
- « فهذه مفاضلة في الصفات الالهية » .
- « فإن العلم أكمل من الإرادة .
- « فمن تجلى الله له بصفة العلم حتى انكشف له العلم اللدني كان أكمل ممن تحقق بإرادة الله لفناء إرادته في إرادة الحق ، فحصل له مقام الرضا » .
- « وكما تعلق الإرادة وفضلها وزيادتها على تعلق القدرة .
- « وكذلك السمع الالهي ، والبصر ، وجميع الأسماء الالهية ، على درجات في تفاضل بعضها على بعض .
- « وكذلك تفاضل ما ظهر في الخلق من أن يقال هذا أعلم من هذا مع أحدية العين .
- « وكما ان كل اسم إلهي اذا قدمته سميته بجميع الأسماء ونعته بها » .

« لأنك ما قدمته إلا لعمومه وشرفه فيتأله تابعه كالرحمن بالنسبة إلى الرحيم » .

« كذلك فيما ظهر من الخلق فيه أهلية كل ما فوضل به » .

« أي قوة قبوله » .

« فكل جزء من العالم مجموع » .

« أي هو قابل لخصائص منفردات » .

« وفي نسخة متفرقات » .

« العالم كله ، فلا يمدح قولنا : إن زيدا دون عمرو في العلم ، ان تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون في عمرو أكمل منه في زيد وأعلم » .

« كما تفاضلت الأسماء الإلهية وليست غير الحق » .

« فهو تعالى من حيث هو عالم ، أعلم في التعلق من حيث هو مرید قادر » .

« وهو هو ليس غيره » .

« فلا تعلمه يا وليّ هنا وتجهله هنا ، وتنفيه هنا وتثبتته هنا ، إلا أن أثبتته بالوجه الذي أثبت نفسه » .

« كالأية الجامعة للنفي والاثبات في حقه حين قال - ليس كمِثله شيء - فنفى - وهو السميع البصير - فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير ، من حيوان » .

« وما ثم إلا حيوان » .

« إلا أنه بطن في الدنيا عن ادراك بعض الناس .

« وظهر في الآخرة لكل الناس .

« فانها الدار الحيوان » .

قال الشارح :

« لما تحقق أن الحق تعالى هو عين الوجود المطلق .

« وأن حياته وعلمه وسائر صفاته ، هي عين ذاته .

« فحيث كان الوجود كانت الحياة وسائر الصفات .

« إلا أن المظاهر كما ذكر متفاوتة في الصفاء والكدورة والجلاء وعدمه :
أي الاعتدال وعدمه .

« فما كان أصفى وأجلى وأعدل ظهر فيها الحياة والإدراك فسمي حيواناً .

« وما كان أكدر وأصدأ وأبعد عن الاعتدال ظهر فيه الوجود الذي هو
أعم أنواع الرحمة الذاتية .

« وبطن الحياة والعلم لعدم قبول المحل لظهور ذلك فلم يسم حيواناً عرفاً ،
بل جماداً أو نباتاً .

« وذلك لاحتجاب أهل الحجاب عن الحقائق ، وعدم نفوذ بصائرهم
في البواطن .

« أما المحققون من أهل الكشف فهم الذين أطلعتهم الله على الحقائق فلم
يحتجبوا عن البواطن للطف بصائرهم ، فهم يعرفون أن الكل حيوان .

« وكذلك في الآخرة عند كشف الغطاء عن أعين المحجوبين ، ورفع الستر عن أبصارهم عمت المعرفة .

« وعرف الكل أن الكل حيوان ، لأنها دار الحيوان » .

« وكذلك الدنيا .

« إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدركونه من حقائق العالم .

« فمن عم إدراكه كان الحق فيه أظهر في الحكم ممن ليس له ذلك العموم .

« فلا تحتجب بالتفاضل وتقول : لا يصح كلام من يقول ان الخلق هوية الحق .

« بعدما أريتك التفاضل في الأسماء الالهية ، التي لا تشك أنت أنها هي الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله » .

« فلا تحتجب : نهي ، وتقول : حال على أنها جملة اسمية ، أي وأنت تقول » .

« ثم انه كيف يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا ، وهو من جملة من أوجدته الرحمة الرحمانية ؟

« فلا بد ان يتقدم الرحمن الرحيم ليصح استناد المرحوم ، هذا عكس الحقائق ، تقديم من يستحق التأخير ، وتأخير من يستحق التقديم ، في الموضع الذي يستحقه » .

« أي لما تحقق التفاضل بين الأسماء امتنع عادة أن يقدم سليمان اسمه على اسم الله .

« مع أن سليمان اسم إلهي أوجدته الرحمة الرحمانية مقيدة بالمادة السليمانية ،
من جملة مظاهر اسم الرحمن المطلق عارف بذلك .

« فلا يقدم المقيد على المطلق ، كما لا يتقدم الرحيم على الرحمن .

« لأن الرحمن الذي أوجد سليمان ، وأظهر عموم حكم سلطته على العالم ،
يستحق التقدم بالذات على من أوجدهم من سليمان من جملتهم .

« فلا يليق بكمال علم سليمان ومعرفته تأخيره ، سيما في موضع الاستحقاق
الذي هو أول الكلام وصدر الكتاب ومفتتح الدعوة إلى الحق » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ومن حكمة بلقيس وعلو علمها كونها لم تذكر من ألقى إليها الكتاب .
« وما عملت ذلك إلا لتعلم أصحابها أن لها اتصالا إلى أمور لا يعلمون
طريقها ، وهذا من التدبير الإلهي في الملك .

« لأنه إذا جهل طريق الأخبار الواصل للملك ، خاف أهل الدولة على
أنفسهم في تصرفاتهم .

« فلا يتصرفون إلا في أمر إذا وصل إلى سلطانهم عنهم يأمنون غائلة
ذلك التصرف .

« فلو تعين لهم على يدي من تصل الأخبار إلى ملكهم لصانعوه وأعظموا
له الرشا حتى يفعلوا ما يريدون ، ولا يصل ذلك إلى ملكهم ، فكان قولها
- 'ألقي إلي' كتاب كريم - ولم تسم من ألقاه سياسة منها أورثت الحذر منها
في أهل مملكتها وخواص مدبريها .

« وبهذا استحققت التقدم عليها » .

« هذا غني عن الشرح » .

« وأما فضل العالم من الصنف الانساني على العالم من الجنّ بأمرار التصريف وخواص الأشياء ، فمعلوم بالقدر الزماني .

« فان رجوع الطرف الى الناظر به أسرع من قيام القائم من مجلسه .

« لأن حركة البصر في الادراك الى ما يدركه أسرع من حركة الجسم فيما يتحرك منه .

« فان الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق ببصره ، مع بعد المسافة بين الناظر والمنظور .

« فان زمان فتح البصر ، زمان تعلقه بملك الكواكب الشابتة .

« وزمان رجوع طرفه اليه عين زمان عدم ادراكه .

« والقيام من مقام الانسان ليس كذلك ، أي ليس له هذه السرعة .

« فكان « آصف بن برخيا » أتم في العمل من الجنّ .

« وكان عين قول « آصف بن برخيا » عين الفعل في الزمان الواحد .

« فرأى في ذلك الزمان بعينه ساليان عليه السلام عرش بلقيس مستقراً عنده .

« لئلا يتخيل أنه أدركه وهو في مكانه من غير انتقال » .

قال القاشاني :

« عالم الإنس ، هو آصف بن برخيا .

« وهو مع فنون علمه كان مؤيداً من عند الله ، معاناً من عالم القدرة بإذن الله وتأييده .

« أعطاه الله التصرف في عالم الكون والفساد ، والهمة ، والقوة المملكوية .
« فتصرف في عرش بلقيس بخلع صورته عن مادته في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« فإن النقل بالحركة أسرع من ارتداد طرف الناظر اليه محال .

« إذ النقل زماني ، وحركة البصر نحو المبصر آنية لوقوع الإبصار في فتح البصر في وقت واحد .

« فإذن ليس حصول عرش بلقيس عند سليمان بالنقل من مكان إلى مكان .

« ولانكشاف صورته على سليمان في مكانه ، لقوله - فلما رآه مستقراً عنده - .

« فلم يبق إلا أنه كان بالتصرف الإلهي ، من عالم الأيدي والقدرة .

« فكان وقت قول آصف - أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك -
عين وقت انعدام العرش في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« وهذا التصرف أعلى مراتب التصرف .

« الذي خصّ به من شاء من عباده ، وأقدره عليه .

« وما كان ذلك إلا كرامة لسليمان .

« حيث وهب الله تعالى لبعض أصحابه ، وأحد خاصته ، هذا التصرف العظيم .

« وهو من كمال العلم بالخلق الجديد .

« فإن الفيض الوجودي ، والنفس الرحماني ، دائم السريان والجريان في الأكوان كالماء الجاري في النهر .

« فإنه على الاتصال ، يتجدد على الدوام .

« فكذلك تعينات الوجود الحق ، في صورة الأعيان الثابتة في العلم القديم ، لا يزال يتجدد على الاتصال .

« ففقد يخلع التعيين الأول الوجودي عن بعض الأعيان في بعض المواضع ، ويتصل به الذي يعقبه في موضع آخر .

« وما ذلك إلا ظهور العين العلمي في هذا الموضع ، واختفاؤه في الموضع الأول ، مع كون العين بحاله في العلم وعالم الغيب .

« ولما كان آصف عارفاً بهذا المعنى معتنياً به من عند الله ، مخصوصاً منه بالتصرف في الوجود الكوني .

« وقد آثر الله تعالى سليمان بصحته ، وآزره وقواه بمعونته إكراماً له ، وإتماماً لنعمته عليه في تسخير الجن والإنس والطير والوحوش .

« وإعلاء للقدر ، وإعظماً للملكه ، سلط الغيرة على آصف ، فغار على سليمان ومملكه ، الذي آتاه ، من أن يتوهم الجن أن تصرفهم الذي أعطاهم الله أعلى وأتم من تصرف سليمان وذويه .

« فأعلمهم أن الملك والتصرف الذي أعطى على بعض أصحاب سليمان ، من خوارق العادات ، أعلى وأتم من الذي خص الجن به ، من الأعمال الشاقة الخارجة عن قوة البشر ، والخارق للعادة بحسب الفكر والنظر .

« واعلم أن الجن أرواح قوية ، متجسدة في أجرام لطفية .

« يغلب عليها الجوهر الناري والهوائي .

« كما غلب علينا الجوهر الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم ، وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وسع البشر متجاوزة .

« كالملائكة ، إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية ، والله أعلم .

« والزمان في قول الشيخ قدس سره فإن الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق ببصره .

« وفي قوله : فإن زمان فتح البصر زمان تعلقه بفلك الكواكب الثابتة ، وكل زمان استعمله في النص المتقدم بمعنى الآن الذي أوردناه في الشرح ، وهو الزمان الذي لا يقبل الانقسام في الخارج لصغره ويقبله في الوهم المسمى بالزمان الحاضر ، لا الذي هو نهاية الماضي وبداية المستقبل ، فإن ذلك عدمي وهذا وجودي ، ولفظ الآن يطلق عليها بالاشتراك اللفظي .

« ولم يكن عندنا باتحاد الزمان انتقال » .

« أي لم يكن أن يكون مع اتحاد زمان قول آصف ورؤية سليمان عرش بلقيس مستقراً عنده وعدمه في سبأ انتقال ، إذ لا بد للانتقال من زمان يتخلل وجوده في سبأ وكونه عند سليمان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« وإنما كان اعدام وإيجاد من حيث لا يشعر بذلك أحداً إلا من عرفه ،
وهو قوله تعالى - بل هم في كبس من خلق جديد - » .

« وهو أي عدم الشعور بإعدامه وإيجاده معنو. قوله تعالى - بل هم في
لبس من خلق جديد - » .

« ولا يمضي عليهم وقت لا يرون فيه ما هم راعون له » .

« بيان « كبس » أي يتخلل زمان بين عدمه وجوده حتى يروا فيه عدمه ،
بل كان وجوده متصلاً لم يحسوا بعدمه وقتاً ما .

« وكذلك في كل شيء من العالم ، لا يحسون وقتاً بعدم ، بين الخلقين
المتعاقبين ، بل يرون وجوداً واحداً كما ترى » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« وإذا كان هذا كما ذكرناه ، فكان زمان عدمه أعني عدم العرش من مكانه
عين وجوده عند سليمان » .

« أي عين زمان وجوده » .

« من تجديد الخلق مع الأنفاس ، ولا علم لأحد بهذا القدر .

« بل الانسان لا يشعر به من نفسه أنه في كل نفس لا يكون ثم يكون » .

قال القاشاني :

« لاقتضاء إمكانه ، مع قطع النظر عن موجدته عدمه كل وقت على الدوام .

« واقتضاء التجلي الدائم الذاتي وجوده ، بل اقتضاء التجليات الفعلية

الاسمائية على الاتصال دائماً تكوينه بعد العدم في زمان واحد ، من غير قبلية ولا بعدية زمانية يحس بها ، بل عقلية معنوية .

« لأن هناك عدماً دائماً مستمراً باقتضاء العين الممكنة .

« ووجوداً دائماً مستمراً بتجلي الذات الأحادية .

« وشؤونات وتعينات متعاقبة مع الأنفاس ، باقتضاء التجلي الاسمائي .

« فإن التشخيصات المعينة لهذا الوجود المعين تتجدد مع الآتات .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ولا تقل ثم تقتضي المهلة » .

« أي ولا تقل ان لفظة تم تقتضي الزمان المترابي » .

« فليس ذلك بصحيح .

« وإنما هي تقتضي تقدم الرتبة العلية عند العرب في مواضع مخصوصة .

« كقول الشاعر (كهز الرديني ثم اضطرب) .

« وزمان الهزّ عين زمان اضطراب المهزوز بلا شك .

« وقد جاء بهم ولا مهلة .

« كذلك تجديد الخلق مع الأنفاس .

« زمان العدم عين زمان وجود المثل .

« كتجديد الأعراض في دليل الأشاعرة .

« فان مسألة حصول عرش بلقيس من أشكال المسائل إلا عند من عرف ما ذكرناه آنفاً في قصته .

« فلم يكن لأصف من الفضل في ذلك إلا حصول التجديد في مجلس سليمان عليه السلام » .

قال الشارح :

« يعني أن حصول التعينات المتعاقبة ، وظهور الوجود في صورة عرش بلقيس ، أو ظهور صورة العرش في وجود الحق ، أو تعاقب الوجدات بتعاقب التجليات كلها للحق .

« وليس لأصف إلا حصول التجديد في مجلس سليمان .

« وذلك أيضاً إن كان يقصد منه ، فهو للحق في مادة آصف .

« ولكن لسان الارشاد والتعليم يقتضي بما رسمه الشيخ قدس سره » .

« ثم يكشف الشيخ الأكبر ... سر المعجزة فيقول :

« فما قطع العرش مسافة .

« ولا زويت له أرض .

« ولا خرقها ، لمن فهم ما ذكرناه .

« وكان ذلك على يدي بعض أصحاب سليمان ، ليكون أعظم لسليمان عليه

السلام ، في نفوس الحاضرين ، من بلقيس وأصحابها .

« وسبب ذلك كون سليمان هبة الله لداود .

« من قوله تعالى - ووهبنا لداود سليمان - .

« والهبة : عطاء الواهب ، بطريق الانعام ، لا بطريق الجزاء
الوفاق والاستحقاق .

« فهو النعمة السابغة ، والحجة البالغة ، والضربة الدامغة » .

وفي ذلك يقول القاشاني :

« فهو أي سليمان لداود هو النعمة .

« فإن الخلافة الظاهرة الإلهية قد كملت لداود ، وظهرت أكمليتها
في سليمان .

« وأما علمه فقوله - ففهمناها سليمان - مع نقيض الحُكم ، أي
حكم داود » .

« وكاد آتاه الله حكماً وعلماً .

« فكان علم داود علماً مؤتى آتاه الله .

« وعلم سليمان علم الله في المسألة .

« إذ كان هو الحاكم بلاد واسطة .

« فكان سليمان ترجمان حق في مقعد صدق .

« كما أن المجتهد المصيب الحُكم الله الذي يحكم به الله في المسألة لو تولاهما
بنفسه ، أو بما يوحى به لرسوله له أجران .

« والنخطيء لهذا الحكم المعين له أجر واحد .

« مع كونه علماً وحكماً .

« فأعطيت هذه الأمة الحمدية رتبة سليمان عليه السلام في الحكم » .

« أي بالقرآن والحديث » .

« ورتبة داود في الحكمة » .

« بالاجتهاد » .

« فما أفضلها من أمة .

« ولما رأت بلقيس عرشها مع علمها ببعده المسافة ، واستحالة انتقاله في تلك المدة عندها ، قالت - كأنه هو - وصدقت بما ذكرناه من تجديد الخلق بالأمثال ، وهو هو » .

« أي بالحقيقة السريرية ، والعين المعينة العالمية ، لا بحسب الوجود المشخص » .

« وصدق الأمر .

« كما أنك في زمان التجديد ، عين ما أنت في الزمن الماضي .

« ثم انه من كمال علم سليمان التنبيه الذي ذكره في الصّرح - فقبل لها ادخلي الصرح - .

« وكان صرحاً أملس ، لا أمت فيه ، من زجاج - فلما رآته حسبته لُجّة - أي ماء - فكشفت عن ساقبيها - حتى لا يصيب الماء ثوبها .

فنبهها بذلك على أن عرشها الذي رآته من هذا القبيل .

« وهذا غاية الانصاف » .

« يعني ان تقيد الوجود في الصورة العرشية عند سليمان ، لم يكن اعادة العين .

« ولا نقل الوجود المشهود في سبأ إلى مجلس سليمان .

« فإن ذلك محال .

« بل اعدام لذلك الشكل في سبأ .

« وإيجاد مثله عند سليمان .

« من علم الخلق الجديد .

« فهو إيجاداً لمثل لا إيجاداً لعين .

« وذلك إيهام وتنبيه لها بإظهار المثل .

« فإن الصرح موم للرأي أنه ماء صاف .

« كما أن المثل من الصورة العرشية موم أنه عين العرش الذي كان في سبأ .

« فتنبهها سليمان بقوله - انه صرح موم من قوارير - على أن قولها - كأنه هو - صادق .

« إذ ليس هو هو ، بل كأنه هو .

« وكذا سؤال سليمان عنها - أهكذا عرشك - ولم يقل : أهذا عرشك ، لعلمه بالأمر في نفس الأمر » .

« فانه أعلمها بذلك اصابتها في قولها - كأنه هو - .

« فقامت عند ذلك - رب اني ظلمت نفسي » .

« أي اعترفت بظلم نفسي بتأخير الإيمان الى الآن » .

« وأسأمت مع سليمان » .

« أي إسلام سليمان » .

« لله رب العالمين - فما انقادت لسليمان وإنما انقادت لرب العالمين .

« وسليمان من العالمين .

« فما تقيدت في انقيادها .

« كما لا تتقيد الرسل في اعتقادها في الله .

« بخلاف فرعون ، فإنه قال - رب موسى وهارون - وإن كان يلحق بهذا

الانقياد البلقيسي من وجه ، ولكن لا يقوى قوته » .

« يعني قيد فرعون إيمانه بقوله - آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به

بنو اسرائيل - .

« وإنما نسب اليه الشيخ الايمان برب موسى وهارون ، لأن إيمان بني اسرائيل

انما كان برب موسى وهارون ، فأسند اليه مجازاً .

« وإلا لم يقل فرعون - رب موسى وهارون - وقيد إيمانه بإيمان

بني اسرائيل .

« وأطلقت بلقيس بقولها - رب العالمين - .

« وإن كان يلحق تقييده اطلاقاً من وجه ، لأن رب موسى وهارون

رب العالمين .

- « لأن كلا منهما اتبع اسلامه اسلام نبيته .
- « ولكن لا يقوى اسلامه قوة اسلامها ، لدلالة اسلامها على كمال اليقين ، حين قرنت اسلامها بإسلام سليمان دون اسلامه .
- « فإن اسلامه كان في حال الخوف ورجا النجاة من الفرق بإسلامه » .
- ثم يشني الشيخ الأكبر ، على اسلام بلقيس فيقول :
- « وكانت أفقه من فرعون في الانقياد لله .
- « وكان فرعون تحت حكم الوقت حيث قال - آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل - .
- « فخصص ، وإنما خصص لما رأى السحرة قالوا في إيمانهم - رب موسى وهارون - .
- « فكان اسلام بلقيس اسلام سليمان .
- « إذ قالت - مع سليمان - فتبعته .
- « فيما يبر بشيء من العقائد ، إلا مرت به معتقدة ذلك .
- « كما كنا نحن على الصراط المستقيم الذي الرب تعالى عليه ، لكون نواصينا في يده .
- « ويستحيل مفارقتنا إياه .
- « فنحن معه بالتصميم .
- « وهو معنا بالتصريح » .

قال القاشاني .

« انما كان فرعون تحت حكم الوقت حيث كان الوقت وقت غلبة بني اسرائيل ونجاتهم وغرقه .

» فخصص ايمانه بإيمانه تقليداً ورجاء للخلاص كخلاصهم لا يقيناً .

« فكأنه لما رأى الدولة معهم مال اليهم ، وقايس التخصيص على تخصيص السحرة وأخطأ في القياس كإبليس .

» فإن ايمان السحرة يتقيد بإيمان النبيين ، والتابع يجب أن يتقيد ايمانه بإيمان نبيته ، وإنه قيد ايمانه بإيمان بني اسرائيل فكيف بين الايمانين ؟

« وأيضاً كان تخصيص السحرة بعد التعميم في قولهم – آمنا برب العالمين – واستشعارهم أن القبط لغاية تعمقهم في الضلال يحسبون رب العالمين فرعون .

» وبين اسلامه وإسلام بلقيس بون بعيد لأن المعية في قولها دالة على أنها تعتقد اعتقاد سليمان مطلقاً في جميع الأشياء .

« كما نحن بالتبعية مع الرب تعالى على الصراط المستقيم لكون نواصينا بيده فهو على الصراط المستقيم ، فامتنع انفسكا كنا عنه فنحن على صراط ربنا بالتبعية .

» وهو معنى قوله بالتضمين : أي على الصراط المستقيم في ضمن كونه عليه لأنه الكل ونحن كالجُزء من الكل ، وهو آخذ نواصينا معنا بالتصريح .

» فانه قال تعالى – وهو معكم أينما كنتم – .

« ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيث ما مشي بنا من صراطه .

« فيما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب
تبارك وتعالى .

« وكذا علمت بلقيس من سليمان فقالت - لله رب العالمين - وما خصصت
عالمًا من عالمٍ . »

« لأنها علمت أن سليمان مع الرب ، والرب مع الكل بأسمائه .

« فيكون سليمان مع الكل لكونه مع الله بجميع أسمائه .

« ولهذا سخرَ الكل بأسماء الله . »

ثم يقول الامام الأكبر :

« وأما التسخير الذي اختص به سليمان عليه السلام ، وفضل به غيره ،
وجعله الله له من الملوك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فهو كونه عن أمره .

« فقال - فسخرنا له الريح تجري بأمره - .

« فيما هو من كونه تسخيراً فان الله يقول في حقنا كلنا من غير تخصيص
- وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً - وقد ذكر تسخير الرياح
والنجوم وغير ذلك ، ولكن لا عن أمرنا بل عن أمر الله .

« فيما اختص سليمان أن عقلت إلا بالأمر ، من غير جمعية ولا همة .

« بل بمجرد الأمر .

« وإنما قلنا ذلك لأننا نعرف أن أجرام العالم تنفعل لهمم النفوس ، إذا
أقيمت في مقام الجمعية .

- « وقد عاينا ذلك في هذا الطريق .
- « فكان من سليمان مجرد التلفظ بالأمر لمن أراد تسخيروه .
- « من غير همّة ولا جمعية » .
- « يعني أن التسخير المختص بسليمان هو التسخير بمجرد أمره .
- « لا بالهمّة والجمعية وتسليط الوهم .
- « ولا بالأقسام العظام ، وأسماء الله الكرام .
- « والظاهر أنه كان له أولاً بأسماء الله ، والكلمات التامات ، والأقسام .
- « ثم تمرن حتى بلغ الغاية ، وانقادت له الخلائق .
- « وأطاعه الجنّ والإنس والطير والوحش وغيرها .
- « بمجرد الأمر والتلفظ بما يريد بها ، من غير جمعية ولا تسليط وهم وهمّة ،
- عطاء من الله تعالى وهبة .
- « وكان أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .
- « ويحتمل أن يكون ذلك اختصاصاً له من الله بذلك ابتلاء » .
- ثم ينقلنا الشيخ الأكبر ... الى أفق أعلى ... فيقول :
- « واعلم أيدينا الله وإياك بروح منه .
- « أن مثل هذا العطاء إذا حصل للعبد ، أي عبد كان ، فإنه لا ينقصه ذلك
- من ملك آخرته ، ولا يُحسب عليه .

« مع كون سليمان عليه السلام طلبه من ربه تعالى ، فيقتضي ذوق الطريق » .

« وفي نسخة : ذوق التحقيق » .

« ان يكون قد عجل له ما ادخر لغيره ويحاسب به إذا اراده في الآخرة .

« فقال الله له - هذا عطاؤنا - ولم يقل لك ولا لغيرك - فامتنن - أي أعط - او أمسك بغير حساب - .

« فعلمنا من ذوق الطريق ان سؤاله عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه .

« والطلب إذا كان عن الأمر الالهي ، كان الطالب له الأجر التام على طلبه » .

« لكونه مطيعاً لربه في ذلك ممثلاً لأمره » .

« والباري تعالى ان شاء قضى حاجته فيما طلب منه .

« وإن شاء أمسك .

« فان العبد قد وفى ما أوجب الله عليه من امتثال أمره ، فيما سأل ربه فيه .

« فلو سأل ذلك من نفسه عن غير أمر ربه له بذلك لحاسبه به .

« وهذا سار في جميع ما يسأل فيه الله تعالى .

« كما قال انبيئه محمد صلى الله عليه وسلم - وقل رب زدني علماً - .

« فامتثل أمر ربه ، فكان يطلب الزيادة من العلم ، حتى كان اذا سيق له لبن يتناوله علماً .

« كما تناول رؤياه لما رأى في النوم أنه أتى بقدح لبن فشربه وأعطى فضله
عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم .

« وكذلك لما أسرى به أتاه الملك باناء فيه لبن وإناء فيه خمر ، فشرب اللبن ،
فقال له الملك : أصبت الفطرة ، أصاب الله بك أمتك .

« فاللبن متى ظهر فهو صورة العلم ، فهو العلم تمثل في صورة اللبن .
« كجبريل تمثل في صورة بشر سوي لمريم » .

« انما أورد هذه المسألة التمثيلية ها هنا لأن الحكمة التي كانت في بيانها عن
تجديد المثل ، مع الإلباس في الخلق الجديد ، هي تمثل المعاني والحقائق ، في
صورة ما كان من الوجود الظاهر بها .

« أو بالمعكس على الذوقين من مشربي قرب الفرائض والنوافل ، فكانت
من تمة ذلك البحث ونهايته » .

« ولما قال عليه الصلاة والسلام « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » نبه
على أن كل ما يراه الانسان في حياته الدنيا انما هو بمنزلة الرؤيا للثانم فلا به
من تأويله » .

« مضمون الحديث أن الحياة نوم .

« وفجواه أن كل ما يرى من المحسوسات المشهورة كالرؤيا للثانم خيال .

« فكما أن الرؤيا معاني متمثلة في الخيال ، وحقائق متجسدة تحتاج
إلى تأويل .

« فكذلك كل ما يتجسد ويتمثل لنا في هذا العالم ، معان وحقائق تمثلت في
عالم المثال ، ثم في عالم الحس .

« فعلى أهل الذوق والشهود تأويله ، إما بالعبور على تلك الحقائق التي تنزات حتى تمثلت في الصورة المحسوسة التي وصلت إليها .
« وإما الى لوازم هذه الصورة ولوازم لوازمها .

« فإن الوجود الساري في الأكوان ، سرى من كل صورة إلى ما يناسبها ويلازمها ، ثم الى عوارضها ولواحقها وتوابعها وتوابع توابعها .

« واعلم أن هذه الصور والأشكال والهيئات والأحوال التي نشاهدها بما في العالم ، آيات نصبها الله لنا ، وأعلام أظهرها ، أمثلة لحقائق وصور وممان معقولة أزلية ، هي شؤونه تعالى ، وتعييناتها الذاتية - وما يعقلها إلا العالمون - بالله ، الذين يعرفون تأويلها ، ويعبرون عن صورها إلى حقائقها ، وهو الموفق » .

ثم يكشف الامام الأكبر ... سرا جمياذ ... فيقول :

« انما الكون خيال .

« وهو حق في الحقيقة .

« والذي يفهم هذا ، حاز أسرار الطريقة » .

« أي الكون من حيث الصور والهيئات والأشكال ، فظاهر في وجود الحق .

« فمن لم يحتجب عن الحق بهذه الصور ، ورأى الحق المتجلي فيها ، المتحول في الصور ، فهو الحق الواقف على أسرار الطريقة » .

« فكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم له لبن قال « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

« لأنه كان يراه صورة العلم .

« وإذا قدم اليه غير اللين قال « اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيراً منه

« فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن أمر إلهي ، فإن الله لا يحاسبه به
الدار الآخرة .

« ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي ، فالأمر فيه إلى
أن شاء حاسبه ، وإن شاء لم يحاسبه .

« وأرجو من الله في العلم خاصة أن لا يحاسب به .

« فإن أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم يطلب الزيادة من العلم ،
أمره لأُمَّته .

« فإن الله يقول - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - .

« وأي أسوة أعظم من هذا القاسي ، لمن عقل عن الله ؟

« ولو نبهنا على المقام السليمانى على تمامه .

« لرايت أمراً يهلك الأطلاع عليه .

« فإن أكثر علماء هذه الطريقة جهلوا بحالة سليمان ومكانته .

« وليس الأمر كما زعموا » .

قال القاشاني :

« أي حسبوا أنه عليه السلام اختار ملك الدنيا ، وأنه ينقصه ذلك

ملك الآخرة .

« وهو أعظم مما اعتقدوا في حقه ، وما قدروا حق قدره .
« فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .
« وإن الوجود الحق المتمين به ، وفيه ظهر ، في أكمل صورته الإلهية
والرحمانية .

« فهو أكمل مجلى لله .

« مع قيامه بحق العبدانية .

« وكال إيقانه بذلك .

« فإنه عليه السلام في عين شهود ربه على هذا الكمال .

« وظهوره بأسمائه العظمى ، كان يعمل بيديه .

« ويأكل بكسبه .

« ويجالس الفقراء والمساكين ، ويفتخر بذالك ويقول : مسكين
جالس مسكيناً .

« والله الموفق » .

* * *

كان هذا ... ما قاله الإمام الأكبر ... عن سليمان ... عليه السلام ...

« وما قاله الامام الرباني القاشاني ... شرحاً عليه ...

« فماذا أنا قائل ... بعد ما قالوا؟! .

ليس من الأدب ... ان يتكلم مثلي في حضرتهم !..

ولقد آتينا ... داوود وسليمان ...
علما!؟ ...

كي تستطيع ...

- أن تدرك ... علم سليمان ... انظر في هذه المرأة ...
يتلألأ فيها ... أمام عينيك ... قوله عزّ ثناؤه :
« ففهمناها سليمان .
« وكنا آتينا حكماً وعلماً » ...
وفيها يتعالى ... قوله تعالى :
« ولقد آتينا داوود وسليمان علماً .
« وقال الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين .
« وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس اعلمنا منطلق الطير .
« وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين » .
فإذا نظرت ثم نظرت ... في المرأة ... رأيت قوله :
« ووهبنا لداوود سليمان .
« نعم العبد انه أواب » .
ورأيت قوله :
« قال رب اغفر لي .
« وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب » .

وتلألأت في المرأة ... أمام ناظريك ... تلك الجميلة جمالاً ليس كمثله جمال :

« هذا عطاؤنا .

« فامنن أو أمسك بغير حساب » ..

فإذا نظرت الى المرأة ملياً ... تشعشعت أمام عينيك ... تلكم الآيات ...
بجراً لجيئاً !..

هو بحر ... علم سليمان ... وفهم سليمان ... وفضل الله على سليمان !..

ولست أدري ... أنتى لمثلي ... أن يتحدث عن علم نبي كريم عظيم ...
اسمه سليمان بن داوود ؟..

كيف أستطيع الحديث عن نبي ورث نبياً ... في كل علومه ... ثم زاده
الله علوماً فوق علوم أبيه ؟!

وما أدراك ما علوم أبيه ؟!

ثم ما أدراك ما علوم سليمان ... وكيف تكون ... وقد حيزت له علوم
داوود بالوراثة ... وآتاه الله بعدها علوماً جديدة ؟!

الحق ... أني لا أدري ... كيف أستطيع الحديث ... عن علم من
هذا شأنه ؟!

اللهم أمددني ... وزدني ... علماً ...

وفهمي ... وزدني ... فهماً ...

فإن من اقترب ... من مقامات الأنبياء ... احترق !..

شأنهم ... بعيد ... بعيد ... عن ادراكنا ...

فكيف بأمثالنا؟! .

ما جثتهم ... إلا وأحسست أني أصغر ... من أن أتكلم عنهم ! ..
إنهم ... أعلى ... من عقولنا عُلوأً وكبراً ! ..
وليس يعينني أن أعلن عجزني عن إدراك علوم سليمان ...
فإن المعجز عن درك الإدراك ادراك ... كما يقولون ...
لقد وقفت مشلولاً تماماً أمام هذا الباب ... باب علوم سليمان ...
رأيتني أمام ... بحر 'الجثسي' ... يغشاه موج ... من فوقه موج ... من
فوقه سحب ...

وتذكرت ما قاله القاشاني ... عن سليمان :

« فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .

« وإن الوجود الحق المتعين به ، وفيه ظهر ، في أكمل صوره الإلهية
الرحمانية .

« فهو أكمل مجلى لله » ! ..

فقلت : ويحي ... أنسى لي السبح ... في بحر سليمان؟! .

وإنما اليك اشارات ... الى عظمة المقام السلياني ...

داوود . . بكل عظمته ... وبكل علومه ... ورثه سليمان ...

ثم زاده الله علماً ... على علم ...

زاده صبياً ... « ففهمنا سليمان ... وكألاً آتينا حكماً وعلماً » ! ..

وزاده نبياً ... « وورث سليمان داوود ... وقال يا أيها الناس علمنا

منطق الطير » ... زيادة على ما ورثه عن داوود ... نموذج مما زاده الله ...

ليس منطق الطير وحده ... وإنما زاده ما لا سبيل إلى ادراكه ... فه
عنه سليمان بقوله « وأوتينا من كل شيء » ... أي اعلموا يا أيها الناس ...
الله آتاني ما لا سبيل لكم إلى ادراكه !..

وإنما ذلك كان كذلك ... لأنه من الملوك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ،
وأعظم ملك الأنبياء ... ملك العلم ...

الأنبياء ... ملوك العلماء !..

علمهم 'كلّي ...

الكلمة ... من النبي ... تصدر على مستوى ما كان وما سيكون ...

« وآتينا الحكمة وفصل الخطاب » .

لو استوى علماء البشر صفًا واحدًا ... يحاولون فهم جملة واحدة من آ
النبي ... ما فهموا منها إلا قليلاً !..

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

ذلك أن علم الأنبياء ... 'كلّي ...

وعلم العلماء ... جُزئي ... نسبي ...

ومن هنا كان اختلاف العلماء ... في فهم ما صدر عن الأنبياء ...

ومن هنا ... وجب علينا التسليم التام ... للأنبياء ...

لأننا جميعاً أطفال صغار ... بالنسبة إليهم ...

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحموك فيما شجر بينهم .

« ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت .

« ويسلموا تسليماً » ..

ويسلموا تسليماً؟! .

أيها الناس جميعاً ... أيها العلماء ... سلموا للأنبياء تسليماً تاماً! ..

كما ينبغي للقطرة ... أن تندمج في البحر ...

كذلك ينبغي للناس ... أن يندمجوا في بحر الأنبياء ... ويسلموا تسليماً؟.

فإذا قال النبي ... وجب الاستماع ...

وإذا أمر ... وجبت الطاعة ...

وإذا نهى ... وجب الانتهاء ...

لأن في اتباعه ... الحياة ...

وفي عصيانه ... الموت ...

تماماً ... إذا فصلت قطرة ماء ... وعزلتها وحدها ... بمبدأ عن

البحر ... جفّت ... وانتهت وماتت ...

وإذا رددتها ... إلى بحرها ... اندمجت في البحر ... واتسع وجودها ...

اتساع البحر كله! ..

فالذين ضادوا الأنبياء ... انما ضادوا أنفسهم ... وكانوا أتعس التعساء ...

« والذين كفروا فتعسوا لهم وأضل أعمالهم »! ..

ثم ماذا؟! .

فلما عجز الناس ... عن ادراك علم الأنبياء ... ضرب الله لهم في كتابه

أمثالاً ... ليفهموا منها شيئاً من علومهم ...

فمن الأمثال ... أو من نماذج علم سليمان ...

ممثل ... « قالت نملة » ... لنعلم أن من علوم سليمان ... علم

منطق النمل ...

ومثّل ... « مالي لا أرى الهدهد » ... لنعلم أن من علوم سليمان ...
منطق الهدهد ...

ومثّل ... أيّكم يأتيني بعرشها » ... « قال عفريت من الجنّ » ...
لنعلم أن من علم سليمان ... منطق الجنّ^(١) ...

ومثّل ... أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » ... لنعلم أن من علم
أسرار التسخير !..

ومثّل ... « ادخلي الصرح » ... لنعلم أن من علم سليمان ... أن يأمر
الجنّ ... فيتطاوعوا فوراً لأمره ... ويعملوا له ما يشاء !..

ومثّل ... « ففهمناها سليمان » ... لنعلم إذا عجزنا عن فهم علم
سليمان ... أنه رأساً من الله ... وليس عن تحصيل دراسة وسهر الليالي !..
وهكذا ... أمثال ... على سبيل المثال ...
لا على سبيل الحصر ...
تقريباً إلى أفهامنا ... وتنزلاً إلى عقولنا ...
أما الإحاطة بعلم سليمان كله ... فلا سبيل لنا إليها ...
لأن الإحاطة تقتضي الموازنة ... وعلمنا لا يوازي علم سليمان ... ومن هنا
عجزنا عن ادراك علم سليمان ... لأن الأدنى لا يدرك الأعلى ...
ولعل الإبهام في قوله « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » فيه إشارة
إلى ذلك ...
علماً ؟! يكفيكم أن تعلموا أننا آتيناها علماً ... أما مدى هذا العلم ...
فلا سبيل لكم إليه !..
هذا شيء قليل ... عما ورد في كتاب الله العزيز ... عن علم سليمان ...
فماذا عما ورد عند أهل الكتاب عن علم سليمان ؟!

(١) راجع تفصيل هذه الأمثال ... في الفصول السابقة من الكتاب .

سليمان ... الحكيم ؟ ...

رؤيا ...

رآها ... النبي الملك سليمان ... وهو في مطلع توليه الملك ...
وردت عند أهل الكتاب ...

قالوا :

« ... تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً ... »

« وقال الله : اسأل ، ماذا أعطيك ؟ »

« فقال سليمان : انك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة ، حسبما
سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب معك ، فحفظت له هذه الرحمة العظيمة ،
وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم . »

« والآن أيها الرب إلهي ، أنت ملكت عبدك مكان داود أبي ، وأنا فتى
صغير ، لا أعلم الخروج والدخول . »

« ... فأعط عبدك قلباً فهيباً ، لأحكم على شعبك ، وأميز بين الخير
والشر ، لأنه من يقدر ان يحكم على شعبك العظيم هذا . »

« فحسن الكلام في عيني الرب ، لأن سليمان سأل هذا الأمر . »

« فقال له الله : من أجل أنك قد سألت هذا الأمر . »

« ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة .
 « ولا سألت لنفسك غنى .
 « ولا سألت أنفس أعدائك .
 « بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم .
 « هو ذا قد فعلتُ حسب كلامك .
 « حتى انه لم يكن مثلك قلبك .
 « ولا يقوم بعدك نظيرك .
 « وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله ، غنى وكرامة .
 « حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك ، كل أيامك .
 « فان سلكت في طريقي ، وحفظت فرائضي ووصاياي ، كما سلك داود
 ابوك ، فاني اطيل في أيامك .
 « فاستيقظ سليمان ، وإذا هو نُحلم ، ...
 وكما هو معلوم ... فإن رؤيا الأنبياء حق ...
 والذي نلتقطه هنا قوله « أعطيتك قلباً حكيماً » ...
 وهو يؤيد ما ذهبنا اليه في الفصل السابق ... حيث قيل : « أعظمُ ملك
 الأنبياء ... ملك العلم » ...
 فإذا أعطاه الله ... قلباً حكيماً ... فقد أعطاه قلباً عليماً ... لأن الحكمة
 قمة العلم ... وهما متلازمان ... « وكلا آتينا حُكماً وعلماً » ...

ثم ماذا عند أهل الكتاب عن حكمة سليمان؟!

قالوا :

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً .

« ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر .

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر .

« وكان أحكم من جميع الناس ...

« وكان صيته في جميع الأمم حوالياً .

« وتكلم بثلاثة آلاف مَثَل .

« وكانت نشانده ألفاً وخمسة .

« وتكلم عن الأشجار ، من الأرز الذي في لبنان ، الى الزوفا النسابت

في الحائط .

« وتكلم عن البهائم .

« وعن الطير^(١) .

« وعن الدبيب .

« وعن السمك .

« وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان .

(١) يتطابق مع ما جاء بالقرآن العظيم : « علمنا منطق الطير » ا. .

« من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته » .

وماذا نفهم من هذا؟! .

نفهم أن سليمان تكلم مع البهائم ، ومع الطير ، ومع الدواب ، ومع الأسماك
في البحار ...

وهذا ثابت له ... في نصوص القرآن الكريم !..

ثم ماذا عندهم؟! .

قالوا :

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب .

« فأنت لتمتحنه بمسائل .

« فأنت إلى اورشليم بموكب عظيم جداً ...

« وأنت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبيها .

« فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به .

« فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان ...

« لم يبق فيها روح بعد .

« فقالت لذلك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن امورك
وعن حكمتك .

« ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيني .

« فهو ذا النصف لم أخبر به .

« زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعته !..

فماذا نفهم من هذا ؟! .

نفهم منه ... أن بلقيس لما عاينت بنفسها وتكلمت وجهاً لوجه مع سليمان ... تأكدت أن ما سمعته عن حكيمته أقل كثيراً مما لمستته من تلك الحكمة !..

ما من شيء من أخبارها ... إلا أخبرها به !..

ما من شيء يدور برأسها ... أو بقلبها ... إلا كاشفها به !..

إنها أمام رجل خارق ... لم تشهد مثله قط في الملوك !..

إنها أمام نبيّ ... يُوحى إليه !..

والأنبياء إذا تحدثوا ... صمت السامعون ... ولو كانوا ملوكاً !..

ثم ماذا عند أهل الكتاب ... من أمثال سليمان ... وحكمة سليمان ؟!

عندهم في سفر « أمثال » الشيء الكثير من حكمة سليمان ...

وكما اخترنا في « حياة داود » شيئاً من المزامير ...

فإني أختار لك في « حياة سليمان » نماذج من الـ « أمثال » ... لتكتعمل لك

الصورة ... عن شخصية سليمان ...

وإليك ... المختار ... من هذه الأنوار ...

﴿ من الاصحاح الثالث ﴾

- « طوبى للانسان الذي يجد الحكمة ، والرجل الذي ينال الفهم ؛
لأن تجارتها خير من تجارة الفضة ، وربحها خير من الذهب الخالص .
« هي اثن من الاقلء ، وكل جواهرك لا تساويها .
« في يمينها طول ايام ، وفي يسارها الفنى والمجد .
« طرقها طرق نعيم ، وكل مسالكها سادم .
« هي شجرة حياة لمسكيتها ، والمتمسك بها مغبوط .
« الرب بالحكمة أسس الأرض .
« اثبت السماوات بالفهم .
« بعلمه انشقت اللجج ، وتقطر السحاب ندى » .
« لا تحسد الظالم ، ولا تختز شيئاً من طرقه .
« لأن الملتوى رجس عند الرب .
« أما سره فهند المستقيمين .
« لعنة الرب في بيت الشرير ، لكنه يبارك مسكن الصديقين .
« كما أنه يستهزى بالمستهزئين ، هكذا يعطي نعمه لمتواضعين .
« الحكماء يرثون مجداً ، والحقى يحملون هواناً » .

* * *

❦ من الاصحاح الرابع ❦

- « اسمعوا ايها البنون تاديب الأب ، واصغوا لأجل معرفة الفهم .
- « لأنني أعطيتكم تعليماً صالحاً ، فلا تتركوا شريعتي .
- « فاني كنتُ ابناً لأبي ، غضباً ، ووحيداً عند أمي .
- « وكان يُريني ويقول لي : ليضبط قلبك كلامي .
- « احفظ وصاياي فتحيا .
- « اقتن الحكمة .
- « اقتن الفهم .
- « لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي .
- « لا تتركها فتحفظك ، أحبيبها فتصونك .
- « الحكمة هي الرأس .
- « فاقتن الحكمة ، وبكل مقتناتك اقتن الفهم .
- « ارفعها فتعليك .
- « تمجدك اذا اعتنقتها .
- « تعطني رأسك اكليل نعمة .
- « تاج جمال تمنحك » .

* * *

❦ من الاصحاح السادس ❦

- « ... هذه الستة يهبطها الرب ، وسبعة هي مكرمة نفسه .
- « عيون متعالية .
- « لسان كاذب .
- « أيد سافكة دماً بريئاً .
- « قلباً ينشئ أفكاراً رديئة .
- « أرجل سريعة الجري الى السوء .
- « شاهد زور يفوه بالكاذب وزارع خصومات بين اخوة ،

* * *

❦ من الاصحاح العاشر ❦

- « حكيم القلب يقبل الوصايا ، وغبي الشفتين يصرع .
- « من يسلك بالاستقامة يسلك بالأمان ، ومن يعوج طريقه يُعرف ،

* * *

❦ من الاصحاح الحادي عشر ❦

- « موازين غش مكرمة الرب ، والوزن الصحيح رضاه .
- « تأتي الكبرياء فيأتي الهوان .
- « ومع المتواضعين حكمة .
- « المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم .

- « أما ذو الفهم فيسكت .
 « الساعي بالوشاية يُفضي السر ، والأمين الروح يكتم الأمر .
 « حيث لا تدبير يسقط الشعب .
 « أما الخالص فبكثرة المشيرين » .

* * *

❦ من الاصحاح الثاني عشر ❦

- « المرأة الفاضلة تاج لبعليها .
 « من يشتغل بحمله يشبع خبزاً .
 « أما تابع البطالين فهو عديم الفهم .
 « الرجل الذكي يستر المعرفة .
 « وقلب الجاهل ينادي بالحمق .
 « يد المجتهدين تسود .
 « أما الرخوة فتكون تحت الجزية .
 « الغم في قلب الرجل يُخنيه ، والكلمة الطيبة تفرجه .
 « الصديق يهدي صاحبه .
 « أما طريق الأثرار فتضلهم .
 « الرخاوة لا تمسك صيداً .
 « أما ثروة الانسان الكريمة فهي الاجتهاد » .

* * *

❦ من الاصحاح الثالث عشر ❦

« المسائر الحكماء يصير حكيمًا ، ورفيق الجهال يُضِر . »

* * *

❦ من الاصحاح الرابع عشر ❦

« حكمة المرأة تبني بيتها ، والحماسة تهدمه بيدها .

« تاج الحكماء غناهم .

« تقدم الجهال حماقة .

« في كثرة الشعب زينة المَلِك .

« وفي عدم القوم هلاك الأمير .

« البر يرفع شأن الأمة ، وعار الشعوب الخطيئة .

* * *

❦ من الاصحاح السادس عشر ❦

« لادنسان تدابير القلب ، ومن الرب جواب اللسان .

« كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه .

« والرب وازن الأرواح .

« الرب صنع الكل لغرضه ، والشرير أيضاً ليوم الشر .

« إذا أرضت الرب طرُقُ انسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه .

« القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق .

« قلب الانسان يفكر في طريقه ، والرب يهدي خطوته .

« قبّان الحق وموازينه للرب .

« ومن يتوكل على الرب فطوبى له . »

* * *

❦ من الاصحاح السابع عشر ❦

« لقممة يابسة ومعها سلامة ، خير من بيت مآذن ذبائح مع خصام .

« تاج الشيوخ بنوا البنين ، وفخر البنين آبؤهم .

« الابن الجاهل غم لأبيه ، ومرارة للتي ولدته . »

* * *

❦ من الاصحاح الثامن عشر ❦

« كلمات فم الانسان مياه عميقة .

« نبع الحكمة نهر مندفق .

« من يجد زوجة يجد خيراً ، وينال رضئى من الرب .

« بتضرعات يتكلم الفقير .

« والفنيّ يجاوب بخشونة . »

* * *

﴿ من الاصحاح التاسع عشر ﴾

- « الغني يُكثر الاصحاب ، والفقير منفصل عن قريبه .
- « كثيرون يستعطفون وجه الشريف ، وكلُّ صاحبٍ لذي العطايا .
- « كل اخوة الفقير يبغضونه .
- « فكم بالحريّ اصداقاه ، يبتعدون عنه .
- « البيت والثروة ميراث من الاباء .
- « أما الزوجة المتعملة فمن عند الرب .
- « من يرحم الفقير يمرض الرب ، وعن معروفه يجازيه .
- « اسمع المشورة ، واقبل التأديب ، لكي تكون حكيمًا في آخرتك .
- « في قلب الانسان أفكار كثيرة ، لكن مشورة الرب هي تشبيت .
- « زينة الانسان معروفة ، والفقير خير من الكذوب ، .

* * *

﴿ من الاصحاح العشرين ﴾

- « خبز الكذب لذيذ للانسان ، ومن بعد يمتلئ فمه حصى .
- « رُبَّ مُلْكٍ مُّعْجَلٍ فِي أَوَّلِهِ .
- « أما آخرته فلا تبارك .
- « الرحمة والحق يحفظان المَلِك ، وكروسيه يُسند بالرحمة .
- « فخر الشبان قوتهم ، وبهاء الشيوخ الشيب ، .

* * *

❦ من الاصحاح الحادي والعشرين ❦

- « قلب الملك في يد الرب ، كجداول مياه ، حيثما شاء يُميله .
- « كل طرق الانسان مستقيمة في عينيه ، والرب وازن القلوب .
- « فعل العدل والحق ، أفضل عند الرب من الذبيحة .
- « من يسد اذنيه عن صراخ المسكين ، فهو ايضاً يصرخ ولا يُستجاب .
- « الفرّس مُعدّ ليوم الحرب ، اما النصره فمن الرب .

* * *

❦ من الاصحاح الثاني والعشرين ❦

- « الغني والفقير يتلاقيان .
- « صانعها كليهما الرب .
- « ربّ الولد في طريقه ، فمتى شاخ ايضاً لا يجيد عنه .
- « لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ، ولا تسحق المسكين في الباب .
- « لأن الرب يُقيم دعواهم ، ويسلب سالمي أنفسهم .
- « رأيت رجلاً مجتهداً في عمله .
- « امام الملوك يقف ، لا يقف امام الرعاع .

* * *

﴿ من الاصحاح الثالث والعشرين ﴾

« لا يحسدن قلبك الخاطئين ، بل كن في مخافة الرب اليوم كله .
« لأنه لا بد من ثواب ، ورجاؤك لا يخيب .
« اسمع لأبيك الذي ولدك ، ولا تحتقر امك إذا شاخت » .

* * *

﴿ من الاصحاح الخامس والعشرين ﴾

« مجد الله إخفاء الأمر ، ومجد الملوك فحص الأمر .
« السماء للعلو ، والأرض للعمق ، وقلوب الملوك لا تُفحص .
« اجعل رجلك عزيزة في بيت قريبك ، لنلا يمل منك فيبغضك .
« عين مُكدرة وينبوع فاسد الصديق المنحني امام الشرير .
« اكل كثير من العسل ليس بحسن ، وطلب الناس مجد انفسهم ثقيل .
« مدينة منهدمة بلا سور ، الرجل الذي ليس سلطان على روحه » .

* * *

﴿ من الاصحاح التاسع والعشرين ﴾

« كبرياء الانسان تضمه ، والوضيع الروح ينال مجددا .
« خشية الانسان تضع شركا ، والمتكل على الرب يُرفع » .

* * *

كان هذا ... شيئا مما سجل أهل الكتاب ... من حكمة سليمان ...
والذي ينبغي أن يتقرر في العقول ... أن حكمة سليمان وعلمه ... شيء
وراء ذلك ... لا تدركه العقول ... ولا سبيل إلى تسجيله ...

لأن سليمان كني ... لحكمته وعلمه ... وجهان ...
وجه بينه وبين ربه ... وهذا لا سبيل لنا إلى ادراكه أو تسجيله ...
ووجه بينه وبين الناس ... وهو ما يتنزل فيه الى مستوى الناس ...
فيحدثهم ويوجههم ويعلمهم ... وهذا الوجه هو ما يمكن تسجيل بعضه
لا كله ...

وهذه الأمثال ... التي اخترنا بعضها ... هي من هذا الوجه ...
أما سليمان الذي قال الله في شأنه « ولقد آتينا داوود وسليمان علما » ...
فشيء فوق الإدراك ...

سليمان ... الذي هو « أكمل مجلى لله » ... فإن حكمته وعلمه أعلى من
عقولنا ... ويستحيل أن نستطاع تسجيل ... مثل ذلك العلم !..

معجزة ... موت ... سليمان ؟! ...

قال . . .

عزّ ثناؤه :

« فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض
تأكل منسأته .

« فلما خسرّ تبينت العجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين » .

قيل في تفسير الآية الكريمة :

« يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمى الله موته
على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة .

« فإنه مكث متوكئاً على عصاه - وهي منسأته - مدة طويلة نحواً
من سنة .

« فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ، ضعفت وسقط إلى الأرض .

« وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة .

« وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهمون
ويوهمون الناس ذلك » .

وقيل في تفاصيل التفسير :

« كان نبي الله سليمان إذا صلى رأى شجرة بين يديه .

« فيقول لها : ما اسمك ؟

« فتقول : كذا .

« فيقول : لأي شيء أنتِ ؟

« فإِنْ كان لغرس عُغرس ، وإن كانت لدواء كُتبت .

« فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه .

« فقال لها : ما اسمك ؟

« قالت : الخروب .

« قال : لأي شيء أنتِ ؟

« قالت : لخراب هذا البيت .

« فقال سليمان عليه السلام : اللهم عمّ على الجن موتي ، حتى يعلم الإنسان أن

الجن لا يعلمون الغيب .

« فنحتها عصا ، فتوكلأ عليها ، حولاً ميتاً ، والجن تعمل .

« فأكلتها الأرضة .

« فتبينت الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في

العذاب المهين .

ومما قيل في التفسير كذلك :

« كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس .

« السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر .

« فيدخل فيه ، ومعه طعامه وشرابه .
« فأدخله في المرة التي توفي فيها .
« فكان بدء ذلك أنه لم يكن يصبح فيه ، إلا يُنبت الله بميت
المقدس شجرة .

« فيأتونها ، فيسألها ، فيقول : ما اسمك ؟
« فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا .
« فإن كانت لغرس غرسها .
« وإن كانت تنبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك .
« حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة .
« فسألها : ما اسمك ؟
« قالت : الخروبة .
« قال : لأي شيء نبت ؟
« قالت : نبت لخراب هذا المسجد !
« قال سليمان عليه السلام : ما كان الله ليخزيه وأنا حيّ !.. أنت التي هلى
وجهك هلاكي ، وخراب بيت المقدس !
« فنزعها ، وغرسها في حائط له .
« ثم دخل المهراب .
« فقام يصلي ، متكئاً على عصاه .
« فمات .

« ولم تعلم به الشياطين
« وهم في ذلك يعملون له ، يخافون أن يخرج عليهم فيمأقبيهم .
« وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب ، وكان الحراب له كوى بين
يديه وخلفه .
« فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألسنت جلدأ ، ان دخلت
فخرجت من ذلك الجانب ؟
« فيدخل حق يخرج من الجانب الآخر .
« فدخل شيطان من أولئك ، فمر .
« ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في الحراب إلا احترق .
« فمر ، ولم يسمع صوت سليمان .
« وكان عليه السلام ، قد سقط ميتاً .
« فخرج ، فأخبر الناس أن سليمان قد مات .
« ففتحوا عليه فأخرجوه .
« ووجدوا منسأته - وهي العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأَرْضة ،
ولم يعلموا منذ كم مات ؟!
« فوضعوا الأَرْضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة .
« ثم حسبوا على ذلك التحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة !..
« فمكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً .
« فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم .
« ولو أنهم يظلمون على الغيب لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب
سنة يعملون له .

« وذلك قول الله عز وجل (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خسرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) .

« تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، » .

ثم ماذا ؟!

ومن أطف ما قيل في التفسير :

« في قوله تبارك وتعالى (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) .

« قال سليمان عليه السلام لملك الموت : اذا أمرت بي فأعلمني .

« فأناه فقال : يا سليمان ، قد أمرت بك ؛ قد بقيت لك سوية .

« فدعا الشياطين ، فبنوا عليه صرحاً من قوارير .

« وليس له باب .

« فقام يصلي .

« فاتكأ على عصاه .

« ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت .

« والجن تعمل بين يديه ، وينظرون اليه ، يحسبون أنه حيّ !..

« فبعث الله عز وجلّ دابة الأرض ...

« فدخلت فيها وأكلتها .

« حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها .

« فخسرّ ... ميتاً .

« فلما رأيت ذلك الجن انفضوا وذهبوا .
« فذلك قوله تعالى (ما دلتهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) .
« قيل ... أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر .
« وذكر غير واحد من السلف نحوه من هذا والله أعلم » .
ثم ماذا ؟!
ثم ماذا قال صاحب الفواتح الإلهية في تفسير الآية الكريمة ؟!
« فلما قضينا عليه ، على سليمان عليه السلام .
« الموت » فأخبرناه بموته ... فدعنا نحونا بأن نعمتي على الجن أمر موته ،
حتى يتموا عمارة البيت ... فأعطيناهم موته إلى أن قد تمت ثم ...
« ما دلتهم ، وما هدام وأشهرهم .
« على موته » وما أخبرهم عنه .
« إلا دابة الأرض » أي الأَرْضة .
« تأكل منسأته » أي عصاه ... التي هو متكئ عليها .
« فلما » أكلتها ... وانكسرت عصاه .
« خور » وسقط عليه السلام على الأرض فحينئذ قد ...
« تبيينت الجن » وظهر دونهم ... وانكشف أمر موته عليهم ... وعلموا
بعد ما التبس الأمر عليهم في موته ... بخروره وسقوطه ... فظهر حينئذ
للإنس أن الجن لم يكونوا من المطلعين على عموم الغيوب ، على ما زعموا في
حقهم ... لأنهم لو كانوا مطلعين الغيب لعلموا موته أول مرة ... ولم
يعلموا مع ...
« ان » أي أن الجن .

« لو كانوا يعلمون الغيب ، مطلقاً ... لعلموا أمر موته حين وقوعه ولو علموا ... »

« ما لبثوا » وما استقروا .

« في العذاب المهين » الذي هو العمل المتضمن لأنواع المتاعب والمشاق ... مع أنهم لم يرضوا به ... لكنهم لبثوا وعملوا سنة بعد موته ... فظهر أنهم ما كانوا عالمين بالغيوب كلها ، ... »

ثم ماذا ؟!

ثم ماذا قال صاحب لطائف الإشارات في اشارات الآية ؟!
« كان سليمان - عليه السلام - يتكلم على عصاه وقتما قبض .
« وبقي على ذلك الوصف مدة . »

« والشياطين كانوا مسخرين يعملون ما أمرهم به ، ويتصرفون على الوجه الذي رسم لهم ، وينتهون عما زجرهم . »

« فقد كانوا يتوهمون أنه حيّ . »

« ثم إن الأرضة أكلت عصاه ، فخرّ سليمان . »

« فعلم الشياطين عندئذ أنه مات . »

« فرجعوا إلى أعمالهم الخبيثة . »

« وانفك عنهم ما كانوا عليه من التسخير . »

« وهكذا المثلک الذي يقوم مُملكه بغيره ، ويكون استمساكه بعصا ... »

« فإنه إذا سقط سقط بسقوطه . »

« ومن قام بغيره زال بزواله . »

ثم ماذا بعد هذا؟

انما أسهبنا عمداً في ايراد جوانب متعددة ... مما قيل في تفسير الآية ...
لتكتمل الخطوط العريضة ... لذلك الحادث العجيب ... والمنظر
الإلهي الفريد ... مشهد معجزة موت ... النبي الملك ... سليمان عليه السلام !..

والآن في تصوير وإخراج حديث عصري ... يناسب ذوق الإنسان
المعاصر ... كيف كان موت سليمان . وكيف كانت المشاهد ساعة بساعة؟! .

نقول والله أعلم بما حدث

كان من عادة سليمان عليه السلام ... الاعتكاف في بيت المقدس ... للتعبد
وشكر الله على نعمه ... كلما سنحت له الفرصة ... أن يتفرغ للاعتكاف ...

وفي ذات يوم نوى سليمان أن يعتكف ببيت المقدس ...

فأناّب عنه من يقوم بتصريف شئون الدولة ...

وأمرَ فأعدوا له ما يلزمه أثناء اعتكافه عاماً كاملاً ... يطرح فيه الملك
وراء ظهره ... ويتوجه الى ربه ... يناجيه ... ويسأله ... وهو يعطيه ...
ويعطيه ...

وللأنبياء مع ربهم ... أوقات لا تسمعهم فيها أرض ولا سماء ...

لحظات يتجلى الله فيها عليهم ... بما شاء من العطايا والهدايا ...

وهي عندهم أحلى وأغلى وأعلى ... من ملك الدنيا ... مهما أوتوا منها ...
ولو كان ملكهم كملك سليمان ... الموصوف « ملكاً لا ينبغي لأحد
من بعدي » ...

وماذا يساوي ملك الدنيا ... بالنسبة إلى لحظة واحدة ... مع الله؟! .

انه لا شيء في الوجود ... يعدل لحظة أنس بالله ... ومن ذاق عرف ...

أعدوا سليمان في بيت المقدس ما يلزمه أثناء فترة اعتكافه ...
وما يلزم الأنبياء ... من ذلك لقياسات يقمن صليبهم ... وجرعات ماء
تُذهب ظمأهم ...

ثم هم بعد ذلك ... يُطعمون من عند الله ...
«إني لستُ كهينتهم» «إني أُطعمُ وأُسقي» ..!
ودخل النبي المسلك إلى معتكفه في بيت المقدس ...
وفي ذات يوم جاءه مملك الموت فقال له : يا سليمان ... قد أمرت بك ...
قد بقيت لك سويعة !..

ونادى سليمان ربه ... ونداء الأنبياء ليس مثله نداء : اللهم عمّ على الجن
أمر موتي ... حتى يتبين للناس أنهم لا يعلمون الغيب !..

ثم انتقل سليمان إلى محراب من محاريب بيت المقدس ... إلى محراب
من قوارير ...

إلى محراب من زجاج شفاف ... يُرى ظاهره من باطنه ... وباطنه
من ظاهره ...

وكانت فكرة النبي العظيم من ذلك ... أن يكون مرثياً للجميع ...
للإنس والجن ...

الإنس لينتظموا في أعمالهم ...

والجن ليستمروا في ما هم فيه من شاق الأعمال ...

وفي لحظة القضاء ... « فلما قضينا عليه الموت » ... قام سليمان يصلي ...
ويذكرنا بهذا المشهد قوله « فنادته الملائكة وهو قائم يُصلي في المحراب » ...
إلا أن المنادي هنا ... كان ملك الموت ...

وكان سليمان متكئاً على عصاه ... وهو قائم يصلي في المحراب ...
وعصا سليمان ... عصا معلومة للجميع ... لها تقاليدها ... وشكلها ...
ورهبته ورعها في النفوس ...

وما زال هذا التقليد قائماً في آداب الملوك ورؤساء الدول في العالم ...
فلملوك عصيم المصنوعة من نفيس المعادن ... وللقائد الأعلى للقوات المسلحة
عصاه ... وهكذا ... لها تقاليدها ولها بروتوكولاتها ...

فكيف بعصا سليمان ... النبي ... الملك ... الذي مُلكه لا ينبغي لأحد
من بعده؟! .

قام سليمان في المحراب يصلي ... متوكئاً على عصاه ...
وبينما هو كذلك « قضينا عليه الموت » ...
سليمان الآن قد مات ...
فالمفروض والأمر الطبيعي ... ما دام قد مات ... أن يسقط
على الأرض ...

إلا أنه لم يسقط ... ولم يختل توازنه ...
وما هنا المعجزة؟! .

مكث سليمان ... قائماً يصلي في المحراب ... متوكئاً على عصاه ...
عاماً كاملاً ...

تقول النواميس الطبيعية... يتحتم أن يخرّ سليمان فوراً... بمجرد موته...
وأن تسقط عصاه فوراً...

ولكن سليمان ظل واقفاً... يصلي... متوكئاً على عصاه.. عاماً
كاملاً... وهو ميت...

فكيف هذا... في منطق العقول؟!.

منطق العقول... مشلول...

إذاً هي معجزة... والمعجزة وراء العقول... تصدر رأساً من القدرة...
والقدرة لا تدرّكها العقول...

عاماً كاملاً... هكذا سليمان...

مشهد إلهي... جميل جليل...

والناس موقنون... أن النبي الملك... ما زال في اعتكافه... ويمكن لمن
كان في شك... أن ينظر إليه قائماً يصلي في المحراب!..

فالمحراب من زجاج شفاف... ينكشف للعيون ما يجري فيه...

والجن... ملايين الشياطين المسخرة... في البناء والتشييد...
والزخارف... والنصوص في البحار... كلهم دائبون على أعمالهم... يخافون
بطشة سليمان... إذا كفتوا عن أعمالهم...

ومن كان في شك من الجن... يمكنه أن ينظر إلى محراب القوارير... يجد
سليمان قائماً يصلي في المحراب!..

وكان هؤلاء الشياطين... قد أشاعوا وأذاعوا في الناس... أن سليمان
لا ينفرد بعلم الغيب وحده... وإنما كذلك يعلمون الغيب... وأن ما يذكرو

سليمان للناس من الغيوب... إنما هو مما يُلقيه اليه الجن... فيلقيه إلى الناس...
فيتوهم الناس أنه وحي أوحى اليه... وما هو بوحى... إن هو إلا من
حديث الجن...

واتبع كثير من ضعاف العقول ما يذيعه الجن في الناس... «واتبعوا
ما تتلو الشياطين على ملك سليمان»...

فلما أيقن سليمان أنه ميت... سأل الله أن يُعمّي على الجن موته... حتى
يعلم الجميع أن الجن لا يعلمون الغيب... كما يوهمون الناس... وحتى يُفصل
في تلك القضية... فصلاً عملياً أمام الجميع... فيظهر كذب الجن... ويتأكد عند
الناس... أن ما يخبر به الأنبياء من الغيوب... إنما هو عن وحي يوحى إليهم
من الله... وليس مما يلقيه الجن إليهم...

فإذا ظهر للناس أن الجن مكثوا عاماً كاملاً... لا يعلمون بموت سليمان...
فمن باب أولى هم لا يعلمون من الغيب شيئاً!..

نعود إلى المشهد الإلهي الجميل...

سليمان قائماً يصلي في المحراب... متوكئاً على عصاه...

والأيام تمر... حتى مضى عليه عام كامل وهو هكذا...

ومنذ اللحظة التي مات فيها سليمان...

بعث الله إلى عصاه... حشرة قارضة... آذنت من عصاه استقراراً...
أغراها أن تقرضها وتأكل منها...

فدأبت كل يوم على فرض شيء منها...

حتى إذا مرَّ عام عليه... كانت الأرضة قد نخرت عصاه... وأكلت
جوفها... فضعفت العصا... عن حمل الجسد المستند إليها...

فخر سليمان ... وسقط الجسد فوراً على الأرض ...
« فلما خر » فلما سقط ...
وفوراً ... وبمجرد سقوط الجسد ... وسقوط العصا ...
تدافع المسئولون في الدولة ... الى المحراب ... ينظرون ماذا حدث
للملك ؟ !
وعيون الناس دائماً على ملوكهم ... يحرصون عليهم حركاتهم وسكناتهم ...
وانتشر الخبر ... في المملكة من أقصاها إلى أدناها ...
ثم انتقل إلى العالم كله ... وصار سليمان حديثاً ..
وجعل المسئولون يفحصون أسباب الوفاة ... فآنسوا أن الجسد ليس
بالطري الندي ... كما هو حال الأجساد التي ماتت منذ لحظات ...
وإنما حال الجسد يؤكد أن الوفاة حدثت من زمن بعيد ...
فرجموا الى العصا ... فوجدوا الأرضة بداخلها ... تقرض فيها ...
فتركوها في شأنها ... وراقبوا قرضها يوماً كاملاً ... فوجدوها قرضت
شيئاً يسيراً ...
فحسبوا حسابهم ... بنسبة ما قرضت في يوم واحد ... فتبين لهم أن
النخر الذي نخرته في العصا ... لا يتم إلا في عام كامل !..
فتأكد لهم أن سليمان فارق الحياة منذ عام !..
وأنه مكث قائماً هكذا ... ميتاً ... عاماً كاملاً ..
فصدر بيان رسمي من الدولة ... أن الملك ... مات منذ عام ... وأن

قدرة الله ... أمسكته هكذا طيلة العام ... فلما نخرت الأرضة عصاه ...
خبر ... وسقطت العصا ...

فكبر المؤمنون ربهم تكبيراً ...
وكان يوماً ينتظره الجن جميعاً ...

ها قد مات سليمان ... المسلط عليهم ... الذي لا يستطيعون
لأمره عصياناً ...

لقد استعادوا حريتهم ... وتوقف سلطان سليمان عليهم ...
فانفضوا جميعاً ... يعيشون في الأرض كما شاءوا ...
فلا سليمان بعد اليوم !..

وكان يوماً أخزى الله فيه الجن خزيًا عظيمًا ...
وتحدث الناس بالحدث ... وصار الحديث أقاويص ...

وقالوا: لو كان الجن كما زعموا لنا ... يعلمون الغيب ... لعلموا بموت
سليمان ... منذ سنة ...

ولكنهم عجزوا عن علم ما هو أمام أعينهم ... فهم عن علم الغيب
أشد عجزاً !..

ولو كانوا يعلمون الغيب ... ما جهلوا موت سليمان وهو قائم أمام
أعينهم ... وما استمروا يكذبون وهم كارهون ...

« فلما خر تبينت الجن »

« أن لو كانوا يعلمون الغيب .

« ما لبثوا في العذاب المهين » ..!

إلا أن الجن لم يكن يعنيه أن يظهر كذبتهم للناس ... فهم يعلمون أنهم
كثيراً ما يكذبون ... ولا جديد في هذا بالنسبة اليهم ...

وإنما الذي يعنيههم الآن ... انهم تفككوا من سلطان سليمان عليهم ...
واستردوا حريتهم ...

فانطلقوا وهم يهتفون ... لا سليمان بعد اليوم! ..?

قالوا :

« وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان ... أربعين سنة .

« ثم اضطجع سليمان مع آبائه .

« ودُفن في مدينة داود أبيه » ..!

فهرس

٧	مقدمة
٩	ووهينا لداوود سليمان
١٥	قفهمناما سليمان
٢١	وورث سليمان داوود
٢٧	عبقرية سليمان
٣٣	الملك يأمر بقتل أدونيا
٣٩	ولقد فتننا سليمان
٤٥	رب اغفر لي وهب لي
٥٣	فسخرنا له الريح
٦٥	تسخير الجن لسليمان
٧٩	وأسلنا له عين القطر
٨٩	فذكرت دعوة أخي سليمان
٩٥	الملك سليمان يستعرض سلاح الفرسان
١٠٣	وما كفر سليمان
١١٣	سليمان يبني البيت
١٢١	عظمة قصور سليمان
١٢٧	قالت نملة ...
١٣٩	فتبسم ضاحكاً من قولها

١٥١	ما لي لا أرى الهدم
١٥٩	أحطت بما لم تحط به
١٦٥	اني وجدت امرأة تملكهم
١٧٥	يسجدون للشمس
١٨٧	الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم
١٩٣	إنه من سليمان
٢٠٣	أفتوني في أمري
٢١٣	ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها
٢١٩	أتمدون بمال
٢٣١	فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
٢٣٩	أيكم يأتيني بعرشها
٢٤٩	أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك
٢٦٣	نكثروا لها عرشها
٢٧١	في قصر القوارير
٢٨١	تدمير البيت الذي بناه سليمان مرتين
٢٩٧	سليمان كما يراه ابن العربي
٣٣٧	ولقد آتينا داوود وسليمان علماً
٣٤٥	سليمان الحكيم
٣٦٣	معجزة موت سليمان
٣٨١	فهرس

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه ... حياة سليمان ... عليه السلام ... النبي ...
الملك ...

ذو الملك ... الذي لا ينبغي لاحد من بعده !!!

النبي ... الذي سخر الله له ... الريح ... والجن ...
والطير ... !!!

النبي ... الذي اعطاه الله من كل شيء ... « وأوتينا من كل
شيء » !!!

وأنتى الله عليه ... « ووهبنا لداوود سليمان ... نعم
العبد انه أواب » !